جغرافية العالم المعاصر

جغرافية الدول الكبرى

الدكتور عبد الرحمن حميدة

دار الفكر

جغرافية الدول الكبرى

جغرافية العالم المعاصر

جغرافية الدول الكبرى

الدكتور عبد الرحمن حميدة

تصوير ١٩٨٧
عن الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ،
كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ،
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

طبع بأجهزة (C. T. T. السويسرية) للصف التصويري ،
وبالأوفست في دار الفكر هاتف (٢١١١٦٦/٢١١٠٤١) ، برقياً (فكر)
ص.ب(٩٦٢)دمشق-سورية Tx FKRMGS 411745 Sy

بين يدي الكتاب

يتصدى هذا الكتاب لدراسة جغرافية الدول الكبرى في العالم آخذاً بعين الاعتبار وزنها الاقتصادي أو عدد سكانها أو كليهما معاً ، دون الاهتمام كثيراً بأبعادها بحيث يضم بين دفتيه بحوثاً تشتمل أكثر دول العالم أهمية على الصعيد الدولي ومن هذه الزاوية فقط لم أعمد لتسميته « جغرافية الدول العظمى » التي تعني الدول المتقدمة الكبيرة .

هذا وقد حاولت أن تكون دراسة الدول المذكورة من زوايا مختلفة ، أو بالأصح حسب مدارس جغرافية متعددة ، دون التقيد والالتزام بمنهج واحد اتقيد به عند دراسة كل دولة ، وذلك تجنباً للرتابة المملة والمخططات الصلدة التي لم تعد مستساغة في مطالعة الكتب الجغرافية التقليدية .

وقد عمدت إلى إغناء كل مبحث بأكبر قدر ممكن من الخرائط والأشكال ، بعضها معرب وبعضها نصف معرب ، كي أترك فرصة للقارئ لمعرفة أسماء المواقع والمعالم والمدن بأسمائها الحقيقية ، كما تكتب وتلفظ باللغة الإنكليزية أو الفرنسية .

ويصدر هذا الكتاب كطليعة لسلسلة « جغرافية العالم المعاصر » والتي تشتمل على المؤلفات التالية :

١ ـ جغرافية الدول الكبرى
٢ ـ جغرافية أوروبا الغربية
٣ ـ جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي

٤ ـ قارة آسيا

٥ ـ الوطن العربي في آسيا

٦ ـ الوطن العربي في أفريقيا

٧ ـ أفريقيا السوداء

٨ ـ العالم الجديد : امريكا وأستراليا .

والله أسأل التوفيق للنهوض بمثل هذه المهمة وتحقيق هدفي المنشود ، وهو تقديم بضعة مؤلفات توفر المعلومات الرصينة عن العالم الذي نعيش فيه ونتفاعل معه بأشكال متفاوتة .

المقدّمة

كل ما في العالم في حركة دائبة . فبين عام وآخر ، لا تتغير المعطيات العددية فحسب ، بل هناك البنى الدولية التي تتبدّل ، فإذا اقتصرنا على شريحة ما عبر اللحظة الحالية ، فإن ذلك سيقودنا إلى أكثر التقاويم وقتيّة وسأماً . . . .

ومن الأفضل أن تقدم الوقائع ضمن منظورها التطوّري ، وأن نستخلص الخطوط الكبرى المتحكّمة في كل شعب والمستمدّة من ماضيه ، وأن نُحلّل جهده لمواءمة تراثه مع العصر الحاضر ، وهكذا يكون الطالب الجامعي أفضل استعداداً وتهيئة لإدراك الأصالة العميقة لدى كل شعب ، وأن يفهم ، من خلال عالم الأمس واليوم ، عالم الغد .

ولن نخفي رغبتنا الشديدة في تفسير وتبسيط ، وتخفيف العرفيّة والإحصائيات . ولكن في هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، ولد عصر جديد . فبعد البحبوحة التي كانت تسود فيه ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لدى الدول الغنية المتقدمة ، ظهر الإحساس بالحقائق القاسية ، وظهر قلق مفاجئ على مصير العالم . وقد أصبح بؤس التخلف أكثر إيلاماً ، وعلى الجانب الآخر من الأفق ، ظهر أن الآليّة المتزايدة الإحكام ، لدى الدول الغنيّة ، قد أصيبت فجأة بالسقم . ويتمخّض العالم الآن عن يقظة عسيرة ، كانت أزمة النفط في ١٩٧٣ نذيرها العنيف ، والذي كانت ترجمته على شكل ارتفاع في الأسعار ، وتضخم ،

وبطالة بلغت ١٠٪ لدى عدة دول متقدمة عظمى ، وإحساس بأن الوقت قد حان للكفّ عن هدر مجتمع الاستهلاك ، ورفض التقنية التي لا يكون الإنسان هو المسيطر عليها ، وأشكال الرعب المنتظرة من عام ٢٠٠٠ ، أمام تهديدات المجاعة ، والتلوث الجوي والمائي المتعاظم ، وتخريب التوازنات البيولوجية ، والخوف من قيام قيامة نووية .

وتطرح في كل مكان أسئلة رهيبة ، كما أن الإجابة تكون باستمرار عسيرة ، شاقة ، عويصة . ومنذ عهد قريب ، كان يبدو من العبث ، بالنسبة لبلد صناعي ، كانت الطبيعة شحيحة عليه ، أن يستغل دون مصاعب موارد أرضه ذاتها : غير أن اليابان أقامت قواعد ثروتها الباهرة فوق ركائز « التقسيم الدولي للعمل » . ويعزو مصدّرو المواد الخام كل مشكلاتهم إلى هذا الكيان الهش . . . ومن الميسور تعداد أمثال هذه الملاحظات .

ومنذ بداية القرن العشرين ، أي خلال فترة لا تمثل أكثر من مدة حياة إنسان ، تغير العالم كثيراً . فقد نكب بحروب عديدة ، كانت اثنتين منها حربين عالميتين ، لا تنفصلان عن بعضها بأكثر من عشرين عاماً ، وأدت إلى تغيرات عميقة ، فانحطت دول كبرى أو تلاشت ، وصعدت أخرى . ولكن ذلك يعود ، على الخصوص ، إلى التقنيّات الوثّابة ، وراح العالم يتطور بصورة مفرطة في عمقها وفي سرعتها حتى لقد دعيت هذه الفترة « فترة تسارع التاريخ » . وهكذا ظهرت في عالمنا مشكلات على درجة من الخطورة ، طرحت مسألة وجود الإنسان ذاته على بساط البحث . ويتعلق المستقبل ، الذي يسوده السلام ، أو الحروب الخارجية ، أو الأهلية ، بحل هذه المشكلات ، التي لم يتفق عليها بنو الإنسان بعد .

تلك هي التوضيحات الجديدة ، التي سنجهد في أن نجعلها محسوسة ، في دراسة المشكلات الكبرى في العالم المعاصر ، كمشكلات الطاقة ، وفي دراسة

أوروبا ، وفي حيرتها وترددها ، ودراسة العالم الثالث وحاجاته الذاتية الملحّة ، وفي دراسة اليابان المنخورة بالتلوث ، والمهددة في أساسات قوتها الصاعدة ، وفي البروز التظاهري الذي تجلّى فيه العملاق البرازيلي الناشئ ، وفي المشكلات المؤلمة التي تعاني منها بنغلادش التي تنوء بسكانها ، وفي اللولب المعقّد للتنمية الصينية . . إلخ .

ذاك هو منحى سعينا الحثيث ، ونتمنى أن يكون القرّاء الكرام على مستوى الإحساس بالمسؤولية الجماعية لبني الإنسان .

ويؤلف هذا الكتاب الذي نضعه في طليعة سلسلة « جغرافية العالم المعاصر » ، بداية متواضعة لعدة كتب جغرافية إقليمية ، تلقي نظرة موضوعية وشاملة على العالم الذي نعيش فيه ، وستجد دراسة الوطن العربي مكانها اللائق ، قبل الفراغ من التعرف على العالم القديم الذي نؤلف واسطة عقده : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وعلى الله التكلان وهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن حميده

رئيس قسم الجغرافيا في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً

دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون

دمشق في ١٥ / ٣ / ١٩٨٤

الفصل التمهيدي

أولاً ـ العالم في ١٩٨٠

يوجد في العالم ١٧٠ دولة .

ولكل دولة حيّز ذو ثلاثة أبعاد :

رقعة أرضية ، شديدة التباين ، فأكبر دولة هي الاتحاد السوفيتي الذي يمتد على ٢٢,٤ مليون كم^2 ، وأصغرها دولة الفاتيكان ومساحتها ٠,٤٤ كم^2 .

وهناك بين الدول العظمى دول واسعة ، عدا الاتحاد السوفيتي :

الولايات المتحدة	٩,٣٦ مليون كم^2	البرازيل	٨,٥١ مليون كم^2
كندا	٩,٧٨ مليون كم^2	الهند	٣,٢٧ مليون كم^2
الصين	٩,٥٦ مليون كم^2	الأرجنتين	٢,٧٨ مليون كم^2

وهناك أصغر رقعة بكثير مثل :

اليابان	٠,٣٧ مليون كم^2	المملكة المتحدة	٠,٢٤ مليون كم^2
جمهورية ألمانيا الاتحادية	٠,٢٥ مليون كم^2	بلجيكا	٠,٠٣ مليون كم^2
إيطاليا	٠,٣٠ مليون كم^2	هولندا	٠,٠٣ مليون كم^2

رقعة بحرية لكل الدول التي تملك واجهة ساحلية. ففي السبعينات امتدت المياه الإقليمية إلى ٣ أميال ثم إلى ٦ ، ثم إلى ١٢ وأخيراً إلى ٢٠٠ ميل بحري ، أو ٣٧٠ كم ، مع حقوق صيد خاصة بها . هذا كما تمت السيطرة على الأرصفة القاريّة Schelfs حتى عمق ٢٠٠ م ، أو حتى تخوم حدودية مع دول أخرى واقعة تجاه سواحلها ، مثلما حدث في بحر الشمال أو في الخليج العربي ، بالنسبة لحقول النفط البحرية .

مجال جوي لا يحق للطائرات الأجنبية أن تعبره إلا بعد اتفاق يتم بعد تعاقد متبادل .

ولم يبق في العالم سوى منطقتين غير مقسومتين بين الدول :

ـ القارة القطبية الجنوبية ، التي أصبحت بموجب معاهدة ١٩٥٩ ولمدة ٣٠ سنة قارّة مجردة من السلاح ومفتوحة أمام البحث العلمي الدولي .

ـ المساحات البحرية التي تقع فيما وراء ٢٠٠ ميل بحري . وترى بعض الدول جعلها مجالاً دولياً يعهد بتسييره للأمم المتحدة ، من أجل استغلال موارده من جديد ، معادن القاع ، والبحث عن النفط والغاز ، في حين تفضل دول أخرى أن تظل هناك (حرية الوصول) إلى ثرواته .

تطور عدد سكان الأرض

العام	عدد السكان	العام	عدد السكان
١٦٥٠	٤٧٥ مليون نسمة	١٩٦٤	٣٢٠٠ مليون نسمة
١٧٥٠	٦٩٠ مليون نسمة	١٩٧٥	٤٠٠٠ مليون نسمة
١٨٥٠	١٠٨٦ مليون نسمة	١٩٧٨	٤٢٠٠ مليون نسمة
١٩٠٠	١٥٥٠ مليون نسمة	١٩٨٠	٤٣٣٦ مليون نسمة
١٩٢٥	١٩٠٧ مليون نسمة	١٩٨١	٤٥٠٨ مليون نسمة
١٩٥٠	٢٤٩٧ مليون نسمة		

أكثر دول العالم سكاناً بالملايين في ١٩٨١

١ ـ الصين	٩٥٠	٢ ـ الهند	٦٨٤
	(١٠٢٥ في ١٩٨٢)		
٣ ـ الاتحاد السوفيتي	٢٦٨ (١٩٨١)	٤ ـ الولايات المتحدة	٢٣٠
	٢٧١ (مطلع ١٩٨٣)		
٥ ـ أندونيسيا	١٥٠	٦ ـ البرازيل	١٢١
٧ ـ اليابان	١١٧	٨ ـ بنغلادش	٩٠
٩ ـ باكستان	٨٤	١٠ ـ نيجيريا	٨٠
١١ ـ المكسيك	٧١	١٢ ـ ألمانيا الاتحادية	٦١
١٣ ـ إيطاليا	٥٧	١٤ ـ المملكة المتحدة	٥٦
١٥ ـ فرنسا	٥٤ (١٩٨٢)	١٦ ـ فيتنام	٥٥
١٧ ـ فيليبين	٤٩	١٨ ـ تايلاند	٤٨
١٩ ـ تركيا	٤٦	٢٠ ـ مصر	٤١ (٤٤ في ١٩٨٢)
٢١ ـ كوريا الجنوبية	٣٨	٢٢ ـ إسبانيا	٣٧
٢٣ ـ إيران	٣٩	٢٤ ـ بولونيا	٣٦
٢٥ ـ بيرمانيا	٣٦	٢٦ ـ أثيوبيا	٣٢
٢٧ ـ أفريقيا الجنوبية	٣٠	٢٨ ـ زائير	٢٨
٢٩ ـ الأرجنتين	٢٨	٣٠ ـ كولومبيا	٢٨

مجموع الأقطار المذكورة ٣٦٣٦ أو ٨٠٪ من سكان العالم

مجموع العالم ٤٥٠٨

ثروة الدول حسب الناتج القومي الخام بمليارات الدولارات
(حسب تقديرات البنك الدولي) في ١٩٨٠ :

١ ـ الولايات المتحدة	١٨٧٤	٤ ـ ألمانيا الاتحادية	٥٠١
٢ ـ الاتحاد السوفيتي	٧٨١	٥ ـ فرنسا	٣٨٧
٣ ـ اليابان	٦٤٢	٦ ـ الصين	٣٤٦

٧ ـ المملكة المتحدة	٢٤٧	١٩ ـ بلجيكا	٧٤
٨ ـ كندا	١٩٧	٢٠ ـ المكسيك	٧١
٩ ـ إيطاليا	١٩٥	٢١ ـ سويسرا	٦٣
١٠ ـ البرازيل	١٥٨	٢٢ ـ تشيكوسلوفاكيا	٦١
١١ ـ إسبانيا	١١٦	٢٣ ـ تركيا	٤٧
١٢ ـ بولونيا	١١٠	٢٤ ـ النمسا	٤٦
١٣ ـ أستراليا	١٠٣	٢٥ ـ العربية السعودية	٤٦
١٤ ـ هولندا	٩٩	(٨٦ في ١٩٨١ و ١٠٠ في ١٩٨٢)	
١٥ ـ الهند	٩٧	٢٦ ـ الأرجنتين	٤٥
١٦ ـ ألمانيا الشرقية	٨٣	٢٧ ـ يوغوسلافيا	٤٣
١٧ ـ السويد	٧٦	٢٨ ـ الدانمارك	٤١
١٨ ـ إيران	٧٥	٢٩ ـ أندونيسيا	٤١
		٣٠ ـ أفريقيا الجنوبية	٣٦

مجموع الأقطار المذكورة ٦٧٠٠ أو ٨٨٪ من ثروة العالم

مجموع العالم ٧٥٠٠

الإحصائيات العالمية في ١٩٨٠

إنتاج القمح	٤٢٦ مليون طن و ٤٥٨ في ١٩٨١
إنتاج الرز	٣٧٩ مليون طن و ٤٠٣ في ١٩٨١
إنتاج السكر	٩١ مليون طن و ٩٢ في ١٩٨١
إنتاج الصيد البحري	٧١ مليون طن و ٧٣ في ١٩٨١
قطعان الأبقار	١٢١٢ مليون رأس و ١٢٢٥ في ١٩٨١
قطعان الخنازير	٦٦٤ مليون رأس
قطعان الأغنام	١٠٣٢ مليون رأس
إنتاج الفحم الحجري	٣٥٠٠ مليون طن
انتاج الكهرباء	٨١٣٤٠٠٠ مليون ك وس

إنتاج البترول	٣٠٥٦ مليون طن و ٢٨٥١ في ١٩٨١
إنتاج الغاز الطبيعي	١٤٩٠ مليار متر مكعب و ١٥١٣ في ١٩٨١
إنتاج خامات الحديد	٤٧٣ مليون طن و ٤٨٢ في ١٩٨١
إنتاج الفولاذ	٦٧٣ مليون طن و ٧٥٥ في ١٩٨١
إنتاج الألمنيوم	٨٥ مليون طن و ٨٨ في ١٩٨١
إنتاج الذهب	١٤١١ طن و ١٢٧٠ في ١٩٨١
إنتاج السيارات	٤١ مايون و ٣٧ في ١٩٨١
عدد السيارات في العالم	٣٥٦ مليون و ٤١٢ في مطلع ١٩٨١
قيمة التجارة الدولية	١٢٩٥ مليار دولار
حمولة البحرية التجارية	٣٩٤ مليون طنة حمولة خام و ٤٢٠ في ١٩٨١/٧/١
الحمولة المنقولة بالسفن	٣,٥ مليار طن
عدد الطيارات المدنية	٨٨٨٧

ثانياً ـ الكتل العالمية الكبرى

لقد انقسم العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بصورة تقريبية ، إلى ثلاثة مجموعات : « الكتلة الأمريكية » ، « الكتلة السوفياتية » ، والعالم الثالث .

وقد عملت الثروة الديموغرافية على تسهيل **صعود أمريكا** . فقد تلقت الولايات المتحدة موجات من المهاجرين المتشوقين لتحسين أوضاعهم ، والذين يترك لهم النظام الاقتصادي الليبرالي أكبر قدر من المبادرات والتطلعات إلى النجاح . وقد كان التاريخ مفيداً للولايات المتحدة : فقد أمكن التغلب بسهولة على الصدامات الداخلية وعلى نزاعات الحدود مع المكسيك في القرن التاسع عشر ، مثلما عملت الحربان العالميتان على إثرائها وعلى تقويتها صناعياً أكثر مما

أضعفتها ديموغرافياً لأن ميادين المعارك كانت بعيدة عن أراضيها ، كما كان تدخلها متأخراً ، وفي خلال ربع القرن الذي أعقب نهاية الحرب الأخيرة ، أي بين ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠ ، أصبح نفوذها العالمي أمراً واقعياً . ويستند هذا النفوذ على بعض الأسلحة الناجعة :

ـ المظاهر الإيجابية في الليبيرالية الاقتصادية ولا سيما تلك الإرادة الخارقة في الإقدام والتجديد .

ـ الدولار ، الذي عرف الأمريكيون كيف يعملوا منه أداة قدرة ، وذلك عندما كان عملة صعبة ، حتى نهاية الستينات ، أو بعد أن أصبح وافراً للغاية في الأسواق العالمية .

ـ سبق تكنولوجي لا مرية فيه لا ينازعها عليه سوى اليابان .

ـ أسلحة اقتصادية حيث يكون للفوائض الزراعية قيمة أكبر ، ما دامت حالات العوز الغذائي متزايدة في الأقطار المتخلفة ، أو في الدول الاشتراكية .

ـ صورة إيديولوجية عن ديموقراطية متعددة الأحزاب وحرية .

ـ وسائل عسكرية ذات امتداد من مستوى عالمي استناداً إلى معاهدات متعددة الجوانب مع حماية نووية وقواعد استراتيجية .

وقد كان **بلوغ الاتحاد السوفيتي مستوى دولة عظمى** أكثر تأخراً وأكثر صعوبة ؛ فقد حصل في دولة شديدة التأخر اقتصادياً وذات بنى اجتماعية غير مشجعة . وقد كان للتاريخ هنا دور مناهض بكل جلاء : فقد كانت السنوات الثلاثون ، بين ١٩١٤ و ١٩٤٥ حافلة بالمجازر الديموغرافية : الحرب العالمية الأولى ، الحرب الأهلية التي أعقبت الثورة ، ضحايا السياسة الستالينية التي تلت جماعية الأراضي والتصفيات الجسدية ، وأخيراً الحرب العالمية الثانية ،

مما كلف هذه البلاد أكثر من ٣٠ مليون قتيل . كما لم تكن التخريبات المادية وانعدام النظام بأقل أضراراً . ولكن وجود انضباط ايديولوجي صارم ، يرمي لجعل الاتحاد السوفيتي أول بلد في التجربة الاشتراكية ، والمدعوم بسلطة الحزب الشيوعي المهيمنة سواء في الداخل أم في الخارج ، وتكوين قوة عسكرية جبارة ، سمح لهذه البلاد بأن تخرج من اقتصادها المتأخر .

ولقد استطاع النظام السوفياتي أن يفرض نفسه معتمداً على مصادر معدنية وطاقية ضخمة ، وهادفاً لجعل التقدم عن طريق التصنيع ، ومانحاً الأفضلية لأنشطة التجهيز أكثر من سلع الاستهلاك الدارجة . وكان ربع القرن التالي لموت ستالين ، في الوقت نفسه فترة تحسين مستوى المعيشة الداخلي ، وانتشار النفوذ العسكري والايديولوجي على مستوى عالمي ، ولكن وحدة العالم الشيوعي تعرضت للتصدع : فقد أصبحت الصين قطباً آخر للنفوذ وللتوجيه الشيوعي .

أما عبارة **العالم الثالث** فقد ظهرت لأول مرة على قلم العالم الفذ (آلفرد سوفي كي يشير) ، في نهاية الأربعينات ، إلى الدول التي ترفض الانخراط في حلبة تنافس الدول العظمى ، تلك هي دول الحياد في المجموعة الأفريسية ، وبلدان أمريكا الجنوبية والهند . وهناك علامة أخرى تستخدم أحياناً لتعريفه : وهي أن العالم الثالث يتألف ، في غالبيته ، من دول ذات قاعدة اقتصادية هزيلة وناقصة النمو ، أي متخلفة . وفي هذا المعنى فهي تتنافر نوعياً مع الأقطار المتصنّعة ، أو الصناعية ، وذات المستوى المعاشي المرتفع . ولكن تعرّض كل من هذين المعيارين لتشوه عميق خلال ثلث القرن الأخير .

فقد أصبح عدد الدول التي استطاعت أن تحتفظ بحيادها المبدئي زهيداً جداً : فقد أدت المواجهات الايديولوجية والنزاعات المسلحة بين هاتين الدولتين الامبرياليتين المسيطرتين إلى اضطرار الكثير من الدول الصغرى إلى الانضمام ،

بصورة أو بأخرى ، إلى هاتين الكتلتين . وقد كشف مؤتمر هافانا في عام ١٩٧٩ للعيان ، ذلك الانشطار بين الاتجاه الموروث عن الأصول ، أي عن (مقررات باندونغ) في عام ١٩٥٥ ، والذي كان يمثله مارشال يوغوسلافيا الراحل « تيتو » ، وبين مجموعة (عدم الانحياز) التي تسير خلف موسكو وراء « كاسترو » زعيم كوبا .

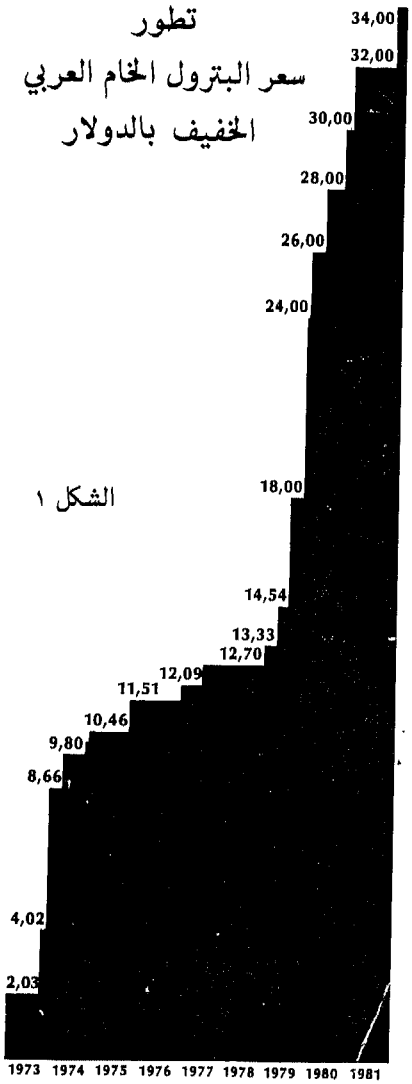

الشكل ١

هذا كما أن زيادة الإنتاج النفطي وارتفاع أسعاره بشكل استعراضي ، عملا على تهشيم وحدة العالم الثالث ، المعروف بأنه عالم متخلف . فقد أصبحت بعض الدول القليلة السكان وذات الإنتاج الضخم كدول الخليج العربي ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، أصبحت غنية خلال عدة سنوات (شكل ١) في حين كانت الدول الأخرى ، المحرومة من هذا المن تتخبط في فقر متزايد أيضاً ، حتى لقد ظهرت عبارة العالم الرابع ، التي تشمل الدول المتخلفة المتوسطة الفقر ، مثل سورية وتونس وإيران وتركيا ، وبوليفيا ، ودول العالم الخامس مثل الصومال وأيثيوبيا وموريتانيا وبنغلادش .

هذا في حين حققت بعض الدول عملية الإقلاع وخرجت من مستنقع

التخلف مثل كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة ، كما أن البعض من الدول تتراوح بين بين مثل يوغوسلافيا وإسبانيا والبرتغال والبرازيل .

☆ ☆ ☆

أعملاقان فوق ساقين من طين ؟!

١ ـ « لقد أصبحت حركات التمرد في العالم المتأمرك ـ أي العالم الواقع مباشرة تحت وصاية الولايات المتحدة ـ هي التي تثير حفيظة هذه الدولة . فابتداءً من كندا إلى أمريكا اللاتينية ، ومن أوروبا حتى اليابان ، أخذت الشعوب الخاضعة بشكل واضح أو مُقَنَّع للنفوذ الأمريكي ، أخذت تتجرأ لترفع رأسها لتحاول استرداد شخصيتها . وهكذا أخذ المجال الأمريكي ـ أي العالم ـ الذي تسلّل إليه نفوذ أمريكا بحذق ، وانتظم حسب إرادتها ، راح يتصدّع بنيانه ، ويطمح إلى الاستقلال الذاتي ، وأحياناً إلى الاستقلال التام .

ترى هل يستغل العالم الاشتراكي هذا الوضع ، كما سبق أن توصّل إليه ، كي يمد هيمنته بزيادة أكبر ؟ لقد انتشرت بقعة الزيت التي انطلقت من روسيا لتغطي أوروبا الشرقية ، والشرق الأقصى بما في ذلك الصين وجنوب شرق آسيا ، إلى أن بلغت إفريقية الشرقية بما في ذلك كوبا ، التي أصبحت تشكل تهديداً للقارة الأمريكية ذاتها . وفي سبيل توقيف هذا الزحف ، تكرس الولايات المتحدة كل قدرتها العسكرية كما فعلت في كوريا وفي ڤيتنام .

وفي هذه المعركة المكتومة الصوت ، تكون المهارة أحياناً أفضل من القوة ، كما قد يلعب الحظ دوره . ويبرهن على ذلك انقسام العالم بين هذين الجبارين . وقد أصبح ذلك ممكناً ، وسيصبح ضرورياً أكثر في أعقاب تصاعد قوة الصين . وإذا كانت الصين قد أصبحت ورقة رابحة ، ولوقت ما ، في اللعبة الأمريكية ، فإن هذا لا يجوز أن يحجب عنا المشكلة الأساسية : أي هل ستستطيع قوة أمريكا ، المرتكزة على الاقتصاد الحر ، أن تظل دوماً قادرة ، رغماً عن جهازها العسكري الهائل ، على احتواء اندفاعة اشتراكية ، تبرهن اختلافاتها الداخلية ذاتها على ضعفها ، مثلما تدل أيضاً على حيويتها . »

٢ ـ تعتبر أعناق الاختناق الجرح الدامي في الاقتصاد السوفيتي . . . والواقع أن كل منظومة التخطيط هي التي تقف في قفص الاتهام . وهذا التخطيط نفسه يتخذ صفة عنصر لا يقهر في الاشتراكية السوفياتية ، وياله من معضلة تواجه المسؤولين ! ترى هل يستدعي الانفلات من التخلف إعادة نظر موجعة للطرائق المتبعة نظراً لتعذر التخلي عن النظام كله ؟

وها هي الصين تنادي بأن الاتحاد السوفياتي قد خان الاشتراكية . والواقع لقد كبّل الاتحاد السوفياتي نفسه في العقائدية ، والبيروقراطية وفي نهاية المطاف في « التبرجز » . وقد حصل « التعايش السلمي » على حسابه مما أنعش الغرب ، وساعد الامبريالية الأمريكية بطريقة مباشرة ، وهكذا قيل : « الدب الروسي يكسر الجوزة ، والنسر الأمريكي يأكلها » . وقد قفزت التجارة بين البلاد الرأسمالية الغنية من ١٥٪ في ١٩٥٥ إلى ٣١٪ في ١٩٧٤ . وهذا يعني وقوع الاتحاد السوفياتي تحت تبعية هذه الدول في تموينه بالغذاء أو بالمواد الصناعية[1] . وعندما يشتري الاتحاد السوفياتي مصانع « مفتاح باليد » فلا يعني ذلك الاعتراف بتأخره التكنولوجي ، بل يدل ذلك أيضاً على تبعيته في تجهيزه لرغبة الرأسماليين . وقد اضطر الاتحاد السوفيتي للاستدانة من الأقطار الليبرالية ومن سوق الأورو دولار .

وفي الوقت الذي يخضع لضرورات التضخم الغربي ، حيث يتجه نحو الولايات المتحدة للحصول على حاجته من الغذاء ، أو نحو الولايات المتحدة واليابان ، للاستعانة بها من أجل استغلال موارده النفطية في سيبريا ، ونحو الدول المذكورة أو أوروبا ، كي يحصل على التجهيزات التي لا غنى له عنها ، ألا يحق لنا أن نطرح السؤال التالي : هل يمكن اعتبار الاتحاد السوفيتي سيد مصائره الاشتراكية ؟

(عن تروتينيون . عالم القرن العشرين . دار فايار ١٩٧٨)

☆ ☆ ☆

---

(١) وأكبر دليل على ذلك حاجته الماسة لأنابيب نقل الغاز السيبري إلى أوروبا الغربية في ١٩٨٢ ومناهضة دول أوروبا الغربية لسياسة أمريكا التي تعارض ذلك .

تقلبات الظروف في أوروبا

لقد وهب التفوق التجاري ، والثورة الصناعية ، من بعده ، قارة أوروبا ، وضعاً مهيناً وذلك منذ مطلع الأزمنة الحديثة حتى فجر القرن العشرين . فقد أصابت الحربان العالميتان ، اللتان دارت معاركها في الغالب ، فوق الأراضي الأوروبية ، بويلاتها معظم دول هذه القارة . فتعرضت قوى الدول المتحاربة إلى خسائر جسيمة في الأرواح ، فضلاً عن تخريب مادي رهيب أصاب وسائل الإنتاج .

وهكذا ظهر منافسان جديدان : ففي الربع الأول من هذا القرن ظهرت الولايات المتحدة كدولة صناعية جبارة ، كي تنافسها اليابان ، بعد قليل ، على الزعامة الصناعية .

كما تواترت المصاعب في الامبراطوريات الاستعمارية الأوروبية انتهت بتلاشيها وتحرر المستعمرات ، حرباً أو سلماً . فلم تخسر الدول الاستعمارية السابقة الإشراف السياسي على مستعمراتها السابقة ، التي نالت استقلالها بشتّى الوسائل من ثورية ودبلوماسية ، بل حرمت أيضاً من امتيازاتها الاقتصادية ، كالأسواق المحمية ، كي تحلّ مكانها أشكال جديدة من التنافس ، كمحاولات التنمية ، هذا رغم بقاء الكثير من الارتباطات ، من مالية وثقافية ، والتي يسميها الكثيرون : الاستعمار الجديد .

ولقد تمخّض انهيار روسيا القيصرية عن نشوء أول دولة اشتراكية ماركسية في عام ١٩١٧ ، هي الاتحاد السوفيتي ، وتشكلت بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ في أقطار أوروبا ، التي اجتاحتها جحافل الجيوش الروسية ، جمهوريات جديدة ، هي الديموقراطيات الشعبية .

وهكذا أدت الحربان العالميتان إلى **انشطار أوروبا إلى قسمين** : فبعد الكتل التي كانت قائمة قبل حرب ١٩١٤ على أساس من منافسات قومية ، قامت مكانها اليوم كتلتان مرتكزتان على خصومات ايديولوجية (شكل ٢) .

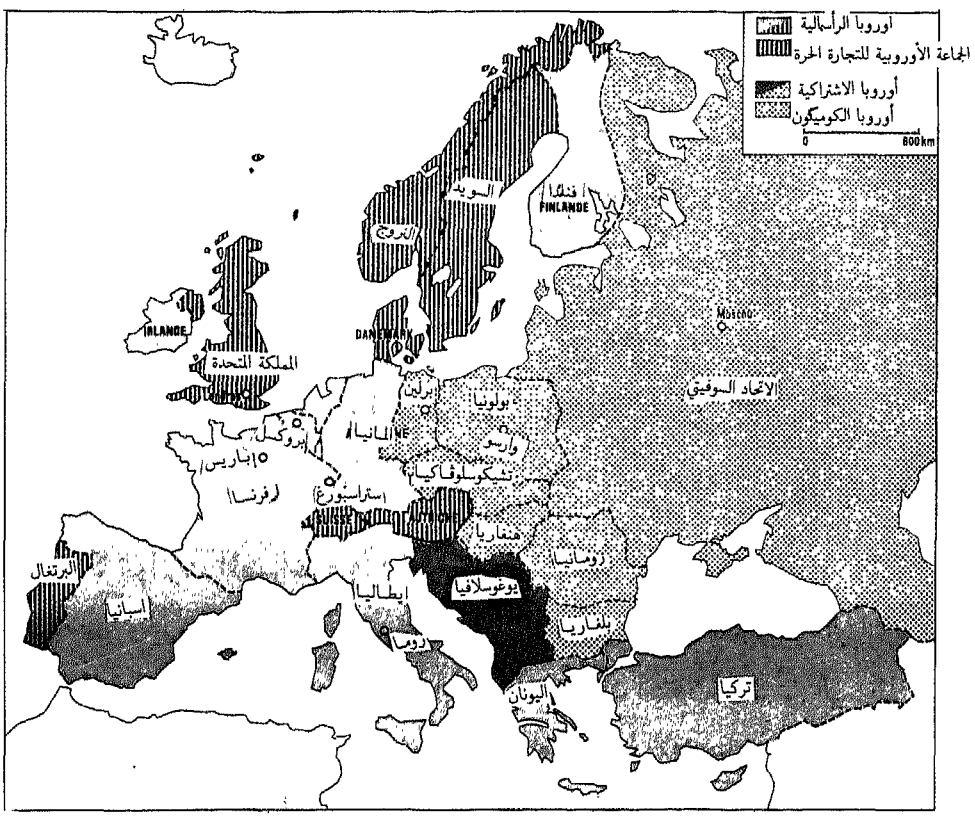

الشكل ٢

أوروبا المنقسمة على نفسها

وخرجت أوروبا من الحرب في ١٩٤٥ مدمّرة : فقد قضيَ على ثلث قدرتها الصناعية . كما أصيبت طرق المواصلات بالشلل ، ولم يعد الإنتاج الزراعي كافياً لتأمين تموين صحيح . أما التجارة الخارجية فقد منيت بعجز ضخم ، وتعرضت العملات الأوروبية إلى تخفيض في قيمتها . وقد شعر سكرتير الدولة الأمريكية ، (مارشال) ، بخطورة الوضع ، فاقترح بتاريخ ٥ حزيران ١٩٤٧ تقديم معونة كثيفة لأوروبا ، لم تقبل بها سوى دول أوروبا الغربية ، في حين قابل الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية هذا العرض برفض جماعي .

وهكذا نشأت **المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي** OECE لإعداد برنامج لاستخدام المعونة الأمريكية على الصورة الأفضل . وبعد توزيع هذه المعونة أمكن إنقاذ أوروبا اقتصادياً في سنة ١٩٥٢ . وظلت هذه المنظمة تعمل لتشجيع تنمية أعضائها : كحرية التجارة عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية ونظام الحصص ، وتحرير المدفوعات بفضل الاتحاد الأوروبي للمدفوعات ، وبفضل بنك التسديدات الدولية ، وابتداء من أعوام الستّينات ، تخلّت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي عن مكانها لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE ، وهي جماعة من دول متقدمة وجدت دول أوروبا ضمنها مكانة سامية .

هذا كما ضاعف الأوروبيون الغربيون جهودهم في التنظيم ، سواء على الصعيد السياسي (المجلس الأوروبي) ، أو على المستوى الاقتصادي (الجماعات) ، وذلك لرد شيء من الإشعاع السابق لهذه القارة القديمة .

أما دول الديموقراطيات الشعبية ، فقد تبنّت أهدافاً وطرائق سوفياتية . وأصبح مجموع أوروبا الوسطى يؤلف كتلة سياسية وعسكرية (حلف وارسو) واقتصادية ، وذلك منذ أن أصبح كل أعضائها شركاء **في مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل** ، الذي أنشئ في عام ١٩٤٩ ، والذي يحاول جاهداً التنسيق بين مختلف البرامج الوطنية وتحسين التعاون الاشتراكي .

منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية

بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٦١ ، حلّت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية مكان المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي ، والتي أصبحت تضم الولايات المتحدة وكندا ، والتي انضمت إليها اليابان في ٢٨ نيسان ١٩٦٤ . وأخذت هذه المنظمة الجديدة على عاتقها كل التزامات المنظمة السابقة ، واتخذت لنفسها رسالة ترمي لتنمية اقتصاديات أعضائها ، وذلك بإقامة علاقات تبعيّة متبادلة فيما بينها . ولكنها تختلف عن المنظمة السابقة بنقطتين : أولاً اهتمامها بالتنمية وليس بإعادة بناء ، وثانياً بإنشائها لجنة العون على التنمية ، لتشجيع نمو الأقطار الناقصة النمو (الدول المتخلفة) والذي يندر أن يتجاوز ١٪ من دخلها الوطني وغالباً مايكون عوناً عسكرياً أو غذائياً لا يسد الرمق والهدف منه الدعاية قبل كل شيء

وهكذا لا تلعب منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية دوراً أساسياً في الميدان التجاري ، لأن تسعة أعشار المنتجات أصبحت حرة التبادل ، ليس بين الأعضاء الأوروبيين فحسب ، بل بين الأعضاء المذكورين وبين الولايات المتحدة . وتلعب المنظمة على الخصوص دور تنسيق وإعلام واستشعار . وتنشر بصورة منتظمة دراسات عن وضع أعضائها الاقتصادي ، وتخمّن تطور الأوضاع المستقبلية ، وتوصي بالعلاجات، وتلعب دور موزع للاستثمارات ، أو تقديم العون للبلاد القليلة التصنيع .

مجلس العون الاقتصادي المتبادل

لم يعمل الرفض الذي قوبل به برنامج (مارشال) من جانب الاتحاد السوفيتي ، ومن خلفه الجمهوريات الشعبية ، أكثر من التأكيد على انفصام قارة أوروبا إلى كتلتين : فقد رفضت كل هذه الدول الاشتراك في المنظمات الاقتصادية المتعلقة بمنظمة الأمم المتحدة ، مثل مؤسسة الغذاء والزراعة F.A.O ، والبنك الدولي لإعادة التعمير والتنمية . وقام الاتحاد السوفيتي بتأسيس مجلس (العون الاقتصادي المتبادل) ، كجواب مباشر على مخطط مارشال الأمريكي ، وذلك بتاريخ ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ . وهكذا التف حول الاتحاد السوفيتي كل من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ، ورومانيا ثم ألبانيا ، وانضمت ألمانيا الديمقراطية في عام ١٩٥٠ . ولا يبدو أن هذا المجلس قد قام ، حتى عام ١٩٥٩ على الأقل ، فوق أنظمة واضحة ، كما لم يحاول أن يخلق مؤسسات متعددة الجنسيات . ويتألف المجلس من ممثلي الأقطار الأعضاء ، ولم يلعب أكثر من دور استشاري وتنسيقي ، دون أن يفكر مطلقاً بتخطيط شامل مفروض . وكل ما قام به في البداية هو تعاون حقيقي ، كما أن شدة تباين القوى بين الاتحاد السوفياتي وبقية دول أوروبا الشرقية أدت بصورة لا محيد عنها ، إلى نوع من وصاية سوفياتية .

من آمبروازي « التاريخ والجغرافيا الاقتصادية للدول العظمى » نشر دولاغراف ١٩٦٧

الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية

من المألوف موازنة الأقطار الرأسمالية مع البلدان الاشتراكية الماركسية . فبعد أن كانت المركنتيلية[1] هي السائدة ، ظهرت الرأسمالية مع الثورة الصناعية في أقطار أوروبا الغربية ، ثم في أمريكا الشمالية حيث استقرت فيها ووطّدت أركانها ، ولكنها انتقلت لمناطق أخرى ، هذا إذا لم يمنعها النظام الاشتراكي الماركسي : وهكذا تحولت روسيا إلى الاشتراكية في عام ١٩١٧ ، وأقطار أوروبا الاشتراكية في سنة ١٩٤٥ ، والصين في ١٩٤٩ ، وتقوم هذه الموازنة على نظريات اقتصادية متخاصمة .

الرأسمالية والاشتراكية الماركسية : مخططان نظريان لعلم الاقتصاد

لما كانت الحرية هي أساس الديمقراطية السياسية ، فإن الرأسمالية تطالب بالحرية ذاتها في المجال الاقتصادي ، سواء بالنسبة للأفراد ، أو بالنسبة للجماعات . وتؤلف المنشأة أو المؤسسة entreprise قلب هذا النظام . فهي التي تعمل على تلاقي مختلف الأطراف الاقتصادية ، مثل المقاول الذي يقدم الخدمات والممتلكات ، والمقرض الذي يقدم الأموال ، والشّغيلة الذين يقدمون قوة العمل . وتقوم المؤسسة بتوزيع عوائد العمل ، أي الأجور ، وعوائد رأس المال ، أي الأرباح ، وتقتطع أرباحها الخاصة . وتؤدي المنافسة الحرة إلى مجابهة المؤسسات فيما بينها ، وقد يؤدي صراع القوى الاقتصادية إلى تلاشي أضعف المؤسسات وإلى تمركزها . وليس من الضروري أن يحدث ضمّ جغرافي لوحدات الإنتاج ، بل

---

(١) نظام اقتصادي نشأ في أوروبا خلال تفسخ الإقطاعية لتعزيز ثروة الدولة بتنظيم الاقتصاد واعتبار المعادن الثمينة ثروة الدولة الأساسية ، أو المذهب التجاري .

يحدث تمركز اقتصادي لوسائل الإنتاج ، وضمّ أفقي إذا كان للمؤسسات النشاط ذاته ، وضم عمودي (شاقولي) إذا كانت الأنشطة متكاملة ، وعندها يسمى الوضع الجديد **دمجاً** . ولكن قد تنبثق مؤسسات جديدة ، دون توقف ، وتحتفظ بطابع متعدد الأقطاب بين المبادهات الاقتصادية .

وعندما تكون الأرجحية **لحرية** المبادهة والتعاقد ، يدعى النظام **ليبرالياً** . أما إذا كانت الأرجحية لامتلاك **رأس المال** في إدارة المؤسسات ، فيدعى النظام **رأسمالياً** .

أما **الاقتصاد الاشتراكي** فيستند على نظريات ماركس ولينين . ويبدو كردّ فعل ضد الرأسمالية المتهمة باستغلال الشغّيلة . ويرغب دعاة الاشتراكية في إقامة اقتصاد وخدمات مكان اقتصاد الكسب ، مثلما يحلّ مكان الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ملكية جماعية لتجعل منها رأسمالية الدولة . ويصدر التنظيم الاقتصادي عن الحزب الوحيد المسيطر هو **الحزب الشيوعي** الذي يعتبر الممثل الديمقراطي للطبقة الحاكمة ـ أي البروليتاريا أو الطبقة الكادحة ـ . وتعتبر الاشتراكية كمرحلة انتقالية نحو مجتمع جديد هو الشيوعية . ولكن يجدر بنا أن نوضّح الاشتراكية الماركسية أو الجماعية ، لتحاشي أي التباس مع « الاشتراكية على النمط الغربي » ، التي تحلم بقيام ديموقراطية اقتصادية دون التضحية بالديموقراطية السياسية المتعددة الأحزاب .

ولكن **الحقيقة الرأسمالية** تبدو متباينة جداً . ففي كل الدول العظمى أوجدت التنمية الاقتصادية الثراء ورفع مستوى معيشة الناس . ولم يحدث الافتقار الجماهيري المتزايد ، بل حدث تشكل طبقة وسطى . وتستطيع غالبية الناس أن تقوم بالتوفير ، وبالتالي توظيف أموالها .

ولا تقوم الفوارق الكبرى بين الطبقات ، بل بين المؤسسات ، وبين المنتجين

والمستهلكين ، وبين الناس الذين يمارسون عملاً وبين العاطلين عن العمل ، وتقوم الدولة بالتدخل أكثر فأكثر لتقوم بدور الحَكَم الذي يحسم النزاعات . وفضلاً عن ذلك تقوم بدور رب العمل ، وبدوْر المؤسس الصناعي ، حتى لتحتل أحياناً دور أكبر رب عمل في البلاد . ويؤلف هذا التنظيم ما يدعى **بالليبيرالية الجديدة** . وتكون المشكلة الاجتماعية الرئيسة هي مشكلة تأمين العمل وليست مشكلة تأمين الموارد . وتلجأ بعض المؤسسات للتخلص من وصاية الدولة ، لإقامة مقرّها في نوع من « جنة ضرائبية » حيث تدير منها فروعها المبعثرة في العالم : ذاك هو **نظام تعدد الجنسيات** transnationale **أي ما وراء الوطنية** .

هذا وتكون **الحقيقة الاشتراكية** متعددة الأشكال أيضاً . ففي عام ١٩٢٨ دخل **الاتحاد السوفيتي** فعلاً في عصر التخطيط ، بيد أن محتوى المخططات ، وتشغيل المؤسسات خضعا للكثير من التطور . هذا ويكون التردد كبيراً بين الإدارة المتمركزة والموحّدة للاقتصاد وبين الحاجة للمرونة وروح المبادهة تجاه البيروقراطية .

وقد اقتفت **الديموقراطيات الشعبية** مثال الاتحاد السوفيتي . غير أن الفلاحين البولونيين نجحوا في الاحتفاظ بأراضيهم . أما في يوغوسلافيا فقد قامت تجربة التسيير الذاتي وتطورت ، وذلك على خلاف التمركز المستبد في النظام الستاليني . واستطاعت **الصين** ، في خلال ثلاثين عاماً أن تنتقل عبر ثلاث مراحل مختلفة جداً . فقد ظلت تقلد النمط السوفيتي مدة عشرة أعوام ، وبعد عام ١٩٥٨ ظهرت الطريقة الماويّة التي تقوم على تحقيق التوازن بين الزراعة والصناعة في إطار الكومّونات الشعبية ، وظهر اتجاه جديد جداً بعد عام ١٩٧٧ راحت تتفوق فيه آراء رجال الاقتصاد على أرباب ايديولوجية الثورة الثقافية .

وهكذا يبدو الواقع الاقتصادي شديد التنوع ، ويتمخّض كل نظام عن صِيَغ متباينة . ففي كل كتلة توجد أنظمة اقتصادية مهيمنة وأنظمة أخرى خاضعة ،

وهذه المفارقات على المستوى العالمي هي تعبير عن حقيقة جوهرية أخرى هي : اختلافات في مستويات التنمية .

☆ ☆ ☆

الرأسمالية الجديدة

إن الانصهار والامتصاص هو أصل **التروستات الأمريكية** . فقد توسعت شركة فورد بالقضاء على المنافسين الصغار ، وتشكلت شركة جنرال موتورز G.M.C ، عن طريق تشارك بويك وباكّار واولدزموبيل وبونتياك . وقد أصبحت هذه التروستات الآن مستقرة ، ولكن رغبة منها في الحفاظ على منافسة حرة ، فقد عمدت لجنة التجارة الفيديرالية إلى منع توسعها عن طريق القوانين المعادية للتروستات . وهكذا يبدو التركز الأفقي والعمودي الآن من خصائص الشركات الصغيرة والمتوسطة . غير أن التمركز المالي من نمط **هولدنغ** أو شركة المستندات ، فإنه يقاوم بشكل أفضل لأن مكافحته تبدو أكثر صعوبة . ومن المؤكد أن بعض المجموعات المالية الضخمة مثل مورغان وروكفلر ودوبون نيمور وميلّلون وكليفلند ، التي تدعمها أهم المصارف ، هي التي تسيطر على أكبر المؤسسات الأمريكية ؛ وهكذا نجد أهم المؤسسات الأمريكية وعددها ٣٢٤ تخضع لإشراف ثمانية مؤسسات مالية .

ولكن الظاهرة الأكثر جِدّة هي **الكونغلوميرا** والشركات المتعددة القوميات . فالكونغلوميرا هي شركة صناعية خاضعة لإدارة واحدة ، ولكنها ذات أنشطة متعددة وشديدة التنوع . فأضخم كونغلوميرا هي ITT(التلغراف والتلفون الدولي) ، والتي كانت تستخدم في عام ١٩٧٢ / ٤٢٨٠٠٠ شخصاً . ويجب البحث عن أسباب نمو هذه الكونغلوميرات : أولاً في الرغبة في التحايل على القوانين المعادية للتروستات . ولكن هناك أيضاً فكرة التخفيف من مخاطر المؤسسة وذلك بتنويع أنشطتها إلى الحد الأقصى . وأخيراً هناك ، على الخصوص ، حاسّة القرن العشرين ، وهي أنه يجب إشباع رغبات المستهلك . . . أي أن الكونغلوميرا هي ظاهرة مدنيّة .

وقد كانت هناك شركات ضخمة ، أمريكية أو غير أمريكية ، توظّف بالخارج على شكل شبه استعماري . أما الشركات **المتعددة الجنسيات** فهي أكثر من ذلك ، حتى ولو كنا نطلق هذا الاسم في اللغة الدارجة ، على كل شركة ذات مصالح في الخارج . والميزة الأكثر وضوحاً في الشركة المتعددة القوميات هي الاستراتيجية العالمية ، فهي تبيع محلياً ، في قلب السوق ، وهي طريقة طيبة للتخلص من الرسوم الجمركية ، وتناور بجذق من بلد لآخر ، في سبيل الاستثمارات المالية ، وفي استخدام الأيدي

العاملة الرخيصة كما في هونغ كونغ مثلاً ، وفي الصيرفة ، وكل ذلك حسب المصالح الحالية أو المستقبلية .

وهناك ظاهرة أكثر حداثة أيضاً وهي أن الرأسمالية الجديدة تجعل من المؤسسة القطعة الرئيسية في « البنية التقنية technostructure » ، كما أظهر ذلك غلبريت في كتابة « الدولة الصناعية الجديدة » ، ذلك أن المؤسسة الحديثة الكبرى لا تحوي أيّ شبه مع الشكل الذي يهيمن فيه رب العمل ، ولا مجال هنا للرواد العصاميين من أمثال روكفلر أو للمنظّمين من أمثال فورد ، من الذين كانوا يفرضون آراءهم . ومن الآن فصاعداً لم يعد البحث عن الربح الأقصى في المؤسسة العصرية هو الحافز ، بل تكون التقنية هي المهيمنة ، ففي داخل المؤسسة هذه يعمل البحث العلمي والاستثمار المالي والتخطيط في خدمة هذه التقنية .

عن تروتينيون « القرن العشرين الأمريكي »
دار نشر بورداس ١٩٧٤

الاقتصاد الاشتراكي والتخطيط : على قدر ما يكون إغفال موقف كارل ماركس في موضوع مبدأ التخطيط واضحاً ، بقدر ما يكون من العسير أن نجد في كتابه ، مستندات واضحة في هذا الموضوع . وكل ما تسمح به تفاسير مؤلّف ماركس هو مشروعية التخطيط في المجتمع ، دون أن يكون من المستطاع توضيح النمط الذي يجب أن يكون عليه التخطيط المذكور : متمركزاً ، لا مركزياً ، أو يتم بالاستعانة بمخطط وحيد إلخ . . .

وقد اقتضى الأمر أن يشهد العالم توسع الاقتصاد السوفيتي السريع ، في الوقت الذي كانت الأقطار الأخرى تتعرض لشلل لا مثيل له في أعقاب الأزمة الاقتصادية الكبرى في عام ١٩٢٩ ، كي يمكن أخيراً طرح مشكلة الإدارة العقلانية بصورة جدّية ورصينة .

ومنذ فترة شيوعية الحرب ، تبنّى الحزب الشيوعي مبدأ المخطط الوحيد في عام ١٩١٩ ، وكان لينين ضد ذلك . . . ففي مقالة نشرتها جريدة البراڤدا في ٢٢ شباط ١٩٢١ عنوانها « مخطط وحيد للاقتصاد » راح ينتقد فيه انعدام الواقعية لدى دعاته ، ومفاهيمهم الأدبية والبيروقراطية والتقليدية التي تفتقر لأى عمل حيّ .

ولكن في عام ١٩٢٤ أي بعد موته مباشرة ، شاعت فكرة المخطط الاقتصادي الوحيد . . . وابتداء من هذه الفترة ، أي ابتداءً من الوقت الذي أصبحت فيه البرامج الاقتصادية من النمط السوفيتي عبارة عن برامج تصنيعية ، راح التخطيط السوفياتيّ النمط يصطدم بمشكلات ستكون متشابهة ، سواء

في الاتحاد السوفيتي ذاته أو في تشيكوسلوفاكيا ، أو في هنغاريا وبولونيا الخ . . . والاتجاه الطبيعي (للنمط) يكون ، في الواقع ، هو تبنّي طرائق مفرطة في تمركزها ، والاستسلام لبيروقراطية معتدّة برأيها وسادرة فيه ، ومتشعّبة ، على أمل أن تحل أوائل المصاعب الكبرى التي ستجابهها .

ومهما كان عليه الأمر فإن مبدأ التخطيط المتمركز يظل هو الساري المفعول ، حتى أنه ليعتبر كأداة من صميم الاقتصاد الاشتراكي ، ولكنه ليس بالقانون الاقتصادي كما لَفَتَ ستالين الأنظار إلى ذلك .

عن بو بروسكي « نشوء النظام السوفياتي في التخطيط »
دار نشر موتون١٩٥٦ ، وعن شامبر في كتاب « الاقتصاد المخطط » P.U.F ١٩٦٨

☆ ☆ ☆

مستويات التنمية

في جملة الأسباب التطويرية المتعددة في مجال التنمية ، هناك مُعْطَيتان يُنظر إليهما على أنها أساسيتان : وهما الوضع الديموغرافي ومستوى التنمية العلمية والتقنية .

لقد تجاوز عدد **سكان العالم** قمة ٤,٥ مليارات نسمة في عام ١٩٨١ ، ويتزايد سكان الأرض حالياً بمقدار ٦٥ مليون نسمة كل عام . وقد أصبح سكان الكرة الأرضية اليوم ثمانية أضعاف ما كانوا عليه عام ١٦٥٠ ، وقد تضاعف عددهم ثلاث مرات منذ قرن واحد ، وتسارع هذا التقدم حسب وتيرة هندسية خلال القرن العشرين . فبين عام ١٩٠١ وعام ١٩٢٥ كان تزايد سكان العالم بمعدل ٨ بالألف سنوياً ، وارتفع إلى ١١ بالألف بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٥٥ ، وإلى ٢٠ بالألف بين ١٩٥١ و ١٩٧٥ ، وإذا استمر سكان العالم في تزايدهم حسب النسق الحالي ، فإن

سكان عالمنا سيتضاعفون خلال ٣٥ سنة فقط . أما سكان البلدان العربية فسيتضاعف عددهم في مدة لاتزيد عن ٢٥ سنة ، أي سيبلغ عدد سكان الأقطار العربية ٣٠٠ مليون نسمة في نهاية القرن العشرين ، منهم ٨٠ مليوناً في مصر لوحدها دون أن يرافق ذلك نمو مواز في التنمية ولاسيما في الإنتاج الغذائي .

وينجم هذا الانفجار الديموغرافي عن هبوط شامل في نسبة الوفيات ، التي بلغت وسطياً ١٣ بالألف . ولكن في الوقت الذي تهبط فيه نسبة الولادات في البلدان الصناعية بنسبة لاتقل عن معدل هبوط الوفيات ، لأن عدد سكان هذه الأقطار الذي يبلغ ١١٠٠ مليون ، أو أكثر من ربع سكان العالم بقليل ، لم تسجل أكثر من ١٧ مليون ولادة في سنة ١٩٧٥ أو ١٥٪ من مواليد العالم في تلك السنة ، فإننا نجد أن الدول الأخرى لاتزال تحتفظ بنسبة توالد شديدة جداً ، إذ كان عدد المواليد فيها في تلك السنة ٩٤ مليون أو ٨٥٪ من مواليد العالم كله .

وقد أدى هذا النمو السكاني إلى تفاسير متشائمة ، كتلك التي صدرت عن أعضاء « نادي روما » ولاسيما عن منظمة الغذاء والزراعة الدولية في ١٩٨١ (تشرين الأول) ، إذ ظهر أن العالم العربي يستورد نصف المواد الغذائية التي يستهلكها ، لأن ٧٪ من أرض الوطن العربي هي المنتجة زراعياً : أي هناك تكاثر

الدولة العام	بلجيكا	فرنسا	المملكة المتحدة	الاتحاد السوفييتي	الولايات المتحدة	إيطاليا	هولندا	ألمانيا الغربية
١٩٥٧	١٧	١٨,٥	١٦,٦	٢٥,٤	٢٥	١٨,١	٢١,٢	١٧
١٩٦٨	١٤,٨	١٦,٦	١٧,١	١٧,٤	١٧,٤	١٧,٦	١٨,٦	١٩,٧

تطور النسبة الخام للتوالد في الأقطار الصناعية : عدد الولادات لكل ألف من السكان بين ١٩٥٧ و١٩٦٨

مفرط في أعداد الناس بالموازنة مع المواد المتوفرة في كرتنا الأرضية ، مما يجعل المستقبل أمام الأقطار الفقيرة حالكاً . ومع ذلك يبدو الآن نوع من تباطؤ في النمو الديموغرافي أخذت ملامحه تظهر للعيان ، فبعد أن كان نمو سكان العالم بمعدل ٣٤ بالألف عام ١٩٦٠ إذ به يهبط إلى ٢٨ بالألف في ١٩٧٥ . وتعتبر الصين المسؤولة الرئيسة عن ذلك الانخفاض ولكنها ليست الوحيدة ، لأن الأسرة الصينية الجديدة لم يعد مسموحاً لها بإنجاب أكثر من مولود واحد ، ويتعرض المخالفون للغرامات المالية كحسم نسبة محددة من مرتب الزوجين وهكذا هبطت نسبة تزايد سكان العالم في فترة ١٩٧٥-١٩٨٠ إلى ١,٧٥ بالمئة سنوياً مقابل ٢٪ بين ١٩٦٠-١٩٦٥ .

وهكذا أصبح معدل النمو السكاني في الأقطار المتخلفة ، نتيجة تحسّن الأوضاع الصحية انفجارياً . ففي السلفادور ، التي تخوض حرباً أهلية ، يبلغ هذا النمو السنوي ٣٧ بالألف ، و٣٥ بالألف في المملكة المغربية والجزائر وأكثرية الأقطار العربية والمكسيك وكوستاريكا ، كي يضرب الرقم القياسي العالمي في الكويت وهو ٦,١ بالمئة عام ١٩٧٥ و ٧,٩ بالمئة في ١٩٨١ أو ٧٩ بالألف .

جدول التزايد السكاني زمنياً حسب النمو السكاني الخام

التزايد الطبيعي السنوي٪	عدد السنوات اللازمة لتضاعف عدد السكان	في قرن واحد ١٠ ملايين نسمة يبلغون
٠,٥	١٣٩	١٦مليون
١	٧٠	٢٧ مليون
١,٥	٤٧	٤٤ مليون
٢ (المعدل العالمي)	٣٥	٧٢ مليون
٢,٥	٢٨	١١٨ مليون
٣	٢٣	١٩٢ مليون
٣,٥ (العالم العربي)	٢٠	٣١٢ مليون
٧,٩ (كويت)	١٠	٦٠٠؟

أما في الأقطار الصناعية في أوربا الغربية ، فيتراوح بين ٢ بالألف كما في الأقطار الاسكندينافية وألمانيا الاتحادية والنمسا و٧ بالألف كما في إيطاليا .

وإذا كان من العسير معرفة أيّ من الاختراعات هو الذي كان له الأهمية العظمى في تاريخ البشرية ، فإن من المؤكد أن **نسق المكتسبات التقنية** ، قد تسارع خلال القرنين الفائتين . فقد كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر متميزاً في بريطانيا بأول ثورة صناعية على أثر اكتشاف الماكنة البخارية واستخدام الفحم الحجري الخ .. وقياساً على ذلك راح العلماء يتكلمون عن ثورات ، مثل ثورة الكهرباء ، وثورة المحرك الانفجاري ، وثورة الطاقة النووية والالكترونيك . والحقيقة نحن نعيش عصر الاكتشافات وأشكال التقدم التقني المستمر . وإذا كان الاختراع في الماضي نتيجة مصادفة ، فإن اكتشافات اليوم تكون منسّقة حتى أنها لتحدث في عدة أقطار راقية في وقت متقارب : فقد أصبح العالم أكثر من أي وقت مضى مرتبطاً بنمو البحث التطبيقي .

هذا ولا يمكن فصل هذا التقدم التكنولوجي عن **التكوين الثقافي وعن الوسائل المالية** المخصصة للبحث العلمي ، أو بعبارة أخرى ، ينحصر هذا التقدم بشكل خاص في الأقطار التي تتمتع بصورة مسبقة بوضع اقتصادي متميز ، مما يزيد في استفحال اختلال التوازن بين الأقطار الفقيرة والأقطار الغنية ، أي هناك بلدان تزداد ثراءً كاليابان التي يقل النمو السكاني فيها سنوياً عن ١٪ مقابل تنمية اقتصادية تزيد عن ٧ ٪ وبلدان يكون النمو الاقتصادي فيها معدوماً كالسودان ، أو متقهقراً مثل الصومال مع نمو سكاني يزيد عن ٣ ٪ .

ولقياس **الثراء الاقتصادي** في قطر معيّن وغنى سكانه ، يمكن استخدام قرائن لها قيمة الروائز tests مثل : قرينة المتوفّرات الغذائية وتحسب بالسعرات (حريرات) شكل (٣) ، واستهلاك الطاقة ، واستهلاك الفولاذ ، ولكنها تكون قرائن جزئية . ومنذ أن أصبحت الحسابات القومية تسمح بتقدير مداخيل الدول فقد

أصبح الاعتماد أكثر فأكثر على قرينة إجمالية ، وهي دخل الدولة الموزع على سكانها . وهكذا نجد أن **الناتج الخام للفرد** يكون في اتحاد الإمارات العربية وهو ٣٠٠٠٠ دولاراً في عام ١٩٨٠ أكثر ارتفاعاً من مثيله في الحبشة (أيثيوبيا وهو ١٥٠ دولاراً) بمقدار ٢٠٠ مرة . ولا يبدو أن التطور يسير في اتجاه توازن قريب منظور ، لأننا كثيراً ما نجد أن الأقطار التي يكون النمو الديموغرافي فيها وثّاباً ، هي التي يكون التقدم الاقتصادي فيها بطيئاً جداً ، باستثناء دول الخليج الصغيرة التي لا تمثل أكثر من رقعة من المخمل البراق ، فوق ثوب من الأسمال ، هو رداء الفقر الذي ترتديه معظم الأقطار العربية . وقد أشار إلى ذلك الأستاذ (بيار جورج) ، رئيس المؤتمر العالمي للسكان الذي عقد في بخارست عام ١٩٧٤ ، والأستاذ في السوربون ، عندما ذكر في محاضرة له عام ١٩٥٦ : لا تسير الأقطار المتخلفة نحو الفقر الذي بلغته منذ زمن طويل ، بل تسير قُدماً نحو التسوّل ، أو كما يقول المثل الأوربي : الأغنياء ينتجون المال والفقراء ينتجون الأطفال . وإذا كانت نظرية ماركس عن دكتاتورية الطبقة العاملة لم تتحقق في البلدان الصناعية ، فإن نظرية مالتوس قد تحققت في الدول المتخلفة . وتكون موازنة نَسَقيْ التطور هي أساس تصنيف **مستويات التنمية** أو مستويات المعيشة :

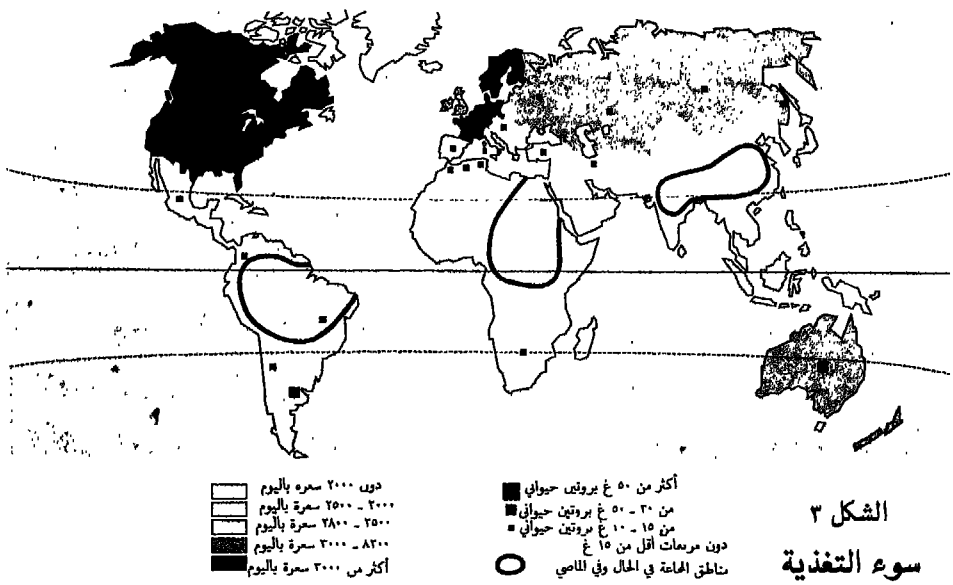

الشكل ٣
سوء التغذية

فالأقطار المتقدمة تتصف بتقدم اقتصادي أعلى من نسق توسعها الديموغرافي ، فهنا تكون السلع الاستهلاكية وفيرة فيها وجيدة التوزع نسبياً ، مما يدفع بعض العلماء إلى القول بأن نبحث عن « نوعية أو كيفية المعيشة » أكثر من البحث عن النمو الكمّي .

أما **الأقطار السائرة في طريق النمو** فقد تعرّفت على التقنيّات الحديثة متأخرة ، ولكن وضعها آخذ في التحسن بمجرد أن يكون التقدم الاقتصادي أكثر تسارعاً من النمو الديموغرافي . وقد حقق كل من اليابان والاتحاد السوفيتي ، ضمن إطار نظامين اقتصاديين مختلفين ، مثالين ناجحيْن عن عملية « الإقلاع » ولحقت بهما كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة ، وربما تكون تلك هي حالة الأقطار النفطية القليلة السكان مثل ليبيا ودول الخليج العربي .

أما **البلدان الناقصة النمو أو المتخلفة أو الأمم الكادحة أو أمم الجنوب** ، فتتميز بحيوية ديموغرافية عدّاءة تتقدم كثيراً على التنمية الاقتصادية . وهنا نلاحظ أن الكفاح في سبيل التقدم يكون عسيراً ، حتى ولو كانت هناك ثروات قابلة للتصدير ، كحال الجزائر التي تنفق نصف قيمة نفطها وغازها على استيراد المواد الغذائية ، وحال إيران وفنزويلا والمغرب ، وإذا ظلت الأمور على هذا المنوال فيها فإن وضعها سيأخذ في التدهور بسرعة .

وهكذا نجد العالم اليوم في حالة سباق بين خلق الثروات وبين التطور الديموغرافي . ومنذ القرن الثامن عشر كان العلماء يرتعدون فَرَقاً من هذا المصير . وهذا ما دعا مالتوس (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤) البريطاني إلى تخفيض عدد المواليد . وهكذا تكون المجابهة ليست بالجديدة بين « أنصار تكاثر السكان » وبين « المالتوسيين » الذين رجحت كفة آرائهم حتى في أكبر قطر ماركسي ؛ هو الصين الشعبية .

التقدم التقني ومجالات الاستخدام

بعد أن كان الجهد التقني يستهدف في البداية زيادة الإنتاجية ، عن طريق تدخل الآلة ، أصبح يقوم بالتالي على تحسين وسائل العمل : كالعمل المتسلسل ، أو البساط الدائر ، والتايلورية في الولايات المتحدة ، والستاخانوفية في الاتحاد السوفيتي ، والأتمتة ، والتي كانت تمثل المراحل الكبرى في طريق هذا التطور ، في العمل الصناعي واليدوي . وقد أصبح هذا التحول فيما بعد يدخل حيّز التطبيق في القطاع الثلاثي ، أو قطاع الخدمات ، من خلال الحاسب الألكتروني والمحرّك من بُعد télématique .

غير أن هذه الإنجازات العلمية لا تخلو من محاذير . وندين للعالم الفرنسي الكبير ألفرد سوفي بالتمييز بين أشكال التقدم (التقدمي) التي تزيد في المواد المتوفرة أمام الإنسان ، كاستخدام المواد الأولية بصورة اقتصادية أكثر ، واستغلال تعديني أكثر نجاحاً ، واستصلاح الأراضي البور ، والحماية ضد انجراف التربة والملوحة ، وبين أشكال التقدم (التراجعي) كإحلال الآلة مكان الإنسان دون أن توفّر له مجالات عمل أخرى ، والأتمتة ، والتي تقلّص مجالات الاستخدام ، بحيث قد تؤدي لنتائج اجتماعية مأساوية . ومنذ أكثر من قرن أصبحت الزراعة في البلدان المتقدمة تنتج أكثر مع أيدٍ عاملة أقل ، ففي الولايات المتحدة لا تزيد نسبة العاملين في الزراعة عن ٦٪ من الأيدي العاملة . وقد كان هذا قليل الخطورة ما دامت الهجرة الريفية تجد في مجالات العمل الحضرية ضمن القطاعين الثانوي والثلاثي وظائف جديدة . ولكن هذه الحالة ليست صحيحة تماماً الآن إذا لم يبلغ النمو الاقتصادي نسبة مرتفعة . وهكذا نجد منذ عام ١٩٧٤ أن هناك أزمة في مجالات العمل ، أو بطالة ، في الأقطار المتقدمة ، إذ ارتفع عدد العاطلين عن العمل في بريطانيا إلى أكثر من مليونين في عام ١٩٨٠ ، لأن النمو الاقتصادي يتراوح في الأقطار الصناعية بين ٢ و ٤٪ سنوياً ، ولكنه يصل إلى ٧٪ في اليابان ، في حين يكون دون الصفر كما في الصومال والسودان ونيبال كما سبق ورأينا ولكن البطالة لاتعني في البلاد المتقدمة البؤس المطلق.

تسمية غير دقيقة : الأقطار السائرة في طريق النمو : لقد ظل خبراء الأمم المتحدة يرجعون دوماً في تقاريرهم الكلام عن « الأقطار السائرة في طريق النمو » ، بالمقابلة مع الأقطار المتقدمة أو المتطورة ، عوضاً عن القول : الأقطار الناقصة النمو أو المتخلفة . ولكن يبدو أنه من التناقض أن نطلق عبارة بلد سائر في طريق النمو ، على قطر تتناقص فيه الموارد ، بالنسبة للواحد من السكان بمعدل ٣ أو ٤٪ في كل عام ، مثل بنغلادش وموريتانيا والسودان والحبشة ولا سيما إذا كان هذا الاتجاه مستمراً منذ فترة طويلة نوعاً ما .

عن لامبير في « القرن العشرين الثاني » دار نشر كولان ١٩٧٧

اكتظاظ السكان والمالتوسية الجديدة

قبل بضعة أعوام خلت ، كانت الأوضاع العالمية تدفع للاعتقاد بأن سكان العالم يتجهون نحو جموح انتحاري . وراجعت الأمم المتحدة إسقاطاتها السكانية الصاعدة لعام ٢٠٠٠ ، وقدمت رقم ٦٤٩٤ مليون نسمة . وسار على دربهم رجال الفكر والإعلام ، دون تردد ، والذين دعتهم الأطروحات الايكولوجية ، ذات الرواج المتصاعد ، حتى ولو كان ذلك على حساب تقريبات خارجية واهية ، فقدموا رقماً يثير الذعر ، وهو ٧ مليارات إنسان في نهاية القرن العشرين ، وعلى أساس تضاعف سكان العالم كل ٣٠ سنة تقريباً ، فإن البشر سيبلغون ١٠٠ مليار نسمة في مطلع القرن الثاني والعشرين ، وستصل الكثافة إلى نسمة واحدة في كل آر من الأرض العائمة (١٠٠ م^{٢}) في عام ٢٢٢٥ أو كثافة تصل إلى ١٠٠٠٠ نسمة في الكيلو متر مربع ، أو عشرة أضعاف ما هي عليه الآن ، في أكثر دول العالم ازدحاماً . ويصل الأمر إلى درجة تقشعر لها الأبدان ، عند تصور عدد من السكان بمثل هذا التكدس ، بحيث لا يمكن لهم العيش إلا في محطات شاقولية . وقد تمّ تتويج هذا التيار بنشر تقرير نادي روما في عام ١٩٧٢ ، والذي يقول أن استنزاف معظم المصادر المعدنية من سطح الأرض سيقع قبل ١٠٠ عام ، ويقترح نمواً مقداره صفر على الصعيد الاقتصادي والديموغرافي ، على أساس أنه السبيل الوحيد لإنقاذ المدنيّة الغربية . وعلى أساس هذا الاندفاع فقد كان من المنطقي أن تدعو الأمم المتحدة كل أقطار الأرض للتوقيع سوية على نصٍ تتعهد فيه أكثر الدول تكاثراً بتحديد نموها السكاني . وعلى هذا الأساس ظهرت ورقة العمل ، التي اقترحت في مؤتمر بخارست لعام ١٩٧٤ . غير أن معظم الأمم الفقيرة ثارت على هذه الرؤية المالتوسية : أي أن السيطرة على التوالد لا يجوز أن يكون شرطاً مسبقاً للتنمية ، بل على العكس « فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية هي العامل الحاسم في حل المشكلات الديموغرافية » . وهكذا أجابت الأقطار المتخلفة على القومية وعلى الأنانية الاقتصادية بقومية أخرى ، وبترك الحبل على الغارب على الصعيد الديموغرافي ، وهو جواب لا يقل غموضاً عن اقتراح الدول المتقدمة .

ج . ڤيرييه « السياسات السكانية »

P.U.F ١٩٧٨

على نقيض سياسة الحماية الجمركية المتشددة خلال الثلاثينات من هذا القرن ، فإن دول العالم دخلت تدريجياً ، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، في **عصر الانفتاح الاقتصادي وتسارع المبادلات التجارية .**

وقد قامت بلدان الاقتصاد الليبرالي بتمهيد الطريق . فقد انضمت على شكل مجموعات كبرى ، كي تؤلف **مناطق التجارة الحرة** ، تمنح الدول الأعضاء بعضها بعضاً شروط الأفضلية التجارية على منتجاتها : سواء كان ذلك بين الدول المتقدمة (الرابطة الأوربية للتجارة الحرة التي أنشئت في أعقاب اتفاق استوكهولم في عام ١٩٦٠) أو بين دول العالم الثالث (الرابطة اللاتينية الأمريكية للتجارة الحرة ، التي تأسست في العام ذاته على أساس معاهدة مونتيڤيديو) . واندفع هذا الاتجاه لأبعد من ذلك أحياناً ، لأن صيغة **السوق المشتركة** ، هي عبارة عن اتجاه جمركي حقيقي ، مع أهداف اقتصادية منسجمة ، كالسوق المشتركة للسوق الأمريكية الوسطى ، **والاتحاد الاقتصادي والنقدي** ، وهو هدف اللجنة الاقتصادية الأوروبية ، وهو المرحلة النهائية لمثل هذا التطور .

أما **على الصعيد العالمي** ، فقد أنجز مؤتمر جنيف لعام ١٩٤٧ ، الذي كان مؤتمراً تحضيرياً لمنظمة التجارة الدولية ، وبمبادرة من منظمة الأمم المتحدة ، أقول أنجز نظاماً دعي « الاتفاق العام على التعرفات والتجارة » .

وتحت كنفه جرت المفاوضات التجارية الكبرى ، مثل اتفاق (كندي) لفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ ، واتفاق (طوكيو) ابتداءً من عام ١٩٧٣ .

وبعد أن ظلت الأقطار الاشتراكية مترددة لفترة طويلة ، راحت تنفتح

تـدريجيـاً فيما بينهـا ، بموجب اتفـاقـات مثـل مجلس العـون الاقتصـادي المتبـادل (كوميكون) ، أو مع دول العالم الثـالث ، كاتفـاق يوغوسلافيـا ومصر والهنـد في عام ١٩٦٧ ، أو ثنائياً مع العديد من الدول الرأسمالية المتقدمة .

وكانت حصيلة مثل هذا التطور ، **بلوغ مستوى عالمي في المبـادلات لم يسبق له مثيل إطلاقاً :** فقد بلغت قيمة المبادلات العـالميـة ١٢٩٥ مليـار دولار في ١٩٧٨ . ويعود النمـو السنـوي الـذي بلـغ ١٣٪ ، إلى زيـادة في الحجم بلغت ٤٪ وإلى غلاء أسعار المنتجـات بمعـدل ٩٪ سنويـاً ، والتي ازدادت على الخصوص منـذ عام ١٩٧٣ . وتكون حصة كل كتلة شديدة التفـاوت : فـالأقطـار المتقـدمـة ذات الاقتصاد الليبرالي ، تحقق أكثر من ثلثي التجارة العالمية أو ٦٧,٤٪ يعود ٤٢,٣٪ إلى أوروبة الغربية لوحدها . أما الأقطار الاشتراكية فلا تقوم بأكثر من عشر التجارة العالمية أو ٩,٧٪ ، في حين تقوم دول العالم الثالث بأقل من ربع التجارة المـذكورة أو ٢٢,٩٪ ، مع أن شعوبهـا تؤلف ثـلاثـة أربـاع سكان الأرض ، لأن « المتسـولين لا يؤلفون سوقـاً » كما يقـول رجـال الاقتصـاد . وتنـدر المجمـوعـات ذات الـوضـع التجـاري المتوازن ، فـلأوروبـا الغربيـة معـدل تغطيـة للمستـوردات عن طريـق الصادرات يبلغ ٩٢,٤٪ ، والولايات المتحـدة ٧٦,٧٪ ، والأقطـار غير النفطيـة في العالم الثالث ٨٨٪ ، والبلدان الاشتراكية بنسبـة ٩٣,٩٪ ، ولكن اليـابـان وألمـانيـا الغربيـة ولا سيما الأقطـار المصـدّرة للبترول ، والقليلـة السكان ، هي التي تكـون ذات فائض تجاري كبير . ولاختلالات التوازن هذه صداها على قيمة النقد ، الذي تتم بواسطته هذه المبادلات .

ويفترض نمو المبادلات التجارية وجود تنظيم للتسديـدات الـدوليـة ، يعمل ضمن إطار **منظمة نقدية** . وقـد ظلت هـذه المنظومـة المتفق عليهـا في (بريتو نوودس) في عام ١٩٤٤ معمولاً بها ، وظلت هي السائـدة خلال ٣٠ سنـة من قبل ٤٥ دولـة ، لأن الاتحـاد السـوفيتي لم يكن فيهـا أكثر من مراقب . وكانت هـذه

المنظومة استمراراً لمنظومة **السعر الثابت للصرف الذهبي** ، التي أنشئت في عام ١٩٢٢ والذي كان ينصّ على وجوب تسديد فائض وعجز ميزان المدفوعات بالذهب أو بعملة قابلة للتحويل إلى ذهب . وقد كانت كل العملات مرتبطة بتعادلات ثابتة ، وكان الدولار يلعب دور العملة « المرجع » على أساس أن الأونصة من الذهب تعادل ٣٥ دولاراً . ومن ثم أنشئ صندوق النقد الدولي ، الذي تغذّيه مساهمات الدول الأعضاء ، ومهمته التحكيم ومنح حقوق السحب .

ولما أصبح الدولار بدءاً من نهاية الستينات يفقد استقراره بسبب العجز المستمر في ميزان المدفوعات الأمريكي ، فإن هذه المنظومة لم تعد قادرة على الاستمرار . وقد زاد التضخم العالمي الناتج ، بعد عام ١٩٧٣ ، عن ارتفاع أسعار النفط ، وأدى ذلك إلى تعميق الهوّة بين العملات النادرة القوية ، كالفرنك السويسري والمارك الألماني والين الياباني وبين العملات الأخرى ، وهكذا جاءت اتفاقيات جامايكا في سنة ١٩٧٦ كي توجد منظومة جديدة تقتضي بأن :

ـ العملات لم تعد مرتبطة بالذهب وعلى صندوق النقد الدولي أن يتخلّص من مخزونه من هذه المادة .

ـ تصبح القاعدة « المرجع » هي حقوق السحب الخاصة ، وهي عملة حسابية تعهد لعام ١٩٦٩ ، ومحدّدة بالنسبة إلى « سلّة » من العملات لايشكل الدولار فيها أكثر من الثلث ، والتي تلعب دوراً مزدوجاً ، أي دور وحدة قيمة قياسية وأداة ادّخار .

تحل أسعار العملات القائمة مكان التعادلات الثابتة . إذن تتغير أسعار العملات من يوم لآخر . وقد سمح لبعض الدول بأن تقيم بين عملاتها تعادلات مستقرة وقابلة للتسوية . وذاك هو مبدأ المنظومة النقدية الأوربية .

وعلى كل حال فإن دور الذهب لازال هاماً ، والاعتمادات بالدولار التي

يحتفظ بهـا الأوربيون الغربيون (أورو دولار) ، ولـدى الـدول المصـدّرة للنفـط (بترو دولار) ، لاتزال عملياً بمعزل عن أي إشراف أو رقابة .

☆ ☆ ☆

التجارة العالمية لعام ١٩٧٧ بمليارات الدولارات الأمريكية

	الصادرات	الواردات
١ ـ المناطق المتقدمة	٧٣٦	٧١٠
يخص منها أوروبا الغربية :		
الجماعة الاقتصادية الأوروبية	٣٧٥,٧	٣٨٢
الأقطار الأخرى	٨٦,٩	١١٨,٨
المجموع	٤٦٢,٦	٥٠٠,٨
الولايات المتحدة	١٢٠,٢	١٥٦,٧
كندا	٤٣,٢	٤٢
اليابان	٨٠,٥	٧٠,٧
الأقطار الأخرى	٢٩,٥	٢٨
٢ ـ الأقطار السائرة في طريق النو :	٢٨١	٢٤٠
يخص الأقطار المصدّرة للنفط	١٤٨	٨٩
الأقطار الأخرى	١٣٣	١٥١
٣ ـ الدول الاشتراكية	١٠٧	١١٤
المجموع العام	١١٢٤	١١٥٢

التيارات الكبرى للمبادلات التجارية الدولية

بلغت قيمة التجـارة ١١٢٢ مليـار دولار في ١٩٧٧ ، مقـابل ١٢٩٥ مليـار دولار في ١٩٧٨ ، وكانت المنتجات الأساسية تؤلف ٣٩٪ منها ، منها منتجات زراعية ١٧٪ ، ومنتجات معـدنيـة ٢٢٪ ، ومجموعهـا ٤٢٧ مليار دولار ، والمنتجات المصنوعة ٦١٪ أو ٦٧٦ مليار دولار .

الذهب

هناك ٢٤٩٠٠ طن من الذهب مملوكة بصورة خاصة شخصية . ويملك الفرنسيون ١٨٪ أو ٤٦٠٠ طن ، أي أكثر من كل الأوروبيين الآخرين ، الذين يتصرفون بمقدار ٤٤٠٠ طن ، أو ما يعادل تقريباً كل ما يملكه سكان القارة الآسيوية ، الذين يختزنون مقدار ٥٣٠٠ طن ، ويكتنز الأفارقة ٣٢٠٠ طن ، والأمريكيون ٤٩٠٠ طن .

وتبلغ الاحتياطات العامة مقدار ٣١٩٠٠ طن في الأقطار غير الاشتراكية ، مودعة في خزائن الدول والبنوك المركزية وفي صندوق النقد الدولي . ويعتقد بأن وزارة الإشراف tutelle في الاتحاد السوفيتي تشرف على إنتاج سنوي يقارب ٤٤٠ طن ، وتستهلك الصناعة من الكترونية وفضائية مقدار ٣٠ إلى ٥٠ طن ، ويباع في سوق لندن مقدار ٣٤٠ ، ويذهب مقدار ٦٠ طن لخزائن الدول لدعم نقدها ، وقد تبلغ هذه المدخرات مقدار ١٠٠٠٠ طن ، أي تعادل ما لدى الولايات المتحدة.

وإذا جمعنا الاحتياطات العامة وهي ٣١٩٠٠ طن ، والخاصة هي ٢٤٩٠٠ طن لدى البلاد الغربية ، والاحتياطات المحتملة لدى الاتحاد السوفيتي وهي ١٠٠٠٠ طن ، ولدى بعض دول شرق أوروبا فإننا نصل إلى مقدار إجمالي من الذهب يزن ٧٠٠٠٠ طن من أصل ١١٠٠٠٠ طن ، استخرجت من أحشاء الأرض منذ فجر الأزمنة التاريخية .

أما الباقي وهو ٤٠٠٠٠ طن فقد تحول لأغراض صناعية ، وفنية ، وطبية ، وأسنان واختفى الباقي في المدافن أو في قيعان المحيطات مع السفن التي كانت تحمله .

وعلى كل يظل ثلثا الذهب محفوظاً وعقيماً .

عن ر . سيديو . بريس . ١٩٧٨

عالم متعطش للطاقة

لقد ظلت الحياة الاقتصادية العالمية ، خلال آلاف السنين ، تجري حسب نسق بطيء ، بقدر ما كانت تسمح به مصادر الطاقة الضئيلة المتوفرة . فاستخدام الفحم الحجري الذي عرفته أوروبا ، والصين منذ العصر الوسيط ، لم يأخذ مكانته الحقيقية إلاّ بعد ظهور الآلة البخارية . وعندئذ بدأ عصر الطاقة الذي شهد عدة مراحل فيما بعد على أثر اكتشاف واستغلال النفط ، ثم إنتاج وازدهار الكهرباء ، ثم الهيمنة على الطاقة النووية الانشطارية ، وأخيراً بدء الخطوات الأولى نحو استغلال الطاقة الشمسية والحرارية الأرضية والريحية الخ . . .

وإلى جانب موارد الطاقة الضعيفة المردود كالخشب ، وروث الحيوانات ، والنباتات ، التي تبدو مساهمتها ضئيلة ، فقد أصبح الاعتماد من الآن فصاعداً ، على ثلاثة مصادر حرارية هي : الفحم الحجري ، والوقود السائل ، والكهرباء الأولية ، من كهرمائية ونووية . وقد كان **التقدم في هذا المجال مدهشاً** : ففي عام ١٩٠٠ كان الإنتاج يعادل ٧٦٠ مليون طن من معادل الفحم (ط.م.ف) ، وفي عام ١٩٢٠ بلغ ١٥٠٠ ، وفي ١٩٥٠ بلغ ٢٨٠٠ وتضاعف الإنتاج في خلال ١٥ سنة ، فبلغ ٥,٨ مليار عام ١٩٦٥ ، ويقارب الإنتاج مقدار ٩,٢ مليار في ١٩٨٠ . بيد أن إنتاج هذه المصادر الثلاثة لم يتطور بصورة متوازية : فبين ١٩٠٠ و ١٩٦٠ تضاعف مقدار إنتاج الفحم ، ولكن تزايد إنتاجه يبدو الآن ضعيفاً نسبياً ، هذا مثلما تباطأ أيضاً إنتاج الفحم الأبيض في حين إنتاج الكهرباء النووية بشكل مثير للإعجاب . أما إنتاج النفط فقد تعرّف على اندفاع كالسهم . فبعد انتظار بلغ القرن وصل الإنتاج إلى ملياري طن سنوياً في عام ١٩٦٠ ، ولكن منذ ١٩٦٩ تجاوز الإنتاج ملياري طن ثم تباطأ بعد ١٩٧٤ ، ويتوازى إنتاج النفط مع إنتاج الغاز الطبيعي .

ويعتبر **استهلاك الطاقة** كمعيار لدرجة التنمية والرقي . وتكون الفروق في هذا المجال مدهشة ومذهلة ، إذ تتراوح بين ١ و ١٠٠ . فالأقطار الفقيرة لا تستهلك من الطاقة أكثر مما يستهلكه الفرنسي في أواسط القرن الماضي ، أو ما يعادل ١٥٠ كغم من (ط م ف) ، في حين يستهلك الفرد الأمريكي قرابة ١٢ طن . وهكذا تستهلك الولايات المتحدة ٣٠٪ من الطاقة العالمية المستهلكة سنوياً ، مع أن سكان الولايات المتحدة لا يؤلفون سوى ٦٪ من سكان الأرض . وهكذا نميز ثلاث فئات من الأقطار في العالم من هذه الزاوية :

ـ الأقطار المفترسة للطاقة : وهي أمريكا الشمالية وأوروبا الشمالية الغربية ، والتي تستهلك ٥٠,٥٪ من الإنتاج العالمي ، مع أن عدد سكانها لا يزيد عن ١٢٪ من سكان العالم أي نسبة ٤ إلى ١ .

ـ الأقطار المتوسطة الاستهلاك : وتمثلها بقية دول أوروبا والاتحاد السوفيتي واليابان وأوستراليا ونيوزيلندة وتستهلك ٣٤٪ من الطاقة ، مقابل ١٧٪ من سكان العالم أي نسبة ٢ إلى ١ .

ـ الأقطار الضعيفة الاستهلاك : التي تنال ١٥,٥٪ من الطاقة مع أن سكانها يعادلون ٧٠,٥٪ من سكان العالم ، أي نسبة ٠,٢٢ إلى ١ وتظل متأخرة جداً في هذا المجال .

هذا وتختلف نسبة أنواع الطاقة المستهلكة من قطر لآخر بدرجة عظيمة . فكل دولة تمنح أنواع القدرة الأربعة الأساسية درجة مختلفة جداً ، حسب ثرواتها الخاصة أو حسب شروط تموينها . وهذا هو أحد مظاهر **الحصيلة الطاقيّة** وتمنح الحصيلة العالمية حالياً مقدار ٣٣٪ للفحم ، و ٤٤,٥٪ للنفط ، و ١٥,٥٪ للغاز الطبيعي و ٧٪ للكهرباء الأولية .

هذا وعلى الرغم من وجود **أنواع فحم** جديدة كفحم الليغنيت الثلاثي ،

وفحم الطورب (الخث) الرباعي فإن أهم **المكامن الفحمية** هي العائدة للعصر الفحمي (الكاربونيفير) ، أي في عصر الالتواءات الهرسينية .

ولهذا السبب نجدها موزعة في الكتل الجبلية العائدة للحقب الأول في نصف الكرة الشمالي ، أي أمريكا الشمالية ، وعلى الأخص ، في الولايات المتحدة ، وفي أوروبا الشمالية الغربية ، وأوروبا الوسطى ، والاتحاد السوفيتي والصين وتقدم جميعاً ٩٠٪ من الإنتاج العالمي .

هذا وهناك ٣٠ سنة من التأخر بين نهضة إنتاج النفط ، وبين تقدم إنتاج الغاز الطبيعي . فبعد أن كان إنتاج النفط محدوداً ، في مطلع القرن الحالي ، بدولتي الولايات المتحدة وروسيا ، أصبح **إنتاج النفط** عالمياً غداة الحرب العالمية الأولى . وهكذا أضافت الأقطار الجديدة في منطقة البحر الكاريبي والشرق الأوسط أسماءها إلى لائحة منتجي النفط التي أصبحت طويلة جداً في الوقت الحاضر ، في حين أصبح التكرير والاستهلاك شاملين في الأقطار المحرومة من مصادر نفط وطنية . وهكذا أصبحت جغرافية النفط عالمية بعد أن استفادت من سهولة النقل البري بواسطة الأنابيب أو البحري بواسطة الناقلات العملاقة التي بلغت حمولة البعض منها نصف مليون طن .

وعلى خلاف ذلك فقد ظل **إنتاج الغاز الطبيعي** حتى عام ١٩٤٠ إنتاجاً أمريكياً بحتاً ، حيث كان إنتاجها يعادل ٩٦٪ من الإنتاج العالمي . أما في المناطق الأخرى فكان يتم إحراق الغاز في مشاعل جهنمية أو يعاد حقنه للحفاظ على ضغط النفط في المكامن المختلطة . أما الآن فقد انضمت أوروبا الغربية والاتحاد السوفيتي وكندا والجزائر وليبيا ودول الخليج إلى قائمة منتجي الغاز . وبعد أن كانت تجارته محدودة جداً خلال فترة طويلة ضمن مسافات محدودة ، فقد أصبحت الآن ممكنة بفضل تمديد أنابيب هائلة feeders بعيدة المدى ، مثل الأنبوب الذي يمتد من الاتحاد السوفيتي حتى فرنسا مروراً بدول أوروبا الشرقية

والخط الذي يمتد من إيران إلى الاتحاد السوفيتي ، وأخيراً بفضل تمييع الغاز ونقله بالسفن الناقلة للغاز أو méthaniers .

وبينما لا تكون الكهرباء الحرارية أكثر من تحويل طاقة استخرجت من مكان آخر كالفحم أو المازوت (سولار . فويل) والغاز المحروق في مراكز حرارية ، فإن **الكهرباء الكهرمائية والذرية** (النووية) أصبحت تضيف مساهمتها إلى الحصيلة الطاقية العالمية . وعلى كل فإن الدول الصناعية تحتل هنا مكاناً مهيناً في كلتا الحالتين ، نظراً لضخامة الاستثمارات ومتطلبات التكنولوجيا ، لأنها تملك شبكات نقل بعيدة المدى ومترابطة .

الفحم في العالم : الاحتياط العالمي ١٠٧٥٤ مليار (بليون طن)

الاحتياط : الاتحاد السوفيتي	٥٣٪	**الإنتاج في ١٩٨٠**	
الولايات المتحدة	٢٧٪	الولايات المتحدة	٢٦,٨٪
الصين	٩٪	الصين	٢٤,٩٪
أوروبا	٥,٥٪	الاتحاد السوفيتي	٢٢,١٪
بقية العالم	٦,٥٪	أوروبا الغربية	٢٠,٣٪

ملامح تطور مزدوج في الأحواض الفحمية

- من ناحية ، هناك **المناجم الفحمية** « المريضة » في أوربا الغربية ، وهي مناجم مستغلة منذ فترة طويلة وذات بنية غير ملائمة ، واستغلت على عمق كبير ، وتسير هذه الأحواض نحو الانحطاط . ولا يتجاوز مردود العمل اليومي ، وهو ٨ساعات ، مقدار ٤طونات إلاّ فيما ندر ، وغالباً ما يكون المردود نصف هذا الرقم . ورغم جهود التحديث المبذولة ، وإعادة تنظيمها ، فإن الفحم الناتج غير أهل للمنافسة في السوق العالمية .

- ومن ناحية أخرى ، هناك **مناجم فحم « في صحة طيبة »** كما في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين ، والتي تعتمد على ذخر ضخم يكون أحياناً في بداية استغلاله . وهنا لايجري سوى استغلال المكامن القليلة العمق ، وأحياناً على المكشوف بواسطة جرافات جبارة . وهكذا يبلغ مردود العامل في اليوم ١٤,١ طن في المناجم الباطنية و٢٥ طن في المناجم المكشوفة ، أما في الاتحاد السوفيتي ، حيث يكثر الفحم الفَرِط ، فإن اقتلاع الفحم يتم بواسطة دفقات المياه المضغوطة .

الذهب الأسود يفرض قانونه

تغطّي كل دولة حاجاتها من الطاقة ، بصورة شديدة التفاوت ، وذلك حسب نوعية وطبيعة مواردها الخاصة ، وتؤلف النسبة التي يجب طلبها من الخارج درجة **التبعيّة الطاقيّة** . فقد تكون هذه التبعية كلية ، كحال الدانمارك أو المملكة الأردنية ، أو معدومة مثل الكويت ، كما يمكن أن تختلف كثيراً في الزمان ، كالولايات المتحدة التي كانت من مصدّري الطاقة في الماضي ، والتي أصبحت اليوم أكبر مستورد للبترول .

وقد أدّى الانفتاح المتزايد ، الذي شهدته التجارة الدولية ، إلى توسيع أبعاد المبادلات الطاقيّة . فالدول التي **تصدر الفحم** لاتستطيع تصدير سوى النوعيات الجيدة ، وبسعر مرتفع ، مما يسمح بتغطية نفقات النقل . ولا زالت هذه التجارة على مستوى عام ١٩١٣ ، إذ لا يدخل تيار التجارة العالمية سوى ١٠٪ من الإنتاج العالمي ، أو ٢٠٠ مليون طن ، تقدم ثلثها الولايات المتحدة باتجاه أوروبا واليابان ، ويتألف الباقي من مبادلات قصيرة المدى أو متوسطة ، صادرة من بولونيا ومن الاتحاد السوفياتي وأستراليا وأفريقيا الجنوبية .

أما الغاز الطبيعي والنفط : فيتم نقلها لمسافات بعيدة بالأنابيب فوق مسارات قارية ، وبواسطة الناقلات على الطرق البحرية ، ولكن نظراً لشدة انخفاض كلفة نقل النفط ، مع تعادل المردود الطاقي ، ونظراً إلى أن السيطرة على التقنيّات التي استدعاها الغاز لم تكتمل إلا في وقت متأخر ، لأن أول عملية نقل للغاز المميّع بواسطة ناقلات الغاز لم تتم إلاّ في عام ١٩٥٧ بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، فإن التجارة العالمية للنفط ، تظل ، ولمدى بعيد ، هي الأكثر نمواً بالموازنة مع المادتين المذكورتين أي الفحم والغاز ، وتشمل ٥٥٪ من الإنتاج العالمي للنفط .

وقد ظل النفط حتى مطلع السبعينات يباع بأسعار بخسة جداً . وبذلك استطاع استبعاد كل مصادر الطاقة السابقة ؛ التي يمكنها أن تحل مكانه ، ولا سيما الفحم . هذا كما سد اندفاع النقل بالسيارات والاعتماد عليها ، وازدهار صناعة البتروكيمياء ، على نجاح النفط في المنافسة على نطاق واسع . وهذا ما برّر نشوء أسطول نفطي قفزت حمولته من ٣٠ مليون طن في عام ١٩٥٢ إلى ٢٨٢ مليون طن . كما ساعد تزايد حجم السفن الناقلة الذي أعقب أول إغلاق لقناة السويس في عام ١٩٥٦ ، بعد العدوان الثلاثي ، على هبوط سعر نقل الطن الواحد . وهكذا أصبح عدد **متزايد من الأقطار في حالة تبعية تجاه مصدّري النفط .**

ولقد ظل السوق العالمي للنفط ، ولمدة طويلة ، تحت هيمنة **كارتل دولي مؤلف من الشركات الخاصة الكبرى ، مؤلف من شركات تجارية أمريكية :** ثلاث من مجموعة ستاندارد أويل هي : نيوجرسي ، وكاليفورنيا وموبل ، وتكساس أويل غولف ، ومن شركتين : إنكليزية هولندية هما : رويال دوتش شل ، وبريتيش بتروليوم . ولكن في الوقت الذي كانت هيمنة كبريات الكارتل تتعرض في الولايات المتحدة ذاتها للنهش من قبل شركات أخرى ، هي الشركات المستقلة ، وفي الأقطار الأوربية من جانب شركات حكومية ، مثل شركتي : شركة البترول الفرنسية ، والف ايراب ، وشركة ينّي الإيطالية ، كانت الأقطار السائرة في طريق النمو والغنية بالنفط تحاول استلام أمور استغلال مواردها الخاصة ، إلى أن استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تؤلف كارتل جديد مُدَوْلَن étatique ،**هو منظمة الأقطار المصدرة للنفط** (الأوبك) . وفي نهاية عام ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ، قررت هذه المنظمة فجأة مضاعفة سعر بترولها الخام أربع مرات ، مما أدّى إلى زعزعة الاقتصاد العالمي ، ولا سيما بالنسبة للدول الفقيرة المستوردة للنفط كالهند ، حتى أن بعض دول إفريقيا السوداء عجزت عن شراء البنزين اللازم لسيارات الإسعاف . وفضلاً عن ذلك لجأت الدول العربية المصدرة للنفط (أوبيب) ودعماً لحرب رمضان (تشرين ١٩٧٣) ، إلى فرض حظر كلي

أوجزئي على تصدير نفطها ، أو حدّت من مجال الامتيازات النفطية الممنوحة للشركات الأجنبية من أمريكية وإنكليزية وفرنسية ، أو أمّمتها ، وهكذا أصبح النفط سلاحاً اقتصادياً أكثر من أي وقت مضى .

وقد كان لهذه القرارات **نتائج عظيمة** ، لأنها قذفت العالم قاطبة ، بما في ذلك الأقطار الاشتراكية ، في أزمة التضخم ، وعزلت الأقطار المتخلفة نهائياً ، وزادت من ضعف أقطار العالم الرابع ، في حين وفّرت لأعضاء منظمة البلدان المصدّرة للنفط ، الوسائل المادية اللازمة للإقلاع ، ولكن كان لذلك مخاطر اقتصادية وسياسية ، بسبب فجائية العملية وتكدس البترو دولار لدى البعض ، دون أي استعداد مسبق لتوظيف هذه الأموال الهائلة ، حتى لقد بلغت ودائع الأقطار العربية في بنوك أمريكا وأوربا الغربية أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في ١٩٨٠ . أو أدّى ذلك إلى زعزعة كيان بعضها ، مثل إيران التي لجأت إلى « عصرنة » مفرطة في تسارعها ، أو إلى تبذير سفيه ، وهدر ، واهتزاز في القيم الأخلاقية نتيجة الثراء الفجائي . وفي عام ١٩٧٤ كانت كل الظروف مواتية لرفع الأسعار بزيادة ، وبما أن الدولار هو العملة التي يتم بها شراء النفط ، فإن أي انخفاض في سعر هذه العملة الأمريكية يؤدي فوراً إلى « تعويض » ذلك بارتفاع سعر النفط ، وبالتالي إلى ارتفاع أسعار المواد المصنوعة المستوردة من الدول المتقدمة ، وراحت الدول المنتجة تزيد من إنتاجها أحياناً لتمويل مشاريعها ، مثل إيران والمملكة العربية السعودية في حين لجأ البعض لتخفيضه ، حفاظاً على هذه الثروة المحدودة والسريعة النفاد . وأخيراً أتخمت الأسواق العالمية بعد أن أخذت الدول المتقدمة تجنّد قواها العلمية والتكنولوجية لتخفيض استهلاكها وترشيده ، واللجوء لمصادر طاقة أقل كلفة ، إلى أن اتفقت دول الأوبك أخيراً على تخفيض أسعارها في خريف ١٩٨١ ، وتوحيد سعر البرميل وجعله ٣٤ دولاراً . كما راحت تحاول تثبيت إنتاجها عند مستوى معيّن ، أو تخفيضه تدريجياً ، حفاظاً

على احتياطيها لأطول مدة ممكنة ، لأن معظم الدول المصدّرة للنفط ستتعرض لنضوب مخزونها في نهاية القرن العشرين ، إذا استمر الإنتاج على هذا المنوال ، باستثناء المملكة العربية السعودية التي تملك ٤٧,٥٪ من الذخر النفطي العربي ، والتي سيستمر إنتاجها ، حسب المستوى الحالي ، حتى منتصف القرن القادم ، وجاءت الحرب العراقية الإيرانية لتعمل على تخفيض إنتاج الدولتين بنسبة ٧٠٪ عما كانت عليه سابقاً .

هذا وقد ارتفعت أسعار كل مصادر الطاقة الأخرى ، دون أن يكون ذلك موازياً للنفط . وهكذا طويت صفحة جوهرية في التطور الاقتصادي ، فبعد حقبة من نمو سريع قائم على طاقة رخيصة ، جاءت **حقبة الطاقة الغالية** ، التي تحث على الاقتصاد حتى أقصى حد ممكن في الاستهلاك والتنمية ، مما لا يسمح بأكثر من تنمية بطيئة وحذرة .

استهلاك النفط وإنتاجه في ١٩٧٩ بملايين الأطنان

المنطقة أو الدولة	الاستهلاك	الإنتاج		الاستهلاك	الإنتاج
أمريكا الشمالية	٩٨٢	٥٥٤	آسيا الجنوبية الشرقية	١٨٠	١٣٧
أمريكا اللاتينية	١٩٤	٢٤٠	أوروبا الشرقية	٩٥	٢٤
أوروبا الغربية	٧١٢	٨٣	الاتحاد السوفيتي	٤٢٠	٥٧٢
إفريقيا السوداء	٦٨	٢٧٧	الصين	٨٠	١٠٥
الشرق الأوسط	٦٠	١٠٦٢	اليابان	٢٦٠	١

الأقطار المنتجة للبترول في ١٩٧٩ ملايين الأطنان

الولايات المتحدة	٤٨٥	ليبيا	٩٥	الاتحاد السوفيتي	٥٧٢
كندا	٦٩	مصر	٢٤	الصين	١٠٥
المكسيك	٦٣	المملكة العربية السعودية	٤١٠	أندونيسيا	٨٢
فنزويلا	١٠٨	العراق	١١٥	أستراليا	٢٠

الأرجنتين	٢٣	الكويت	١١٠	سورية	٨
الجزائر	٥٧	الإمارات العربية	١٢٧	المملكة المتحدة	٥٤ (١٠٠ في ١٩٨٢)
نيجيريا	٩٥	إيران	٢٥٥	النروج	١٨
				رومانيا	١٥

١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ بروز منظمة الأوبك

لقد تمخضت فكرة تنظيم مشترك للأقطار المصدرة للنفط عن أول مؤتمر عربي للبترول ، انعقد في القاهرة في شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩٥٩ مع وجود مراقبين غير عرب ، ولا سيما من إيران وفنزويلا . وجاء حدث آخر كي يؤدي إلى تسارع ردود أفعال الدول المنتجة ، ففي عام ١٩٦٠ قررت الشركات الدولية تخفيض أسعار النفط المعلنة ، بسبب هبوط أسعار السوق ، والناتجة عن المنافسة الحادة التي كانت تقوم بها الشركات المستقلة الأمريكية ، تجاه شركات البترول العملاقة الأمريكية ، وتجاه الشركات الحكومية الأوربية . ففي خلال الستينات كان العرض من النفط أكثر من الطلب ، وكانت أسعار النفط لا تكف عن التدنيّ .

وعندما وصل العقيد معمر القذافي إلى الحكم في الفاتح من أيلول ١٩٦٩ ، بدأ عصر جديد في العلاقات البترولية . فقد طالب النظام الجديد شركات البترول برفع الأسعار المعلنة بصورة محسوسة ... كما كانت قناة السويس مغلقة منذ حرب ١٩٦٧ بين العرب واليهود ، كما توقفت شركة التابلاين ، التي تفرغ شطراً من البترول الخام السعودي حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، عن الضخ . وقد حصلت ليبيا على مطالبها . وعلى كل يمكن القول أن « الانتصار » الليبي على الشركات المستغلّة يؤلف توقيتاً تاريخياً .

عن ميخائيلو ڤيتش وبلوشار
كتاب : الطاقة العالمية ، الاستراتيجيات الجديدة
دار نشر آرمان كولان ١٩٧٨

إذا كان ينظر إلى الخشب وماء السدود الكهرمائية على أنها من مصادر الطاقة القابلة للتجدد ، فإن الغالبية العظمى من أنواع الوقود الطاقي ، تنتسب إلى الطاقات المستحاثة (الاحفورية) وغير المتجددة . هذا وبينما تكون بعض الصناعات ، كالتعدين ، أو العِدانة ، قادرة على استرداد جزء من المواد الأولية بعد الاستعمال ، كالخردة ، فإن هذه الحالة لا تنطبق على فرع الطاقة . وهكذا تطرح مشكلة **الاحتياطيات** ، أو الذخر ، إذن ، على مستوى مزدوج : قومي وعالمي .

ولا يمكن توضيح هذا المفهوم المعقد إذا لم يكن مصحوباً بنعت . **فالذخر أو الاحتياطيات الجيولوجية** تتعلق بدرجة معرفة فنون التنقيب : فنقول هناك احتياطات مؤكدة بالنسبة لما هو معروف ، ومحتملة بالنسبة لما ينتظر العثور عليه ، والممكنة بالنسبة للتقريب الخارجي extrapolation ، ولكن لكي يمكن أن يكون أحد مصادر الطاقة قابلاً للاستغلال ، فلا يكفي أن يكون موجوداً ، بل يجب أن يكون مربحاً ، وذلك حسب السعر المتوسط للطاقة الذي يمكن أن يتبدل بسرعة كبيرة جداً . وهكذا يمكن تعريف **الاحتياطيات الاقتصادية** .

ومن وجهة النظر هذه ، فإن للزيادة الكبيرة في سعر الطاقة نتائج إيجابية . فهي تسمح بتغطية نفقة تنقيبات وأبحاث باهظة التكاليف عن مصادرها ، فضلاً عن أنها تزيد حجم المدّخرات الاقتصادية ، مثلما تجعل مصادر الطاقة الجديدة ذات عائدية اقتصادية ، والتي كان لها دور ضئيل في التنمية والتطوير بسبب كلفتها المرتفعة .

كيف يمكن أن يحصل التواؤم مع المرحلة الطاقية الجديدة :

ـ أولاً بكبح جماح الاستهلاك ، أو ترشيده ، أو إنقاصه . وإذا كان من العسير مواجهة نقص في الفعالية الاقتصادية إرادياً ، فإن من المؤكد أن إبطاء النمو الاقتصادي يرتبط بغلاء الطاقة . فاتباع سياسة « **الاقتصاد في الطاقة** » هي سياسة بنّاءة أكثر من سواها ، رغم أنها لا تجلب أي نفع في البداية بسبب تكاليف العزلة ، والنفقات التكنولوجية .

ـ ومن ثم **بتحسين استغلال مصادر الطاقة التقليدية** : فكثيراً ما يجري استغلال ٣٠٪ فقط من ذخر مكامن البترول . ومن المأمول التوصل إلى نسبة تبلغ ٦٠٪ وسيصبح من الممكن قريباً تجنب خسارة مقادير هائلة من الغاز المحروق في مشاعل الغاز الهائلة عند تجهيز المكامن المختلطة . كما سيكون من الممكن استغلال مناجم الفحم العسيرة ، عن طريق السيطرة على إحراق الفحم تحت الأرض وتحويل الطاقة الناتجة إلى غاز .

ـ **وعن طريق توسيع مجالات التنقيب والاستغلال** : فبالنسبة للفحم فهناك أقطار كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، لا تستغل مكامن الجبال الصخرية ، أو مكامن سيبريا الوسطى التي تعتبر مع ذلك أغنى بكثير من المناجم المستثمرة في جبال الأپالاش ، أو في أوكرانيا . أما بالنسبة للوقود السائل ، فإن استغلال العتبات القارية ، الذي ابتدأ في خليج المكسيك وفي ڤنزويلا ، وفي بحر الشمال ، وفي بحر قزوين ، وفي أندونيسيا ، يمكن أن يبلغ ٣٠٪ من إنتاج حقول النفط المستغلة في العالم ، كما أن استغلالها حالياً يقدم خمس إنتاج العالم من النفط .

ـ **وباستغلال الثروات المعروفة والتي ما زالت مهملة** حتى الآن : إذ تستطيع الصخور البيتومية والزفتية في الولايات المتحدة أن تقدم ما يعادل ١٢٥ مليار (بليون) طن من النفط ، أو ٣٠ مرة احتياط هذا القطر من النفط أو

ثلاثة أمثال الاحتياط العالمي من البترول ، وإذا أضفنا إلى ذلك الموارد المماثلة التي تم اكتشافها في كندا وفي البرازيل ، وفي فنزويلا وفي السويد وفي سيبريا ومنشوريا ، فإن من المتوقع حدوث ثورة ثانية في ميدان أنواع الوقود السائل .

ـ كما حظيت **الطاقة النووية** باندفاعة عظيمة نتيجة غلاء الطاقة : فإلى جانب استعمالاتها الثانوية ، في مفاعلات السفن ، إنتاج البخار ، فإنها برزت في ميدان الإنتاج الكهربائي . وعلى الرغم من طابعها الحديث فإنها اجتازت عدة مراحل تقنية . ويستخدم اليورانيوم الطبيعي في عملية الانشطار كوقود ، والذي لا يفتقر العالم لفلزّاته لوفرتها ولرخص سعرها على المستوى العالمي ، أو يستخدم البلوتونيوم المشتق منه ، غير أن تشغيل المراكز الحرارية يطرح مشاكل بالنسبة للبيئة ، وخاصة مشكلة التخلص من الفضلات المشعّة . أما تقنيّة الصهر ، التي ستؤدي لتجنب هذه المحاذير فلم تزل عاجزة عن السيطرة على درجات الحرارة العالية . وعلى كل فإن الطاقة النووية توفر الآن أكثر من ٢ بالمئة من الطاقة العالمية ، كما أن البرامج الجارية ، أو المتوقعة ، سترفع هذه النسبة إلى ١٥٪ في عام ٢٠٠٠ .

ـ وهناك أيضاً الطاقات « **الكامنة** » : من العسير القول بأن الطاقة الريحية أو طاقة المد والجزر ، التي كانت الطواحين الريحية أو المائية تستغلها منذ قرون عديدة ، هي مصادر طاقة جديدة ، أو طاقات جديدة . ففي هذه المجالات لا تزال النتائج المكتسبة مخيّبة للآمال . هذا كما أن الطاقة الحرارية الأرضية لا تقدم أكثر من موارد محدودة جداً مكانياً كما في إيطاليا . غير أن الطاقة الشمسية لوحدها ، نظراً لاحتياطاتها المذهلة ولشموليتها على سطح الأرض ، تستطيع أن تؤلف قاعدة لثورة في الطاقة ، ولكن لا تزال مشكلة عائديتها اقتصادياً تنتظر الحل .

ولا يبدو أن مستقبل الطاقة يشتمل على خطر الشح الكّمي على المدى

المتوسط وعلى مستوى الكرة الأرضية . غير أن ضمان سلامة توفيرها لكل النـاس ؛ فهو أمر أقل توكيـداً بكثير . غير أنـه يبـدو من الـواضـح أن كل مصـادر الطـاقـة الحالية تكلف غالياً : نعم لقد مضى وانقضى عصر الطاقة الرخيصة .

☆ ☆ ☆

هل هناك ندرة في الطـاقـة : لقـد كان نـادي رومـا ، هو أول من كشف للعيـان المشكلات والمخاطر الطاقية التي لا بـد أن يقود إليهـا النمو الاقتصـادي الجموح . ولكن ظهر فيما بعـد أن دراسـات نادي روما قد ساهمت كثيراً في دعم الأقطار المنتجة للبترول في رغبتهـا بتخفيض إنتـاجهـا ، للاحتفـاظ باحتياطيها لأطول مدة ممكنة ، ولكي تستفيد مالياً من ثروتها أكثر بكثير مما استفادت فيما سبق .

وطبعاً لن تكون ندرة النفط ، التي يخشاها الناس على المدى البعيد،اصطناعيـة ، لأن مـدخرات النفـط تقـدّر بحوالي ٣٠٠ مليـار طن ، منهـا ١٣٥ تحت سطح البحـار ، مقـابل استهلاك سنوي يبلغ ٣ مليارات طن ، والذي قد يبلغ ٤ مليارات طن في نهاية القرن الحالي . إذن سيظل هنـاك نفـط يغطي الحـاجـات خلال بضـع عشرات من السنين ، ولكن كلمـا اقتصـد النـاس في استهـلاكـه ، كلمـا أمكن الاحتفاظ به لاستعمالات ذات أرجحية فيما بعد كالنقل والپتروكيمياء .

وإذا كان من الصحيح القول بأن البحث عن مصادر طاقة بديلة يجب أن يبـدأ من التوّ ، فليس من الضروري ترويع الناس ، فهناك الكثيرون الذين عرفوا الكتّاب المتشائمين ، في الموقف الذي سـارع في انحطاط مكانة الفحم ، بسبب انخفاض سعر النفط عام ١٩٦٠ ، هذا في حين أن مـدخرات الفحم تبلغ خمسة أو ستة أضعاف احتياطي النفط ، هذا فضلاً عن كونها ، على العموم ، موزعة بشكل أكثر عـدالـة على سطح الأرض ، وقابلة للاستغلال بصورة تنافسية ، أي تقبل المزاحمة . ويجب علينـا أن نقبل الآن بأن الصعوبة هي سياسية قبل أن تكون تقنية .

عن ل . لامّر
« الطاقات » كانون أول ١٩٧٨

يبدو استعمال **الطاقة الشمسيـة** قـديمـاً قِـدَم العـالم . وإذا كان أرخيـدس قـد استطـاع إحراق الأسطول الرومـاني في سيراقوزة ، فـأصبح أكثر الأبطـال شهرة في هـذا المضمار ، فـإن هنـاك استعمالات سلمية شهدت بعض النجاح على كرّ القرون . فقد أمكن صنع مكائن بخـاريـة شمسيـة في أوروبـا ، وفي الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر ، كما أمكن تشغيل مضخات شمسيـة بهـدف ريّ الأراضي في

ولاية آريزونا وفي مصر ، في حدود العام ١٩٠٠ . ولكن العلماء لم ينكبّوا فعلاً على ترويض هذا المصدر الاّ منذ عام ١٩٧٤ ، أي على هذا المورد المتجدد ، والذي لا ينضب له معين ، والمجاني ، وغير الملوّث .

وجهة نظر عربية عن تزويد العالم بالنفط :

تعنى عبارة « استقرار التموين النفطي » بالنسبة للأقطار المستهلكة ، استمرار منظمة الأقطار المصدّرة للنفط (الأوپك) بالقيام بدورها التقليدي ، كمورّدة للبترول لإشباع حاجات العالم . أما من وجهة نظر الأوپك ، فإن الدور الموكل إليها يكون على خلاف الاستقرار لأنه يستدعي استجابة هذه المنظمة إلى انخفاض الأسعار وإلى زيادات طلب العالم الصناعي ، دون أي اعتبار للنتائج التي قد تتمخض عن مثل هذه التبدلات على المصلحة الوطنية للأقطار الأعضاء في هذه المنظمة .

الواقع ليست منظمة الأوپك ملتزمة بالاستمرار في تقديم الكمية التي يطلبها العالم من هذه المادة . فالمصلحة الخاصة للأقطار المنتجة تملي عليها وجوب عدم تقديم كمية من البترول لا تستدعيها حاجاتها المالية . وعلى كل حال إذا كانت لهذه المقاربة معنى من وجهة النظر الاقتصادية ، فإنها تثير من وجهة النظر العلمية مشكلات اجتماعية وسياسية ضخمة ، ذلك أن تخفيضاً فجائياً وعنيفاً في التموينات النفطية قد تكون لها آثار خطيرة على الاقتصاد العالمي ـ وعلى منظمة الأوپك بحسبانها عنصراً في الاقتصاد العالمي ـ وعلى ازدهار العالم في التنمية مستقبلياً .

وقد حان الوقت الآن كي يعقد المستهلكون والمنتجون اتفاقاً جديداً . وإذا كان من الممكن تحاشي أزمة عالمية في الطاقة ، فذلك يعود لفضل استمرار منظمة الأوپك في القيام بوظيفتها كمصدّر عالمي للنفط ، ولكن إذا كانت منظمة الأقطار المصدرة للنفط ، تعطي ضماناً ـ مع كل النتائج التي ستنجم عن هذا التعهد على نسق نضوب احتياطياتها النفطية ـ فإن على المستهلكين قبول بعض المسؤوليات الجديدة . كضرورة زيادة الأسعار ، ونقل التكنولوجيا ، وإعادة الاستقرار النقدي العالمي .

عن : آيت لاوسّين ، الجزائري .
بريسّ . آذار ١٩٧٩

☆ ☆ ☆

الفصل الأول

أمريكا الآنكلوسكسونية

أو أمريكا شمال ريوغرانده

تؤلف الولايات المتحدة وكندا في شمال نهر ريوغرانده مجموعة تختلف عن الأقطار الأمريكية الأخرى ، فهما دولتان غنيّتان ، صناعيتان ، وعلى مستوى تكنولوجي عالٍ ، تخضعان لثقافة آنكلوسكسونية طاغية .

وتغطّي أمريكا الشمالية مساحة تبلغ ١٩,٥ مليون كيلو متر مربع ، أو ٢٠ مرة مساحة جمهورية مصر العربية ، وقد تكوّنت حسب مخطط بسيط وفضفاض ، ولكن تكون من الشمال مغلقة بقساوة المناخ ، كما تبدو عسيرة المدخل من الشرق أو من الغرب ، حيث تتعثّر المصبّات النهرية الخليجية estuaires بعوائق تضريسية . أما الأراضي الواقعة إلى الشمال من خط يمتد من نيويورك وشيكاغو وسيتل فقد غشيتها خلال الدور الرابع جموديّات واسعة ، تركت بصماتها بعمق على شكل توضّعات مورينية وبحيرات وشلالات .

فالترس الكندي shield الذي يقع في الشمال الشرقي ، يتألف من صخور قديمة متعدنة ، ويحمل شبه السهل pénéplaine المشوّه هذا تأثير الجموديات بشكل خاص : فتكون تضاريسه مشوّشة ، وصرف المياه غير منتظم . وتؤلف البحيرات الكبرى أكبر رقعة من المياه العذبة في العالم ، غير أنها تنفصل مستوياتها بشلالات مثل شلالات نياغارا وسولت سانت ماري (شكل ١) .

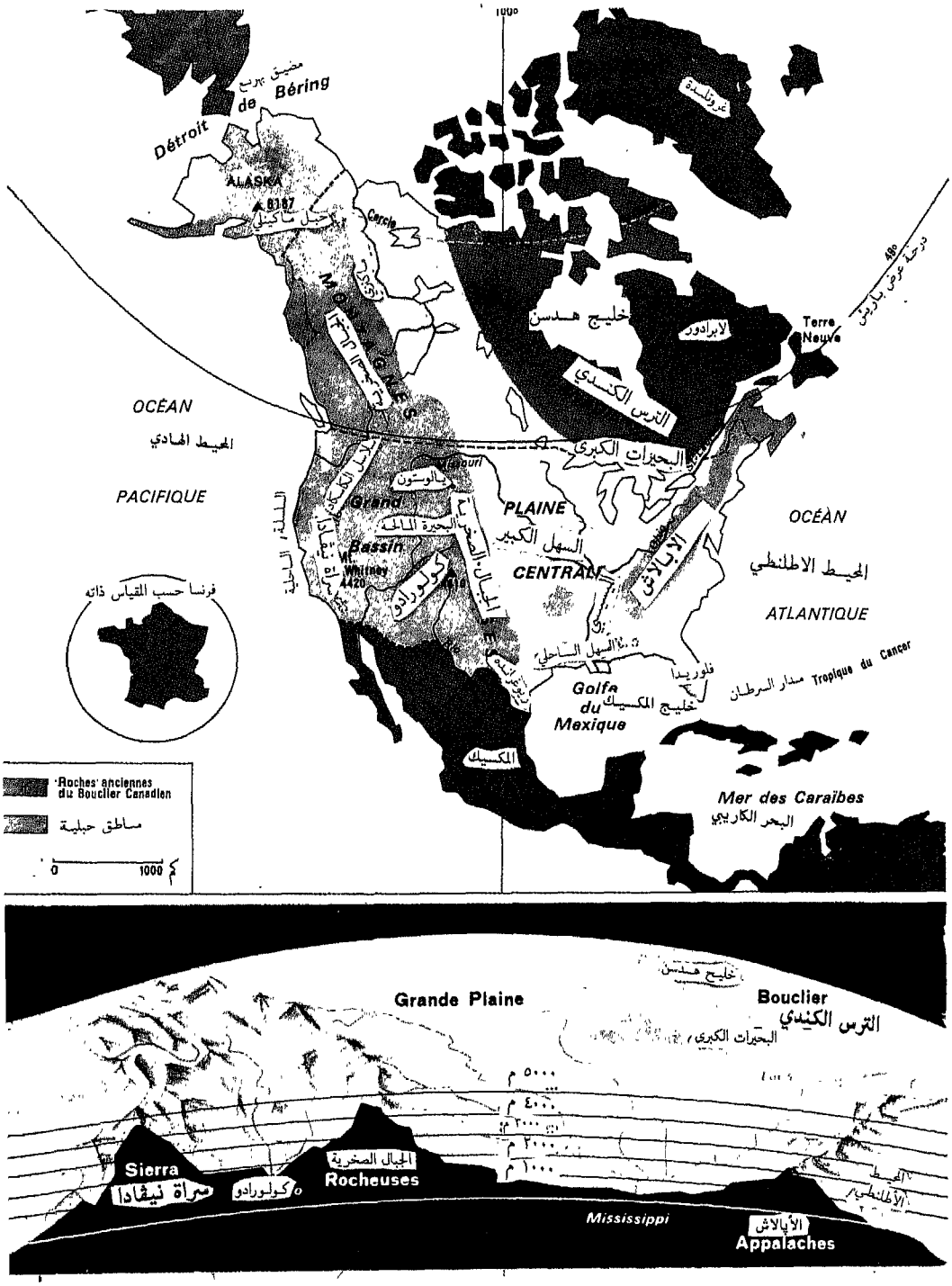
مضيق بيرنغ
de Béring
Détroit
ALASKA
6187
جبل ماكينلي
Cercle
غرونلندة
خليج هدسن
لابرادور
Terre Neuve
الترس الكندي
البحيرات الكبرى
OCÉAN
المحيط الهادي
PACIFIQUE
Grand Bassin
PLAINE
السهل الكبير
CENTRAL
OCÉAN
المحيط الاطلنطي
ATLANTIQUE
الأبالاش
السهل الساحلي
فلوريدا
Golfe du Mexique
خليج المكسيك
Tropique du Cancer
مدار السرطان
المكسيك
Mer des Caraïbes
البحر الكاريبي
فرنسا حسب المقياس ذاته
Roches anciennes du Bouclier Canadien
مناطق جبلية
0
1000 كم
Grande Plaine
Bouclier
الترس الكندي
البحيرات الكبرى
٥٠٠٠ م
٤٠٠٠ م
٣٠٠٠ م
٢٠٠٠ م
١٠٠٠ م
Sierra
سراة نيفادا
كولورادو
الجبال الصخرية
Rocheuses
Mississippi
الأبالاش
Appalaches

الشكل (١)

وتؤلف السهول الوسطى ميزاباً بين المحيط المتجمد الشمالي وبين خليج المكسيك . وتتألف من توضعات لحقية ومن صخور رسوبية تنهض بلطف نحو الغرب حتى ارتفاع ٢٠٠٠ متراً . ويخترقها نهران من أكبر أنهار العالم ، هما الميسيسبي ونهر ماكنزي اللذان تنتشر دلتاهما على شكل لاغونات ومستنقعات .

وتتألف **الأراضي العليا في الغرب** من سلسلتين : جبال الروشوز « الروكي » في الشرق ، وسروات نيڤادا والسلاسل الساحلية في الغرب . وتطيف هذه الجبال بهضاب وحوضات حيث يقع كل من البحيرة المالحة الكبرى وخانق الكولورادو . وتنتسب جبال الغرب إلى « حزام النار » الباسفيكي ، وتحمل براكين ناشطة باتجاه الشمال ، وتخترقها صدوع مثلما تعتريها الزلازل (شكل ٢) .

☆ ☆ ☆

صعوبة فتح الرقعة الأمريكية : عندما اقتحم الملاحون القارة الأمريكية من الشمال الشرقي ؛ لم يستطيعوا أبداً أن يجتازوا الممرات الكندية في الشمال الشرقي باتجاه الباسفيكي . أما في الجنوب فقد كانت الأراضي أو الممتلكات الاسبانية في الشرق ، أي التكساس ، وفي الغرب ، أي كاليفورنيا ، مفصولة بصحاري يستحيل اجتيازها . ولقد اصطدم المعمّرون الانكليز ؛ الذين أقاموا في السهول الساحلية في الشرق ، أقول اصطدموا في أثناء اتجاههم غرباً بالحاجز الآپالاشي الذي تحاشوه مروراً بنهر الهدسن ، وبالبحيرات الكبرى . غير أن الفرنسيين ، الذين احتلوا وادي السان لوران ووادي الميسيسپي ، عثروا على أفضل الممرات نحو الأراضي الطيبة في السهول الكبرى وفي اتجاه الغرب حيث سبقوا الانكليز ، ومن هذا نشبت الحروب الانكليزية الفرنسية .

☆ ☆ ☆

أبعاد الرقعة الهائلة : يسمح لنا رسم مخطوط مزدوج لكرة أرضية منبسطة من مرتسم مركاتور ، أقول يسمح لنا بمقارنة أبعاد وموضعي قارتي أوروبا وأمريكا . ففضلاً عن اتساع الرقعة الأمريكية نجد أن أكثر الملامح جذباً للانتباه هي زحزحة أكثر المناطق كثافة سكانية في أمريكا نحو

الجنوب : فتقع لندن على عرض الشمال الكنـدي ، في حين تقع ميـامي على عرض بغـداد . ولقـد طرح اتساع الرقعة مشكلات عسيرة أمام الاستعمار ولا تزال حتى اليوم أيضـاً ، لأن اختراق أراضي الولايـات المتحدة من الشرق إلى الغرب بالسيارة على مسافة ٦٠٠٠ كم يعتبر نوعاً من مغامرة باهرة .

☆ ☆ ☆

المناخ : يتصف المناخ الأمريكي بالقـاريـة . فعلى درجـة عرض واحـدة تكون فصول الشتـاء أكثر برداً والصيف أكثر حراً ممـا هـو عليـه في أوروبـا . وهكـذا يمر خـط العرض ٤٥ من بـوردو ومن مونتريال ، التي نتصور أنها واقعة إلى الشمال من ذلك ، وحيث يتجمد نهر السـان لوران شتـاءً ، مع أن معدل كانون الثاني في بوردو في الحرارة يماثل متوسـط الشهر المـذكور في حلب الواقعـة على عرض ٣٦° تقريباً .

☆ ☆ ☆

ويفسّر **انفتاح القارة شمالاً وجنوباً** أيضـاً سبب صعود المؤثرات الجنوبيـة بعيـداً نحو الشمال صيفـاً ، في حين تهبـط المؤثرات الشماليـة في الشتـاء حتى خليج المكسيـك . وهكـذا يـزرع القطن حتى عرض مدينة فينيبيغ في كندا ، ولكن يحدث الصقيع في مدينة أورليـان الجـديـدة الواقعـة على درجـة عرض القاهرة وآغادير ، اللتين يقصدهما الكثير من الأوروبيين للتمتع بدفء الشتاء فيهما .

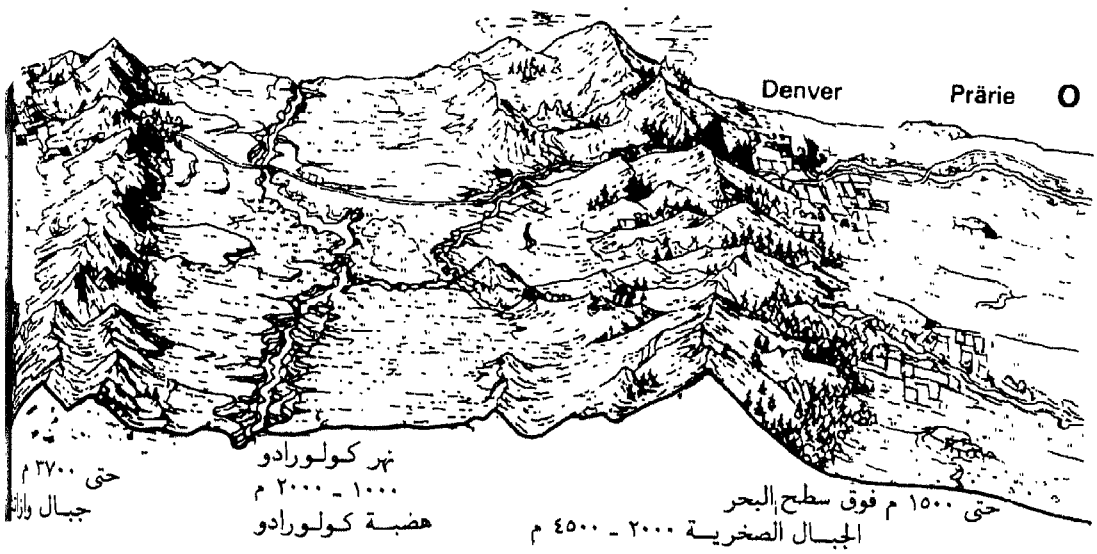

الشكل (٢)

مقطع مجسم للولايات المتحدة الغربية

			ك٢	ش	آ	ن	أ	ح	ت	آ	إ	ت١	ت٢	ك١	المجموع أو المتوسط
١٠,١	ديوان	ح	-٥,٩	-٣,٩	-١,٧	٩,٩	١٦,٦	٢٢,٢	٢٥	٢٣,٦	١٨,٨	١٢,٦	٣,٣	-٣,١	
٧٧١		م	٣٣	٢٨	٥٣	٦٤	١٠٣	١٢٠	٧٨	٩٣	٧٣	٥٢	٤٥	٢٩	
١٧,٢	سان دييغو	ح	١٣,١	١٣,٧	١٤,٧	١٦,١	١٧,٥	١٨,٧	٢٠,٩	٢١,٥	٢٠,٨	١٨,٧	١٦,٣	١٤,٢	
٢٦٤		م	٥١	٥٥	٤٠	٢٠	٤	١	—	٢	٤	١٢	٢٣	٥٢	
٢٠	نيواورليان	ح	١٢,٣	١٣,٤	١٥,٨	١٤,٤	٢٣,٣	٢٦,٤	٢٧,٣	٢٧,٤	٢٥,٤	٢١,١	١٥,٣	١٢,٧	
١٣٧١		م	٩٨	١٠١	١٣٦	١١٦	١١١	١١٣	١٧١	١٢٦	١٢٨	٧٢	٨٥	١٠٤	

ح = حرارة م = مطر

مقاييس أمريكية

١ فدان	= ٠,٤ كم٢
١ ميل	= ١,٦ كم
ميل مربع	= ٢,٥٨ كم٢
غالون أمريكي	= ٣,٧ ليترات
صاع قمح	= ٢٧ كغم
صاع ذرة صفراء	= ٢٥ كغم
طن قصير	= ٩٠٧ كغم
برميل نفط	= ٤٢ غالون أمريكي أو ١٥٨,٩ ليترات

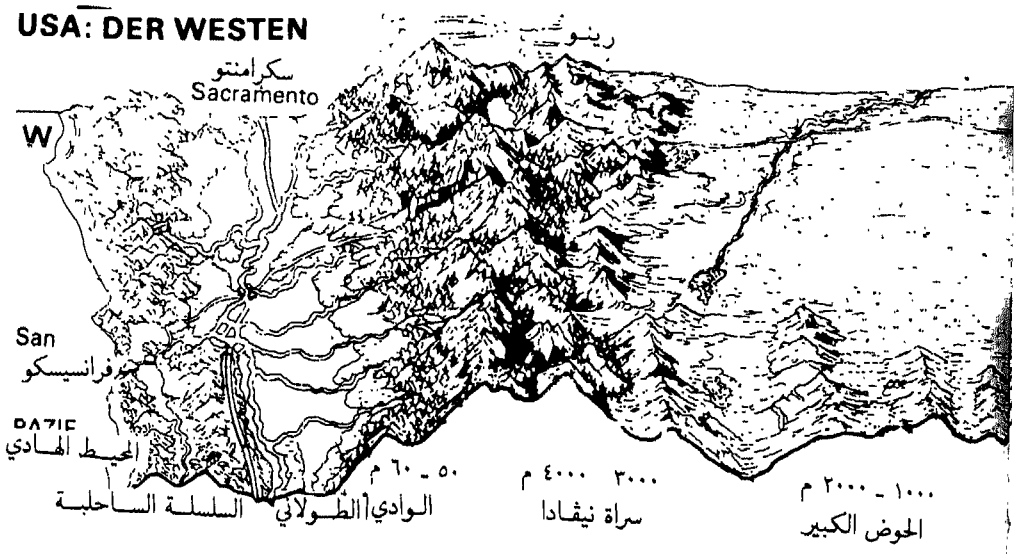

البيئة والقسر المناخي الأمريكي

لا تزال نطاقات الغطاء النباتي الطبيعي الكبرى تستر رقعاً واسعة ، ظلّت ، ولمدة طويلة ، تترك انطباعاً عن الاتساع وعن الغنى . أما في المناطق التي تكون أكثر مواءمة للمؤسسات البشرية ، فقد تم القضاء على الغطاء النباتي بواسطة فأس ونيران معمّري الأراضي . ومع هذا علينا أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار ، تطرف المناخ الذي يفرض العديد من أشكال القسر على الإنسان . وتفسّر تأثيرات هذه العوامل المتناقضة ، المنظر الحالي للمشاهد الطبيعية .

ولكن لا تزال هناك نطاقات مناخية طبيعية ، أو لم يظهر عليها تأثير الإنسان كثيراً :

التوندرا : وتكون الأرض متجمّدة هنا أبدياً بالعمق . وينكمش النبات على شكل حزازيات وطحالب وأشجار قزمية .

الغابات : لم تعد الأشجار الكبرى في الغابة الباسفيكية ماثلة إلاّ في كندا ، كما أن أواخر أشجار السيكويا تحاط بعناية فائقة وحماية وكأنها أوابد تاريخية . غير أن الغابة الشمالية لا تزال تشغل مساحات شاسعة في كندا . أما في الشرق فإن الأشجار النفضية مثل شجر القيقب الكندي تختلط مع الراتنجيات .

وتؤلف **سهب الصبّاريات** أو ذات **دغيلات الشيح** بهجة جنوب غرب الولايات المتحدة وتكون هنا متوائمة مع قحولة المناخ .

أما **المناطق التي أخضعت للزراعة** ، فلم تكفّ عن التوسع منذ قدوم الأوروبيين ، وذلك في المناطق التي تكون التربة والمناخ فيها أكثر مواءمة .

فالغابة الأطلنطية ذات الأوراق الساقطة ، لم تعد موجودة إطلاقاً إلا في

جنوب كندا . أما في الولايات المتحدة فقد تلاشت أمام الأراضي المحروثة والتي استفادت من الترب الرمادية الجيدة النوع .

وكانت **المروج** تحتل مناطق أكثر جفافاً . وكانت تربها المتنوعة والتي كانت أحياناً من النوعية الممتازة ، لا تطرح أمام إخضاعها للزراعة أية مشكلة . بيد أن هذه الترب كانت أحياناً سريعة العطب أمام ظاهرة الانجراف .

وتتراجع **مستنقعات** النطاق شبه المداري ، كما في فلوريدا ودلتا الميسيسبي وساحل الخليج بسرعة أمام الاستغلال الحالي ، كمزارع الفراسكين « الكريفون » Grapefruit والتصنيع والسياحة .

غير أن **القسر المناخي** عمل على تحديد التوسع البشري وأوجد حدوداً للمعمور :

فالبرد يمنع أي نشاط زراعي في الجبال الصخرية « الروشوز » وعلى القسم الأعظم من الأراضي الكندية حيث تكون التربة جافة ومتجمدة شتاءً .

كما **أن الجفاف** ، وذلك في المناطق التي تنال أقل من ٤٠٠ مم من المطر في العام ، في ولايات الجنوب الغربي مثل آريزونا والمكسيك الجديدة ، يكون عائقاً أمام أي نشاط زراعي باستثناء المناطق الخاضعة للري .

وتجعل **التقلبات المناخية** ، كمخاطر البرد الشديد ، والتهطالات المتفاوتة بين عام وآخر ، تجعل من الزراعة ممارسة غير مضمونة وذلك على مساحات واسعة ، واقعة غرب خط الطول ١٠٠ أو « خط الكوارث » ، هذا كما لا تنجو ولايات الجنوب من موجات برد تدمّر حقول القطن .

وقد أعطت أشكال القسر المناخي هذه ، شعور **التحدّي** الذي تقيمه الطبيعة في وجوههم ، وتفسّر ما يمكن أن تكون عليه النفسية الرائدة . وعلى كل فإن المساحة المزروعة تظل واسعة جداً ، بحيث تستطيع أن تؤمن غذاء ٤٠٠ مليون نسمة دون صعوبة تذكر شكل (٣) .

مشكلات المياه

آ ـ موارد غير كافية

ب ـ مخاطر فيضانات كارثية أو خطيرة

جـ ـ عدم انتظام الموارد

هذا ويؤلف العنف أكثر السمات بروزاً في البيئة الطبيعية الأمريكية . وتظهر الوثائق الخرائطية أن منطقة ما قد تتعرض للجفاف ، وللفيضانات ، وللبرد ، ولعدم انتظام مقادير المطر . وتمر السيطرة على المجال الزراعي من خلال استخدام تقنيات متخصّصة كالري والصرف والحراثة حسب خطوط التسوية (كنتورية) والزراعة الجافة dry farming ، ولا سيما اصطفاء الأنواع النباتية المتوائمة ، مثل قمح مانيتوبا الربيعي ، وتطرح قساوة برد الشتاء أيضاً مشكلات خطيرة أمام المواصلات والتدفئة المنزلية .

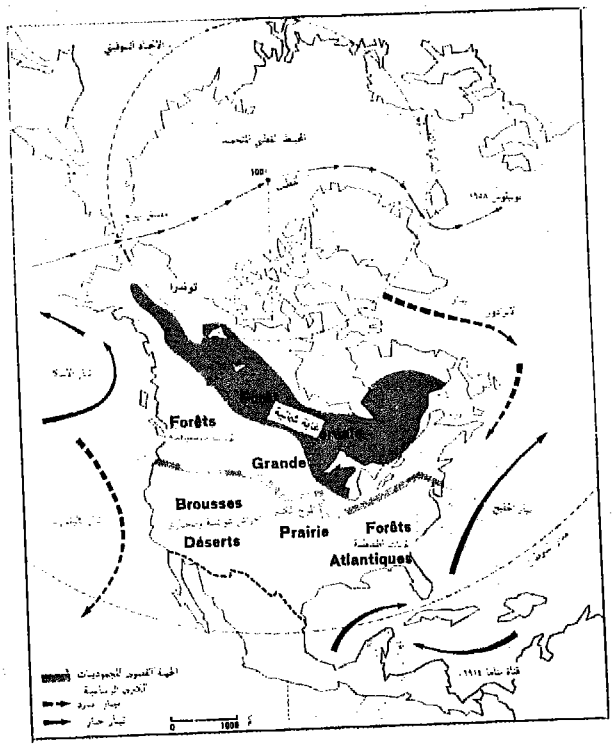

الشكل (٣)

أمريكا الشمالية : الموقع والمشاهد الطبيعية

الإعمار السكاني : بلد استقبال المهاجرين

في خلال ٤٠٠ سنة أصبحت هذه القارة شبه الخالية ، أكثر بؤر العالم قوة . فقد وفد إليها الناس على شكل موجات متعاقبة ضمن حركة فضفاضة بسيطة .

الهنود الحمر والأسكيمو : وهم الأمريكيون الأصليون الذين قدموا من آسيا منذ ٤٠٠٠٠ عام . ولما كانوا عبارة عن قنّاصين وصيادي أسماك ، فقد كانوا بحاجة لمساحات شاسعة . بيد أن هذه المجموعات القليلة العدد سرعان ما تعرضت للغمر العددي ، ولقوة الوافدين الجدد وكذلك بسبب تلاشي نمط حياتهم . ولا يعيشون الآن إلاّ على شكل أقليات ، محصورة غالباً ضمن « محتجزات » خاصة .

عصر المعمّرين : لقد بدأ قدوم الأوروبيين ابتداءً من القرن السادس عشر ، فوصل الفرنسيون إلى لويزيانا وإلى ضفاف نهر السان لوران ، والإسبان إلى فلوريدا ونحو الجنوب ، في حين استوطن الهولنديون والإنكليز الساحل الشرقي . ولما كان هؤلاء الآخرون أفضل مساندة من قبل حكوماتهم فقد استطاعوا التخلص من منافسيهم ولا سيما من فرنسيي كندا ، الذين تخلت عنهم حكومتهم في سنة ١٧٦٣ . أما المستعمرة الإنكليزية فقد استقبلت جماعات مختلفة جداً من حيث عقليتها وآرائها ، وعلى غرار ما فعله آباء مايفلوور[1] الحجاج ، في ١٦٢٠ ، فقد حملت هذه الجماعات الصغيرة ، المبعثرة ، والمتمسكة بإيمانها ، حملت معها مثالية الحرية . ولكن مما يثير الاستغراب ، هو أن بعض هؤلاء هم الذين استقدموا

---

(١) Mayflower (أو زهرة أيار أو الزعرور) هو اسم سفينة انطلقت من پلايموث في ٦ أيلول ١٦٢٠ ، وحملت إلى أمريكا المعمرين أو « الحجّاج » الذين أسّسوا أول مدينة في ولاية إنكلترا الجديدة ، وهي نيوپلايموث (٢١ / ١٢ / ١٦٢٠) وكتبوا قبل نزولهم إلى البر ما يسمى Convenant أو أول دستور أمريكي .

الرقيق الأسود في القرن السابع عشر إلى مزارع التبغ والقطن التي كانت تزدهر وتتوسع في الجنوب .

عصر المهاجرين : منذ ١٨٢٠ وحتى أيامنا هذه دخل الولايات المتحدة أكثر من ٤٥ مليون منهم ٥ملايين من كندا . فبعد أن قذفتهم أوروبا العاجزة عن توفير فرص العمل ، والغذاء ، والكرامة لهؤلاء ، فقد راحوا يبحثون عن الأراضي ، وعن الأجور الأكثر ارتفاعاً ، عن كيان المواطن . وكان معظمهم من اللاجئين السياسيين ومن فلاحين بلا أرض ، أو من حرفيين ممن قضت الآلة على مصادر رزقهم .

وهكذا اندفعوا في رحلة عسيرة دون أمل في العودة على شكل ثلاث موجات متعاقبة من المهاجرين :

ـ ١٨٥٠ قدم الإيرلنديون الذين اجتاحتهم المجاعة الناجمة عن أزمة البطاطا ، والإيقوسيون ومن سكان بلاد الغال في جنوب غرب بريطانيا .

ـ ١٨٦٥ ـ ١٨٩٠ وفد الإنكليز والألمان والاسكندينافيون .

ـ ١٩٠٠ ـ ١٩١٠ جاءت أقوام من أوروبا الجنوبية كالطليان ، ومن أوروبا الشرقية ، كالروس والبولونيين والمجريين . وكان بين هؤلاء حوالي مليوني يهودي من الذين هربوا من المذابح في روسيا أو Pogroms .

عصر الحصص : وفي عصر مبكر ظهرت أشكال تمييز صحي أو عرقي ، كالآسيويين ، وهكذا عمد الجمهوريون في الولايات المتحدة عام ١٩٢٠ ، إلى تحديد الهجرة متخذين أساساً لذلك التوزع النسبي للوافدين الجدد ، وحسب الوضع القائم في ١٨٩٠ (قانون الكوتا) . وزاد تقليص عدد المهاجرين بسبب أزمة عام ١٩٢٩ الاقتصادية وبسبب الحرب .

وفي الوقت الحاضر يدخل إلى الولايات المتحدة سنوياً ما بين ٠٠٠ ٣٠٠ و ٠٠٠ ٤٠٠ مهاجر ، ولكن يجب أن ندخل بالحسبان الهجرة غير الشرعية القادمة من المكسيك . أما كندا فهي أكثر انفتاحاً ، ولكنها لا تكون أحياناً أكثر من نقطة عبور إلى الولايات المتحدة . ومنذ ١٩٦٥ جاء التشريع الجديد في الولايات المتحدة ، والذي يشجع على الخصوص دخول العمال المختصّين المؤهلين .

☆ ☆ ☆

قدماء المهاجرين والجدد : أخذت المكائن البخارية في التحسّن والإحكام ، يوماً بعد يوم ، مما جعل شروط العمل لدى أصحاب المصانع الصغيرة متردّية بسرعة في بلدة دنفرملاين الإيقوسية . وبدأت فترة عسيرة بالنسبة لنا . وأخيراً قررنا كتابة رسالة إلى خالتيّ المقيمتين في بيتسبورغ في الولايات المتحدة لإعلامهما عن عزمنا على اللحاق بهما . وكان الجواب مشجعاً ، وقررنا بيع أثاثنا وأموالنا بالمزاد العلني وكان والدي ينشد :

To the west, to the west, to the land of free
where the mighty Missouri rolls the sea

عن ديل كارنيجي . السيرة الذاتية . بوسطن ١٩٢٠

وقد غادر كارنيجي إيقوسيا عام ١٨٤٨ وعمره ١٣ سنة

☆ ☆ ☆

لقد أصبح بلدي . محظوراً عليّ . أما إنكلترا فهي بالنسبة لي أرض أجنبية . إذن إلى أين الذهاب ؟ قلت لنفسي إلى أمريكا . فهناك سأجد المثل الأعلى الذي أحلم به والذي من أجله ناضلت ، إنه عالم جديد ، عالم حر ، عالم مليء بالأفكار وبالأهداف الرائعة .

ك . شوتز . نيويورك ١٩٠٧

وشوتز هو ثوري ألماني في ١٨٤٨ وهاجر إلى الولايات المتحدة

. في سنة ١٨٥٢ .

☆ ☆ ☆

إن اتساع مدى تدفق المهاجرين المكسيكيين يسبب القلق للسلطات الأمريكية . وقد خصصت مجلة « أخبار الولايات المتحدة » مجالاً فسيحاً للكلام عن السكان « التهريب » الحاليين . والذين يتراوح عددهم بين ٣ و ١٢ مليون نسمة ، ويؤلف المكسيكيون ٦٠٪ منهم . ويبدو أن رقم ٥ ملايين مقبول عموماً ، وتقدر المجلة أن المهاجرين غير المسجلين يبلغون ٨٠٠٠٠٠٠ مهاجراً أكثرهم مكسيكيون ، دخلوا الولايات المتحدة عام ١٩٧٨ . وتبدو أوضاعهم المعاشية ، إلا فيا ندر ، مثيرة للرثاء ، فهم يعيشون في خوف دائم من الإبعاد ، ومن البطالة ومن الوشاية بهم إلى السلطات الحكومية .

عن دومينيك دومبر . جريدة لموند

١٦ / ٤ / ١٩٧٩

☆ ☆ ☆

توزع المهاجرين في الوقت الحاضر ونسبتهم المئوية في كل ولاية

بعض الأمثلة :

ماين	١٤٪ من كندا	كاليفورنيا	٦٪ من المكسيك
رود آيلند	٧,٧٪ من إيطاليا	أريزونا	٦,٧٪ من المكسيك
	٧٪ من كندا	فلوريدا	٧٪ من كوبا
	٣,٦٪ من المملكة المتحدة	داكوتا الشمالية	٦,٣٪ من النروج
نيويورك	٧,٣٪ من إيطاليا		٥,٣٪ من الاتحاد السوفيتي
	٣,١٪ من الاتحاد السوفيتي		٣,٤٪ من ألمانيا
	٣,١٪ من بولونيا	ميشيغان	٤٪ من كندا
نبراسكا	٤,٢٪ من ألمانيا	مونتانا	٣٪ من كندا
	١,٣٪ من تشيكوسلوفاكيا	واشنطن	٤٪ من كندا
	١,٢٪ من السويد	هاواي	١٤٪ من اليابان
تكساس	٦,٩٪ من المكسيك		٣٪ من الصين

☆ ☆ ☆

الحدود : تكوين رقعة أرضية

لا تعني كلمة حدود لدى الأمريكان تخماً بين قطرين ، بل هامشاً طلائعياً . فمن الممكن متابعة **تنقلات الهامش الطلائعي الأمريكي** على الخارطة . فقد كان التقدم بطيئاً حتى نهاية القرن الثامن عشر ، كما أن حدود « الغرب القديم » لم تكن تتجاوز السفح الغربي من جبال الآبالاش في عصر (داڤي كروكّت) . وابتداءً من عام ١٨١٢ ، انقطعت كل العلاقات مع أوروبا ، أصبحت الحركة أكثر سرعة نظراً إلى أن وادي المسيسبي والمروج « البراري » تقدم تسهيلات أكبر أمام المواصلات . ومنذ ١٨٨٠ حصل تقدم مزدوج قادم من سواحل الأطلنطي ومن ساحل الباسفيكي ، وعلى الأخص من كاليفورنيا ، تمخضت عن احتلال كل رقعة الولايات المتحدة الحالية : تلك هي نهاية الحدود وخاتمة مغامرة كبيرة . أما في كندا فقد كانت الحركة أكثر تأخراً ، ولا تزال حتى الآن مستمرة في زحفها نحو الشمال .

وقد كانت أسباب هذا التوسع عديدة :

ـ **أسباب اقتصادية** : ففيما عدا الأزمات الاقتصادية والضغط الديموغرافي الأوروبي ، كان الافتقار إلى الأراضي الخصيبة في الشرق سبباً في نزوح المزارعين الشبان ، كما أدى اكتشاف مناجم الذهب والفضة ؛ إلى حصول هجمات كما حدث في عام ١٨٤٨ في كاليفورنيا ، وأخيراً فإن استغلال أراضي جديدة وإعمارها كان عبارة عن صفقة ممتازة بالنسبة للمصارف ولشركات الخطوط الحديدية .

ـ **أسباب سياسية** : وقد كانت هامة جداً لدى الولايات المتحدة مع ظهور

فكرة « أمريكا للأمريكيين » والرغبة في تنظيم الاستمرارية الإدارية والسياسية من ساحل لآخر . وجاء قانون هومستيد Homestead Act في عام ١٨٦٢ ، كي يسارع في عملية الاستغلال الزراعي والذي كان ينص على منح ٧٥ هكتاراً بالمجان لمن يقوم باستغلالها مدة خمسة أعوام متواصلة .

ـ **أسباب عقائدية :** هناك الكثيرون الذين رأوا في الغرب أرضاً جديدة ، حيث كان من الممكن للإنسان أن يعيش فيها على هواه . كما كان ذلك أيضاً أرض حرية للمغامرين . وأخيراً عملت طائفة المورمون Mormons[1] من الغرب أرض ميعاد . وجعلوا من مدينة سولت ليك سيتي عاصمة لهم ولا زالت .

ويفسّر هذا التنوع في الدوافع شدة **تنوع الجبهات الطلائعية :** من جبهة زراعية مثل انفتاح أوكلاهوما في ١٨٨٩ ، وتعدينية كالهجمات نحو الذهب في كاليفورنيا أو الكولورادو ، وغابيّة في كندا ، وعسكرية في التكساس ، وقلعة آلامو في ١٨٣٦ . وقد تدخل أشخاص مختلفون في الملحمة الأمريكية كالخطّاب الكندي ، والمزارع ، والباحث عن الذهب ، وحتى قاطع الطريق ورجل القانون . وكانوا جميعاً في معركة مع « الهندي الخبيث » الذي لم يرد اعتباره إلا في وقت متأخر جداً .

وقد كان دور طرق المواصلات أساسياً : فقد استخدمت الأنهار مثل سان لوران والميسيسبي في وقت مبكر جداً ، ثم تكاملت بالقنوات . أما في الغرب فقد كانت العربات والدروب هي الوسيلة الأولى مثل Pony Express ، ودرب

---

(١) لقد ظهر مذهب المورمون في ١٨٣٠ في الولايات المتحدة ، على يد جوزيف سميث ، الذي نشر كتاباً منسوباً إلى نبي يهودي يحمل اسم مورمون « كتاب مورمون » ، باعتباره كتاباً سماوياً ، وكان ينسب الهنود الحمر لأصل يهودي . وتكون العقيدة المورمونية مزيجاً قريباً من عناصر بوذية ، غنوصية ، وإسلامية ونصرانية . وبعد أن اغتيل في ١٨٤٤ ، خلفه بريغهام يونغ ، الذي أسس مستعمرة على ضفة البحيرة الكبرى المالحة . وهذه المستعمرة التي اتخذت اسم أوتا تحولت إلى ولاية في عام ١٨٤٩ ، ومات يونغ في ١٨٧٧ وتلاشت من بعده نهضة هذه الحركة ، وصدر مرسوم في ١٨٩٠ يمنع تعدد الزوجات على أعضاء هذا المذهب .

سانتافيه ، ثم دعمتها وحلت الخطوط الحديدية مكانها ولاسيما خط Union Pacific و Canadian Pacific إلخ .

كما لعبت **فكرة الحدود** دوراً جوهرياً في تكوين العاطفة القومية الأمريكية . ويعتبر الكثيرون تلك الفترة نوعاً من العصر الذهبي ، متناسين مدى قساوة تلك الحقبة ، ويردد العديد من رؤساء أمريكا في خطبهم . « روح الحدود » هذه .

☆ ☆ ☆

حقيقة كوخ مهاجر نروجي في ١٨٣٨ : « يجب أن نضيف إلى كل تلك المحن مشكلة الكوخ المفتوح لكل الرياح ، إذ لا يمكن أن يجد الإنسان فيه الدفء والعزاء ، إلا بالالتصاق بالنار . وليس هذا الكوخ أكثر من ملتقى لتيارات الرياح . ومع هذا يجد الإنسان نفسه سعيداً عندما يعثر على سقف في هذه المنطقة الخالية من البشر . فقد بنى كل منا كوخه بنفسه وقدر استطاعته ، مستعيناً بالبلطة وعلى العموم دون نوافذ .

ت . پليغن : أرض اختاروها مطابع جامعة مينسوتا : ١٩٥٥

العصر الذهبي : الغرب : كما يظهر في كتاب وزعته دوائر الإعلام الأمريكية في عام ١٩٥٣ :

كلما ازداد التقدم في هذه المناطق التي كانت في حالة وحشية ، يتحوّل المعمّر إلى مزارع وصياد في الوقت ذاته . وعوضاً عن الكوخ البسيط فقد راح يبني بيتاً بديعاً من جذوع الأشجار مع نوافذ وزجاج ، ومدخنة جيدة ، وغرف منفصلة عن بعضها بعضاً . وحفر بئراً بدلاً من أن يعتمد على النبع . وجاء الأطباء بعد المزارعين ، ثم التجار والمحامون والمبشرون ، أي كل الذين كانت الحاجة ماسة إليهم لبناء هيكل اجتماعي صلب . ومن هذا الشعب ينحدر أبراهام لنكولن الذي ولد في كوخ من جذوع الشجر في ولاية كنتوكي .

مخطط تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

الحدود الجديدة : أقول لكم إننا أمام حدود جديدة سواء أردنا ذلك أم لا . ففيما وراء الحدود تمتد مجالات بكر لم تكتشف بعد هي مجال العلم والفضاء ، ومشكلات لم يتم حلها بعد ... وأعتقد أن عصرنا يتطلب العزم ، والتجديد ، والتصوّر والقرار . أطلب منكم أن تكونوا الرواد الجدد ، أمام الحدود الجديدة .

الرئيس جون كنيدي تموز ١٩٦٠

الولايات المتحدة

تلعب أمريكا الشمالية وخاصة الولايات المتحدة ؛ دوراً متزايد الأهمية منذ مطلع القرن الحالي في الحياة الاقتصادية العالمية .

ففي خلال (٧٥) عاماً استطاعت الولايات المتحدة أن تؤكد سبقها وتفوقها في مضمار الإنتاج والعلم والتقنية . وكان دورها خلال الحربين العالميتين وخاصة خلال الثانية أروع برهان على ذلك .

وتؤلف سعة أراضيها ، ووفرة وتنوع مواردها ، وشعبها « الديناميكي » العناصر الأساسية في ازدهارها وفي قوتها . وتشتمل الولايات المتحدة على مناطق واسعة جداً سبق أن فتحها واستعمرها الإنكليز والهولنديون والفرنسيون والإسبان . فبعد أن كانت مقتصرة على (١٣) ولاية بريطانية ، أعلنت استقلالها في ١٧٧٦ ثم ضمت إليها تدريجياً مناطق شاسعة :

١ ـ المنطقة الواقعة بين جبال الأبالاش والبحيرات الكبرى والمسيسيبي وقد تخلت عنها بريطانيا في عام ١٧٨٣ .

٢ ـ لويزيانا التي باعتها فرنسا عام ١٨٠٣ مع كل المناطق الواقعة بين المسيسيبي والروشور .

٣ ـ فلوريدا التي تخلت عنها إسبانيا في سنة ١٨١٩ .

٤ ـ المناطق الشمالية الغربية الباسفيكية ، وحصلت عليها الولايات المتحدة عندما اعتبرت بريطانيا خط العرض (٤٩) كحد جنوبي لكندا .

٥ ـ المناطق الممتدة من المكسيك حتى المحيط الباسفيكي (تكساس ، المكسيك الجديدة وكاليفورنيا) ، التي انتزعتها من المكسيك بعد حرب (١٨٤٦ و ١٨٤٨) ، فاضطرت المكسيك أن تقلص حدودها حتى نهر ريوغرانده .

٦ ـ آلاسكا وقد اشترتها من روسيا عام ١٨٦٧ .

وبعد أن تشكلت (١٣) ولاية ألفت الاتحاد عام ١٧٨٨ ، أضيفت إليها تدريجياً الأراضي الواقعة إلى الغرب من جبال الأبالاش ، بعد أن أعمرت بالسكان وقامت فيها ولايات جديدة . وهكذا نجد أن للولايات المتحدة الأميركية تنظيماً سياسياً اتحادياً (**فيديرالياً**) ، يضم خمسين ولاية ، لكل منها تشريعها ، وحكومتها ، وعاصمتها ، ومحافظة اتحادية (تدعى محافظة كولومبيا) حيث تقع العاصمة واشنطن ، وحيث يقوم الكونغرس المؤلف من مجلسين تشريعيين والمقر الرئيسي لرئيس البلاد .

الولايات المتحدة كقارة

تحتل الولايات المتحدة حوالي خمس مساحة أمريكا الشمالية أو (٩,٣) ملايين كم^{٢} مع آلاسكا ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق كبرى .

آ ـ الآبالاش :

وهي جبال تمتد على مسافة (٢٥٠٠) كم من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، أي من جزيرة الأرض الجديدة حتى جوار خليج المكسيك . ويعود تاريخها لآخر الزمن الأول ، مثل السلاسل الهرسينية الأوروبية ، وقد تعرضت للتسوية تماماً ، ولكنها نهضت من جديد في الزمن الثالث ، واستأنف الحت عمله فيها ، وترتصف سلاسلها حسب اتجاه الطيات القديمة المتوازية ، وتنتج عن بروز شرطان من الصخور القاسية والمفصولة عن بعضها بمنخفضات محفورة في الصخور الطرية .

والتضريس الجبلي القديم الذي انبعث بفعل الحت ، أصبح شكلا تقليدياً نموذجياً تحت اسم التضريس الأبالاشي . ولا تؤلف جبال الأبالاش أكثر من عارض نسبي أمام المواصلات لأن ارتفاعها يندر أن يتجاوز (٢٠٠٠) م . كما أن الأنهار التي تصب في الأطلسي أو ترفد نهر المسيسيبي استطاعت أن تحفر وديانا عميقة عرضانية تسمح باجتياز السلسلة الجبلية بسهولة ، كما أن هناك سلسلة من المنخفضات الطولانية التي استخدمها أوائل الأميركان أثناء توسعهم نحو خليج المكسيك . وإلى الشرق من جبال الأبالاش نجد سهلاً ساحلياً يبدأ من جنوب نيويورك ويتسع باتجاه الجنوب حتى خليج المكسيك (شكل ٤) .

ب ـ السهل الأوسط :

ويتألف من صخور رسوبية تراكمت فيه ، ابتداء من الدور الثاني حتى الآن . ويحتوي هذا السهل على جانبي نهر المسيسيبي سهلاً ضيقاً نسبياً بالشرق ، وسهلاً أكثر سعة بكثير في الغرب ، يصعد على شكل درجات عريضة متعاقبة كي يصل إلى ارتفاع ١٨٠٠ م عند أقدام جبال الروشوز . واستطاعت الأنهار التي تأتي من هذا السهل أن تحفر أخاديد عميقة وعريضة متوازية وأن تؤلف بالتعاون مع نهر المسيسيبي ، عند خليج المكسيك ، سهلاً لحقياً واسعاً جداً استطاع أن يربط شبه جزيرة فلوريدا الكلسية بالقارة . وإلى الغرب من النهر تظهر جبال أوزارك ذات الصخور الأولية ، على شكل هضبة متفاوتة التضاريس المتراوحة بين (٧٠٠ و ٨٠٠) م ، وهي تشابه الكتلة المركزية في أواسط فرنسا .

جـ ـ الجبال الغربية :

وقد تشكلت بفعل سلسلة من الحركات التي تعاقبت منذ أواسط الدور الثاني حتى نهاية الدور الثالث . وكل المظاهر تشهد هنا على أهمية الحركات الشاقولية والبركنة ، لأن أعلى القمم هي عبارة عن مخاريط بركانية ، كما تغطي أغشية

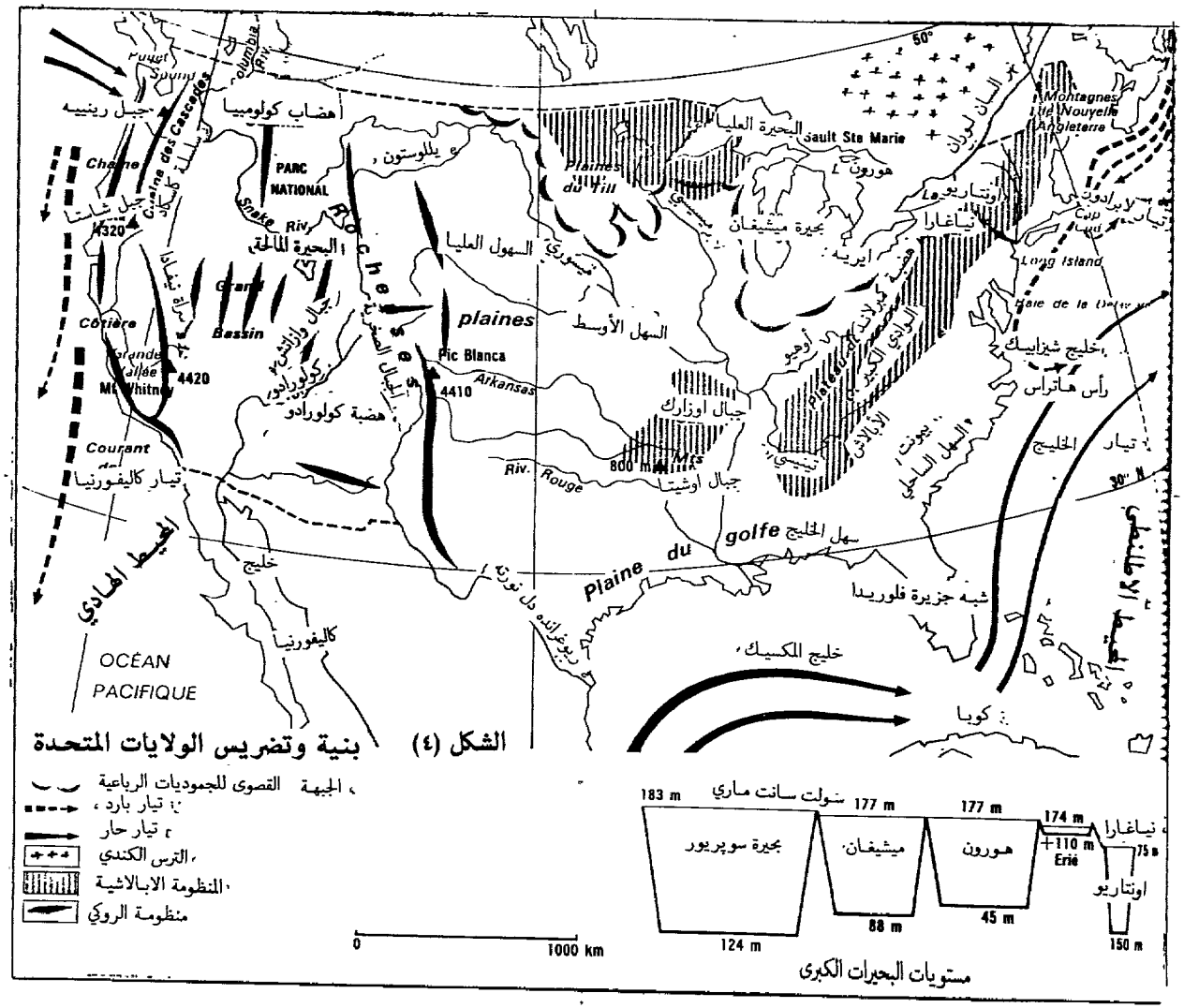
بنية وتضريس الولايات المتحدة
الجبهة القصوى للجموديات الرباعية
تيار بارد
تيار حار
الترس الكندي
المنظومة الابالاشية
منظومة الروكي
0
1000 km
مستويات البحيرات الكبرى
183 m
177 m
177 m
174 m
+110 m
Erié
75 m
150 m
124 m
88 m
45 m
بحيرة سوبريور
ميشيغان
هورون
اونتاريو
نياغارا
سولت سانت ماري
OCÉAN PACIFIQUE
golfe
Plaine du
Rocheuses
plaines
Pic Blanca
4410
4420
4320
Arkansas
Riv. Rouge
Grand Bassin
Grande Vallée
Courant
Chaîne
Côtière
Snake Riv.
PARC NATIONAL
Plaines du Till
Montagnes Nouvelle Angleterre
Long Island
خليج المكسيك
شبه جزيرة فلوريدا
كوبا
خليج شيزابيك
رأس هاتراس
المحيط الهادي
المحيط الاطلسي
الهضاب الكبرى
السهول العليا
السهول الأوسط
السهول الساحلية
البحيرة العليا
البحيرة المالحة
جبال اوزارك
جبال اوشيتا
جبال الشاطئ
جبال الشاطئ الغربي
جبل رينييه
جبل شاستا
هضاب كولومبيا
هضبة كولورادو
تيار كاليفورنيا
خليج
كاليفورنيا
هورون
ميشيغان
بحيرة ميشيغان
ايريه
اونتاريو
نياغارا
تيار
الخليج
سهل الخليج

الشكل (٤)

اللابات الكثير من الهضاب . وتبدو النافورات الحارة إحدى عجائب البارك الوطني في يلّلستون (شكل ٥) وتشابه هذه الجبال المتكتلة في آسيا الوسطى أكثر من شبهها للقوس الألبي . وتتألف من ثلاث حزم من السلاسل تطيف بهضاب عالية أو بحوضات داخلية .

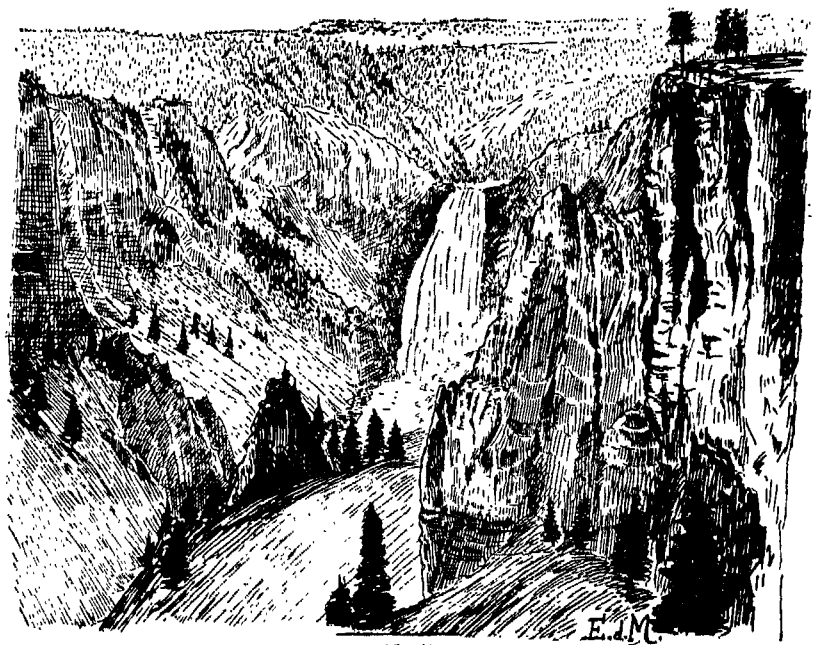

الشكل ٥

خانق نهر يللوستون (الولايات المتحدة ، المنتزه الوطني) عن ديمارتون

ففي آلاسكا تنتشر الجبال على شكل مروحة ، وتبلغ ارتفاعات شديدة جداً مثل جبل القديس إيليا (٥٤٨٦) م ، على حافة الباسفيكي وجبل ماك كينلي وارتفاعه (٦١٨٧) م ، حيث تثقب الاندفاعات البركانية المنطلقة من قمته الإطار المحيط به والمؤلف من درع من الجليد والثلوج .

أما في الولايات المتحدة فإن المنظومة الجبلية تأخذ أكبر اتساع لها ، فعلى مسافة تبلغ (١٥٠٠) كم من الشرق إلى الغرب نجد أربع سلاسل :

آ ـ الروشوز الرئيسية وفيها جبل هارفارد (٤٣٨٣) م .

ب ـ جبال وازاتش الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي .

جـ ـ سلسلة الكاسكاد وهي عبارة عن تعاقب براكين جسيمة خامدة مثل جبل ريينيه (٤٣٧٧) م ، شاستا (٤٣٨٣) م ، وتمتد جنوباً بجبال سييرا نيفادا (شكل ٦) التي يسمو فيها جبل ويذني وارتفاعه (٤٤١٩) م .

الشكل ٦

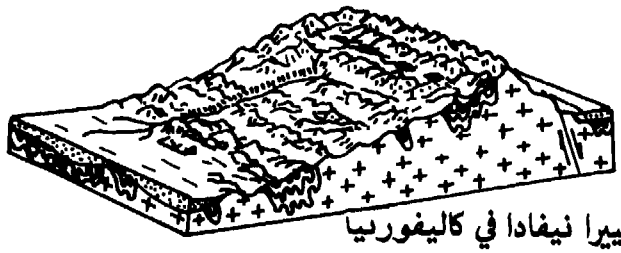

مجسم لجزء من جبال سييرا نيفادا في كاليفورنيا

ونجد بالداخل حجرات واسعة قد نهضت بالماضي إلى ارتفاع يزيد عن (٢٠٠٠) م ، وتظهر على شكل هضاب أفقية تقريباً مثل هضبة الكولورادو ، التي يحفر فيها نهر كولورادو خانقاً رائعاً عمقه (١٨٠٠) م على مسافة (٣٠٠) كم طولاً ، أو على شكل أحواض تتعاقب فيها سلاسل جانحة (مثل الحوض الكبير) . بينما انهارت حجرات أخرى على شكل منخفضات مثل وادي كاليفورنيا الكبير أو على شكل حفر دون مستوى سطح البحر كما في وادي الموت (شكل ٧) .

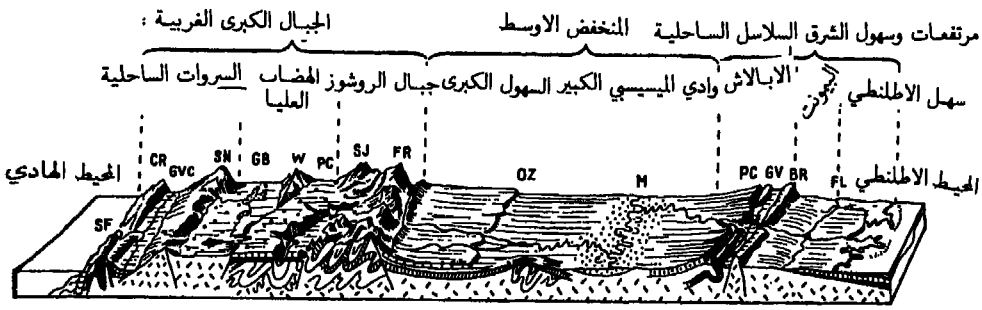

الشكل ٧ **تضريس أمريكا الشمالية . مقطع من الشرق للغرب**

الشرائط المناخية العامة

إن الشكل المتكتل للولايات المتحدة ؛ يفرض عليها **قساوة المناخ القاري** مع حدوده القصوى الحرورية وأمطاره العاصفية القليلة العدد ، ولكنها عنيفة . كما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مفعول **مراكز العمل الجوي** الكبرى ، الواقعة فوق المحيطات ، ففي الشتاء تتقدم الضغوط المنخفضة شبه القطبية نحو الجنوب في حين تتقهقر الضغوط المدارية الشديدة . أما فوق القارة المتبردة فيتشكل مركز ضغوط قوية تنطلق منه رياح شمالية غربية جافة وباردة تهب على المنطقة الأطلنطية ، وتبعث أحياناً طليعة لها حتى خليج المكسيك تدعى موجات البرد Cold Waves . أما على السفح الباسفيكي فيحدث العكس ، إذ تأتي من الجنوب الغربي رياح بحرية دفيئة ورطيبة . أما في الصيف فإن مراكز الضغط الشديد شبه المدارية تمتد باتجاه الشمال ، في حين تظهر ضغوط خفيفة واضحة في داخل القارة المتسخنة ، فتهب على الشرق من البلاد رياح مدارية قادمة من الجنوب الشرقي ، وتكون حارة ورطبة ، بينما يتمتع غرب البلاد برياح قادمة من الشمال الغربي ، منعشة . وهكذا نجد هنا التضاد المناخي ذاته الملحوظ في العالم القديم ، أي في آسيا ، إذ تجنح العوامل الملطفة للمناخ نحو التفوق على الواجهة الغربية للقارة ، بينما تتفوق المؤثرات المناخية القارية على الواجهة الشرقية (شكل ٨) .

وتزيد **التيارات البحرية** شدة هذا التضاد بين الواجهتين ، فنجد في المحيط الأطلنطي تيار الخليج (Gulf Stream) الحار بالجنوب ، كما نلاحظ تيار لابرادور بالشمال . أما في الباسفيكي فهناك تيار يؤدي إلى تسخن سواحل كندا وآلاسكا وتيار بارد يحاذي ساحل كاليفورنيا .

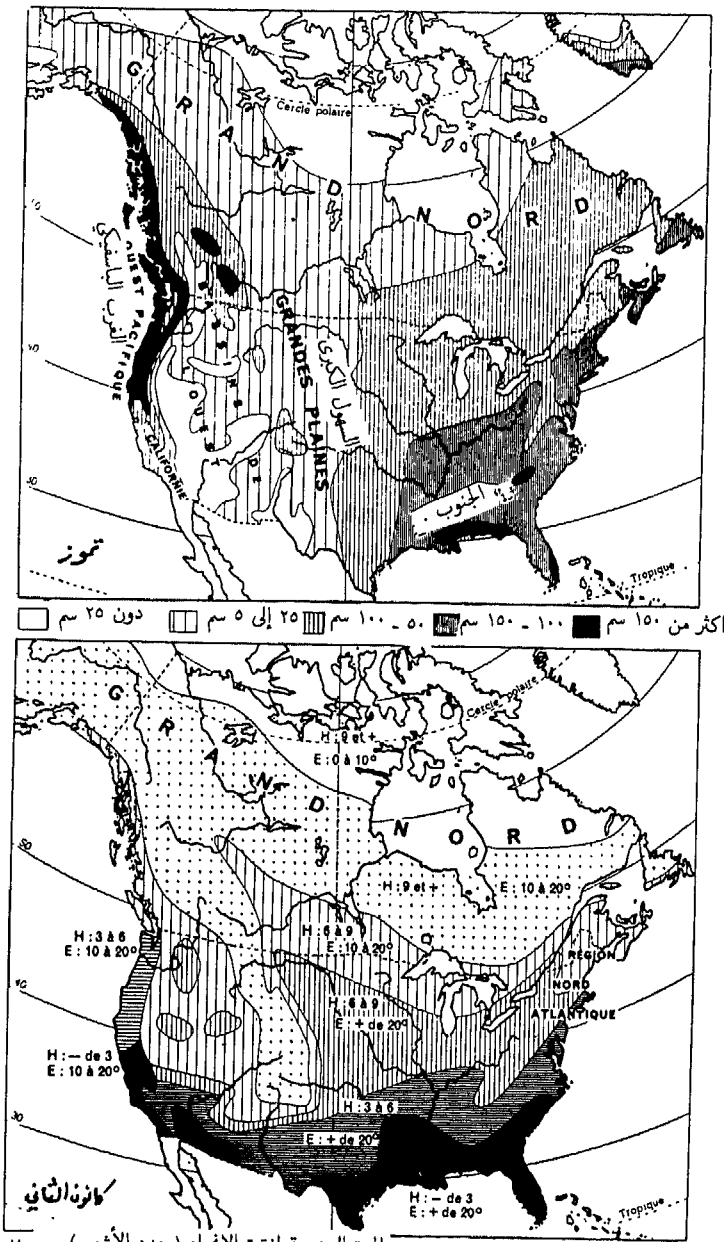

H : المدة السنوية لفترة الانجماد (عدد الأشهر)
E : الحرارة الوسطى لأكثر الأشهر حرارة .

الشكل ٨

التهطالات والحرارة في أمريكا الشمالية

بيد أن مؤثرات الباسفيكي الملطفة ، تتوقف فوراً بفعل **التضاريس** الناتجة عن السلاسل الغربية المرتفعة . فبعد السفوح الغربية الممطرة والمستورة بغابات رائعة ؛ تأتي وبسرعة بعدها ، باتجاه الداخل ، هضاب شديدة الجفاف تتحول جنوباً إلى صحارى حقيقية مع نباتات متباعدة شوكية من نوع الصبّاريات الضخمة . ولا تستطيع السهول الشرقية المفتوحة الصدر للشمال أن تصد زحف المؤثرات القطبية باتجاه الجنوب بالشتاء ، أو اندفاع المؤثرات المدارية خلال الصيف . وبفعل هذين الاجتياحين المتناوبين يتضاءل النطاق المعتدل إلى حده الأدنى .

المناخات

نجد في الغرب مناخات تشابه أوروبا الغربية ، ولكن مجالها ينحصر في شريط ساحلي ضيق ، فنجد المناخ النروجي في آلاسكا ، والمناخ الرومي أو المتوسطي في كاليفورنيا .

وفي الشرق يمتد على رقعة (٢٠٠٠) كم من الشمال للجنوب مناخ معتدل ولكنه قاري موائم لقيام الغابة والمراعي ، فمدينة نيويورك الواقعة على درجة عرض نابولي ، تتعرض لفصول شتاء أشد قسوة من شتاء برلين ، وإلى عواصف ثلجية أكثر عنفاً من موسكو ، وإلى فصول صيف أشد حرارة من صيف مدينة الجزائر ؛ مع موجات حر أكثر ثقلاً من التي تحدث في دكار بالسنغال .

وتكون كل المنطقة الجنوبية الشرقية شبه مدارية . فنحو الغرب تنحط هذه المناخات تدريجياً فتصبح درجات الحرارة شاذة إذ تهبط الحرارة في فينيبيغ بالشتاء إلى مستويات سيبيرية (- ٢٠°) ، وتندر الأمطار وتتخلى الغابة عن مكانها للمروج ، وبعدئذ إلى الصحارى الحقيقية بجوار جبال الروشوز (الروكي) .

البحيرات والأنهار

يضم السهل الأوسط أهم البحيرات والأنهار ، فتشكل **البحيرات الخمس الكبرى** في قلب أميركا الشمالية بحراً داخلياً حقيقياً مساحته (٢٥٠٠٠٠) كم٢ ، أو ما يعادل مساحة سورية والأردن . ويؤدي وجود شلالين هامين ناتجين عن بروز صخور قاسية بفعل الحت الجمودي الرباعي ؛ إلى تجزئة مياه البحيرات إلى ثلاثة مستويات ، فنجد شلالات سولت سانت ماري بين البحيرة العليا وهورون ، وشلالات نياغارا بين بحيرتي ايريه وأونتاريو . وبعد أن أصبحت الأقنية تتحاشى الشلالات ، أضحت البحيرات الكبرى تؤلف على مسافة (١٥٠٠) كم من الغرب للشرق ؛ طريقاً ملاحياً داخلياً رائعاً ينفتح على المحيط الأطلسي بواسطة نهر السان لوران . والمأخذ الوحيد عليه هو تجمده خلال الفترة الواقعة بين منتصف كانون الأول حتى أواسط نيسان .

ويقوم نهر **الميسيسيبي** بتصريف مياه كل المنطقة الوسطى بين الأبالاش والروشوز . ويبلغ طوله لوحده (٤٠٠٠) كم ولكنه يتمدد برافد نهر الميسوري ، فيؤلف طريقاً نهرياً لا مثيل له بالعالم من حيث الطول (٦٨٠٠) كم ، ويتغذى هذا النهر بالربيع من روافد تنحدر إليه من الروشوز ، مثل الميسوري وارکنساس والنهر الأحمر ، وفي الخريف يدعمه نهر الأوهيو وطوله (٢٠٨٠) كم والذي يعادل صبيبه صبيب الدانوب ، وبذلك يقذف نهر الميسيسيبي الغزير (٢٠٠٠٠) متر مكعب بالثانية أو أكثر من ٢٥ مرة من غزارة الفرات . وهو نهر سهلي ذو جريان بطيء فلا يؤلف بذلك طريقاً ملاحياً ممتازاً . ويتباطأ جريانه على شكل عقفات ضخمة وينتهي بدلتا غير مستقر . ويتعرض هذا النهر لفيضانات مخيفة بالربيع ، تنفرش على مسافة مئات الكيلو مترات بالسهل ، وذلك عندما تتضخم مياه نهر الأوهيو فجأة بتأثير الأمطار العاصفية الهاطلة فوق الأبالاش ، بالإضافة إلى موجة مياه عارمة تقدمها في الوقت نفسه أنهار الغرب .

الزحف نحو الغرب

في مطلع القرن التاسع عشر كان معظم سكان أمريكا الشمالية متمركزين في وادي السان لوران وفي النطاق الساحلي الأطلسي . وفي وسط القرن العشرين ظلت هذه المناطق أكثر مناطق الولايات المتحدة سكاناً ، ولكن كان السكان يتكاثرون في الوسط وفي الغرب بسرعة أكبر .

ويميز الزحف نحو الغرب الاستيطان الأميركي منذ (١٧٠) عاماً ، ذاك أن ملايين المهاجرين تحولوا إلى رواد بفضل تمديدالخطوط الحديدية ، فاستغلوا وأحيوا مساحات شاسعة في الغرب الأوسط ، أي منطقة البحيرات الكبرى والميسيسيبي ، والغرب البعيد Far West وحتى الجبال والنطاق الباسفيكي (شكل ٩) .

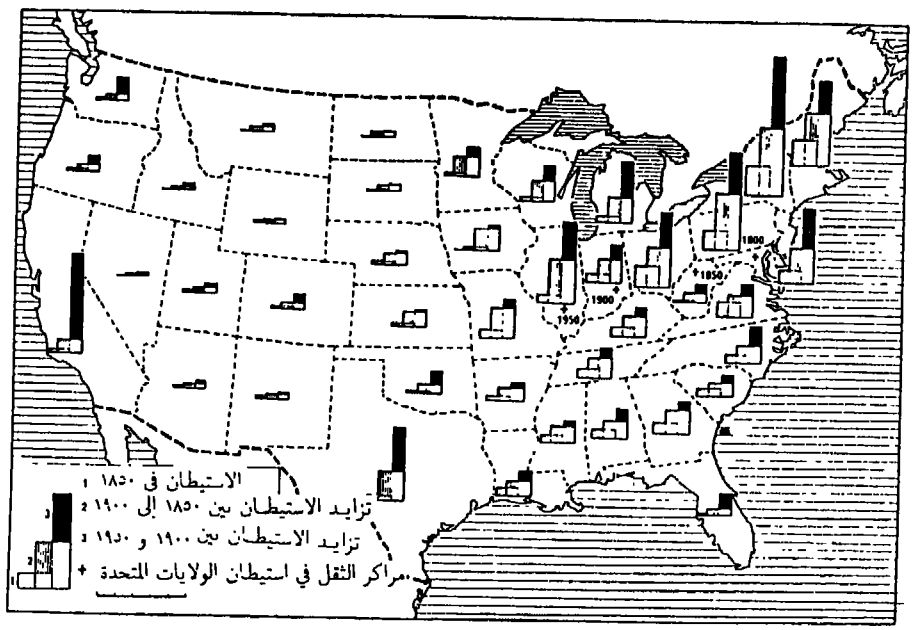

الشكل ٩

تزايد الاستيطان في الولايات المتحدة بين ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠

المدن الكبرى

يجنح عدد سكان المدن هنا نحو التفوق على عدد سكان الريف الذين لا يشكلون حالياً أكثر من ٨٪ من المجموع ، أو (٢٠) مليون ، ولكن كل مزارع أمريكي ينتج من الغذاء ما يكفي لأربعين شخصاً .

أما في المناطق الصناعية الكبرى أو مناطق التجارة الناشطة وخاصة حول البحيرات الكبرى ووادي السان لوران وفي النطاق الأطلسي وحتى على الساحل الباسفيكي فإن سكان المدن يتجاوزون ثلاثة أرباع مجموع السكان .

ويجتمع في المدن التي يزيد تعداد سكانها عن (١٠٠٠٠٠) نسمة ، أكثر من ربع سكان الولايات المتحدة . ويبلغ عدد هذه المدن في الولايات المتحدة حالياً (١٧٠) . وأصبحت بعض هذه المدن عبارة عن تجمعات هائلة من البشر مثل نيويورك التي تضم أكثر من (١٦,٧) مليون نسمة ، أي ما يعادل سكان العراق ولبنان معاً ، في حين يزيد عدد سكان محافظة نيويورك عن (١٩,٥) مليون أي ما يزيد عن عدد سكان كل شبه جزيرة العرب .

وهناك (٢٠) مدينة تتجاوز المليون وأهمها شيكاغو وفيها (٧,٦) ملايين نسمة ، وفيلادلفيا ٥,٦ ملايين وديترويت ٤,٧ ولوس انجلوس ويسكنها (١٠,٤) ملايين ، كيفلند ٣ ملايين (شكل ١٠) وسانت لويس ٢,٤ وبيتسبورغ ٢,٣ إلخ ، وتضم جميعاً أكثر من (٦٠) مليون أميركي وحوالي (٣٠) مدينة يزيد عدد سكان كل منها عن نصف مليون .

وكثير من هذه المدن لم تكن قبل قرن مضى أكثر من مدن صغيرة أو لم تكن قائمة أبداً . ففي ١٨٣٠ لم تكن شيكاغو تضم أكثر من بضعة بيوت ولكنها تجاوزت (١٠٠٠٠٠) عام ١٨٦٠ ، ووصلت إلى المليون عام ١٨٩٠ وإلى المليونين في ١٩١٠ ،

وتضم الآن مع ضواحيها أكثر من (٧) ملايين . لذلك يطلق الأميركان على مثل هذه المدن اسم المدن الفطور Villes Champignons أي تنمو بسرعة كنبات الفطور أو « عش الغراب » .

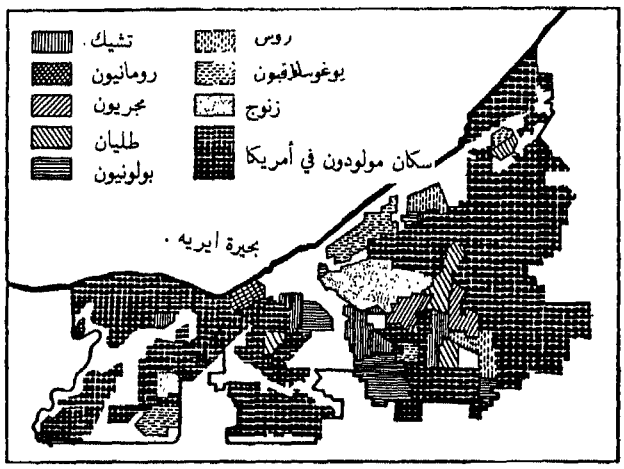

الشكل ١٠

مدينة كليفلند واستيطانها

وتقدم المدن الأميركية نموذج المدن الحديثة بشوارعها المتقاطعة بزوايا قائمة وبأحياء البساتين « غاردن سيتي » الواسعة على أطرافها وخاصة في أواسطها ، وبناطحات السحاب Skyline فيها ، وهي عبارة عن خلايا هائلة من المكاتب ، وهي مدن حقيقية باتجاه الأعلى ، حيث يعيش بين الساعة ٩ والساعة ١٨ في كل منها عدد يتراوح بين (١٥ ـ ٢٠) ألف نسمة ، ولكنها لا تحوي سوى الحرس ليلاً . وأضخم هذه الناطحات هي عمارة امبايرستايت في نيويورك ، التي تضم (١٠٢) طابقاً يثقبها (٦٤٠٠) نافذة ، وترتفع (٣٨٥) متراً ، أي أكثر ارتفاعاً من برج إيفل ، ويستعمل سكانها (٦٣) مصعداً كهربائياً تساعد على المواصلات الداخلية فيها والصعود إلى السطوح وإلى الحدائق المعلقة والمطاعم ومشارب الشاي في الطوابق العليا .

كما تكون ناطحة السحاب عبارة عن مدينة تحت الأرض لأنها تحوي عدة طوابق تحت الأرض ، تضم المكائن ومواقد التدفئة المركزية والقاعات الفسيحة ،

التي تحتلها المخازن الحاوية على كل السلع والبضائع . وقد بدأ ظهور ناطحات السحاب في نيويورك المحصورة في جزيرة مانهاتان ، وحيث كان المكان ضيقاً فبحث الناس عن المكان باتجاه الأعلى . ولكن تتمتع كل المدن الأميركية الآن بأرض فسيحة ومع هذا تملك عدداً من ناطحات السحاب .

أسلوب الحياة الاميركية

تدهش الحياة الأميركية الغريب نظراً لعصريتها والاستعمال المنهاجي للأدوات والآلات الميكانيكية والأتوماتيكية ، ولتطبيق أحدث المخترعات فيها على نطاق واسع . فالبساطة العملية في كل تفاصيل الحياة اليومية والعلاقة المباشرة في المعاملات العامة تثير عجب القادم من أقطار العالم القديم . وهكذا لا يضطر الإنسان للانتظار الطويل أمام كوات المراجعة التي يقبع خلفها موظفون مرهقون . ويكفي للركوب في القطار الأرضي أن يدس الإنسان قطعة معدنية سبق له أن اشتراها في فتحة صغيرة كي تفتح له الأبواب التي قد لا يجد خلفها أي موظف .

ويبلغ متوسط المعيشة في أميركا مستوى لا تزال تجهله معظم المجتمعات الأوروبية ، بل سكان العالم الثالث مما يسمح بالحصول على أجور مرتفعة ، والاستفادة من القروض بشكل ميسور وعلى نطاق واسع فالأميركي المتوسط ، والعامل أو المستخدم في المكاتب ، يسكن في بيت صغير خشبي مطلي بلون أبيض وتتقدمه حديقة ومرج أخضر رائع ، يبتعد نوعاً ما عن المدينة المزدحمة أو Downtown ، ويعيش في بيته الحاوي على الرفاهية كإنسان ميسور . فهو يعتني بقص مرجه الأخضر ، وينظم بيته ويتابع برامج التلفزيون ، كما تستخدم زوجته عدداً لا يكاد يحصى من أجهزة المطبخ الكهربائية وغير الكهربائية .

ويملك الشعب الأميركي ، الذي يشعر جيداً بوضعه المادي الممتاز بين شعوب

العالم ، ثقة مطلقة تلامس الغرور في التقدم الذي يخفف متاعب الإنسان ، كما يعمد إلى زيادة إنتاجيته مثلما يعمد إلى رفع مستوى رفاهيته فنجده يتصدى لأعقد مشاكل عصرنا بثقة لا تعرف التردد .

ويظهر استخدام الطاقة الذرية للرأي العام الأميركي بالنهاية كأداة للتقدم شأنه شأن استعمال المكائن الألكترونية تماماً .

ولكن هذا لا يجب أن يخفي عنا وجود طبقات فقيرة بائسة ، مثل البيض الفقراء وغالبية الزنوج وذلك لسوء توزيع الثروات . وشدة غرور أمريكا التي تنتج (٣٠٪) من الإنتاج الصناعي العالمي ، يجعلها تشعر بأنها المسؤولة عن شؤون الدول الأخرى ، فراحت تتخذ لنفسها وظيفة الشرطي العالمي وتتدخل في قضايا الدول الأخرى ، وتشن الحروب على بعض الشعوب المستضعفة ، مثل كوريا وفيتنام ، مما أثار سخط شعوب العالم والمواطن الأميركي العادي نفسه .

المواصلات

تبلغ المسافة بين نيويورك وسان فرنسيسكو (٥٠٠٠) كم ، فضلاً عن ضرورة اجتياز جبال الأبالاش ، لا سيما سلاسل جبال وهضاب الغرب ، كي يمكن الوصول إلى الباسفيكي . وهكذا ندرك أهمية وجود وسائل هامة لتأمين المواصلات والصعوبات الضخمة التي تعرض لها الأميركان خلال فترة بناء هذه الخطوط . غير أن السفر في الولايات المتحدة يعتبر أسهل ما يكون بالعالم بفضل تأمين شروط الرفاهية ووجود أسرع القاطرات .

آ ـ **شبكة الملاحة الداخلية** : تضم شبكة الملاحة الداخلية طريقين رئيسيين :

أولاً : من الشرق للغرب : وهي شبكة السان لوران والبحيرات الكبرى ،

التي تؤلف أهم طريق ملاحي بالعالم ؛ إذ تصعد السفن البحرية فيه حتى مدينة مونتريال الواقعة على مسافة (١٠٠٠) كم في داخل القارة . وبين المدينة المذكورة وصدر البحيرة العليا يتجوّل أسطول من البواخر ، تزيد حمولته عن مجموع الأسطول الفرنسي التجاري . ويبلغ وزن البضائع المنقولة على البحيرات الكبرى أكثر من (١٥٠) مليون طن بالسنة ، أي تقارب حركة الملاحة على كل من قناتي السويس وبناما ، بالرغم من أن الجمد الشتوي يحول دون المواصلات فوقها مدة خمسة شهور كاملة . وإلى هذه الشبكة يجب أن نضيف نهر الهدسن وقناة إيريه ، اللذين يصلان بين نيويورك والبحيرات الكبرى ، وتتراوح حمولة السفن التي تعمل في الشبكة الداخلية بين (٥٠٠ و ٣٠٠٠) طن وتسير على شكل قوافل عدد كل منها (١٢) تدفع من الخلف بواسطة towboats تزيد قوته عن ٣٠٠٠ حصان .

ثانياً : من الشمال للجنوب : أي فوق نهر المسيسيبي الذي هو نهر سهلي ويصلح للملاحة حتى مدينة اورليئان الجديدة . ويرتبط بشبكة البحيرات الكبرى بفضل رافديه ايللينوا ونهر أوهيو وثلاث أقنية . وهنا تكون الملاحة محدودة بفعل منافسة الخطوط الحديدية ، فضلاً عن أن اتجاه النهر يعاكس اتجاه تيارات المواصلات الكبرى الداخلية المتجهة من الشرق للغرب ، فبينما يبلغ وزن النقليات على نهر الأوهيو (٢٥) مليون طن ، نلاحظ أن كل البضائع المنقولة فوق نهر المسيسيبي لا تزيد عن (١٠) ملايين من الأطنان .

ب ـ الخطوط الحديدية العابرة للقارة :

يعود فضل فتح ولايات الغرب وأوائل المواصلات العابرة للقارة إلى الخط الحديدي . فقد سبق الخط الحديدي أحياناً الاستيطان البشري ، وسمح بفتح « الغرب البعيد » . ومنذ ١٨٦٩ أمكن ربط نيويورك بسان فرنسيسكو ، وبعد قليل تمّ مدّ أربعة خطوط عابرة للقارة في الولايات المتحدة . وهناك خطوط

حديدية هامة تؤمن الربط بين الشمال والجنوب ، وبذلك تؤلف شبكة الخطوط الحديدية الأميركية شبكة واسعة متصالبة يبلغ طولها (٣٤٥٠٠٠) كم ، أي أكثر طولاً من مجموع الشبكة الحديدية الأوروبية أو ثلث الشبكة العالمية . وتستعمل معظم قطاراتها القاطرات الديزل أو المكهربة ذات السرعة الوسيطة (١٥٠) كم / ساعة وتدعى Aerotrain .

جـ ـ السيارات :

تتعرض الخطوط الحديدية اليوم لمنافسة السيارات والطائرات . وكل عائلة في أميركا تقريباً تملك سيارتها ويبلغ مجموع السيارات في الولايات المتحدة أكثر من (١٠٧) مليوناً أو سيارة لكل ثلاثة أشخاص ، أو سبعين بالمئة من سيارات العالم ، تتجول فوق شبكة الطرق المعبدة التي يزيد طولها عن (٦,١) ملايين كم ، أو (١٣٠) مرة طول محيط الأرض عند خط الاستواء ، وأصبحت السيارة هناك من ضرورات الحياة العادية في المدينة أو في الريف .

وهناك شبكة من الطرق الجوية فضلاً عن وسائط المواصلات الآنفة الذكر . ففي خلال (٦) ساعات فقط يقطع المسافر المسافة الفاصلة بين نيويورك وسان فرنسيسكو . كما تملك الولايات المتحدة أكبر أسطول جوي تجاري يؤمن المواصلات على ثلاثة اتجاهات رئيسية هي :

١ ـ مع الشرق عن طريق أوروبا وآسيا .

٢ ـ مع الشرق الأقصى عن طريق آلاسكا ، أو بواسطة الباسفيكي (هاوائي) .

٣ ـ مع أمريكا الجنوبية نحو ريودوجانيرو وبونس آيرس أو نحو باناما أو نحو ليما وسنتياغو في الشيلي .

هذا ويتزايد استعمال الطائرة أكثر فأكثر . فالخطوط الجوية تنقل عدداً من

الركاب يعادل ضعف ركاب الخطوط الحديدية أو أكثر . كما أن المؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية تملك أسطولاً جوياً أكبر من عدد الطائرات العاملة على الخطوط المنتظمة . والواقع نلاحظ في المطارات الأميركية حركة كثيفة لاتعرفها مطارات أوروبا .

إن مواصلات كهذه تنقل كتلة من البضائع هائلة وجماهير من الركاب كبيرة ، وتكون مصحوبة باستخدام عام لكل وسائل الاتصال الحديثة (كالهاتف والتلغراف والإذاعة والتلفزيون والسينما) . كما تساهم في توزيع « طريقة الحياة الأميركية » في كل مكان وتمنح الولايات المتحدة طابع انسجام وتجانس يدهش الأوروبي ، كما يدخل الذهول في نفس القادم من أقطار العالم الثالث .

المناطق الطبيعية :

آ ـ المنطقة الأطلسية الشمالية :

وهي منطقة جبلية قاسية . فهنا نجد جبال الأبالاش التي تعرض باتجاه الجنوب الغربي ، وحيث تحتوي على خطوط ذرى متوازية يتراوح ارتفاعها بين (١٥٠٠ و ٢٠٠٠) م ، ويطيف بها من ناحية المحيط الأطلسي هضبة بييمونت Piemont وسهل ساحلي يضيق باتجاه الشمال الشرقي ، وهنا تهين جبال الأبالاش على وادي نهر السان لوران ، الواقع إلى الغرب منها وتشرف شرقاً على المحيط مباشرة . كما أن الطيات الأبالاشية ترسم هنا حركة انعطاف حول جبال آديروندايك ، التي هي عبارة عن كتلة متقدمة من المجن الكندي بجنوب نهر لوران . وفي هذه المنطقة تنفتح الممرات الرئيسية عبر هذه السلسلة التي وسّعها حت الأنهار والجموديات الرباعية ، مثل وادي كونكتيكوت ووادي هدسن الذي يتمدد شمالاً بحفرة شامبلان ، وفي الغرب بواسطة وادي موهاوك المؤدي لبحيرة إيريه .

وسواء أكان الساحل يلامس الجبل أو السهل ، فإنه يبدو ساحلاً شديد التقطيع ، تنفتح فيه مصبات خليجية عميقة (مثل وادي هدسن) التي تصبح ، عبر السهل الساحلي ، عبارة عن خلجان طويلة متشعبة مثل خليج ديلاور ، وخليج شيزابيك الذي لا يقل طوله عن (٣٠٠) كم وتؤلف بذلك مواقع رائعة لقيام الموانئ الممتازة .

وهي منطقة قاسية من ناحية مناخها الشديد البرودة بالشتاء ، والمصحوب بعواصف ثلجية مفاجئة وعنيفة ، وحار جداً صيفاً حيث تسود أحياناً ، وخاصة على الساحل ، حرارة رطبة شبه مدارية . وتكثر بالمنطقة الغابات المؤلفة من مخروطيات بالشمال الشرقي ، ومن أشجار بلوط وكستناء وحور بالجنوب الغربي ، وتقطعها البحيرات والأنهار وحيث لم تستطع الزراعة أن تحتل الأراضي المتوسطة الخصوبة إلا بصعوبة كبرى .

ولكن سواحل المنطقة هذه كانت أقرب المناطق في أمريكا إلى أوروبا ، وهنا نزل في عام ١٦٢٠ أوائل المعمّرين . وهنا استقرت وتشبثت أول « جمعية من المتطهرين » ، التي استطاعت بفضل روحها التقيّة والعملية ، وبفضل قوة إرادتها وتعشقها للحرية أن تمنح العبقرية الأميركية بعض صفاتها الثمينة وأكثرها خصباً . إذ وجب الأمر وجود عرق من الرجال الأقوياء والشديدي التنظيم ، للتغلب على المصاعب واستغلال الموارد ولجعل تلك المنطقة من العالم بؤرة حضارية حقيقية في القرن العشرين . وهكذا تؤلف هذه المنطقة المجال الرئيسي الحضري والصناعي والتجاري في الولايات المتحدة .

موارد المنطقة : تبدو موارد المنطقة المذكورة متعددة . فمنذ قرن مضى أخذ الريف يفقد سكانه تدريجياً لفائدة المدن الساحلية . وترك الناس زراعة الحبوب التي هاجرت نحو الجنوب ونحو السهول الغربية فتخصصت المنطقة في تربية الماشية الكبيرة لإنتاج الألبان كما اهتمت بزراعة البستنة (الخضار) .

وإذا كانت الأرض هنا قليلة الخصب فإن البحر المجاور الذي تختلط فيه مياه تيار الخليج وتيار لابرادور ، يحتوي على ثروات لا ينضب معينها : كالأسماك الطرية ، وسمك المورو والرنجه والمحار . كما تقدم الخلجان ومصبات الأنهار ملاجئ ممتازة بالنسبة للملاحة . وقد نتجت ثروة نيويورك وفيلادلفيا وبوسطن من التجارة البحرية ، ولا زالت هذه الموانئ اليوم أكبر موانئ الولايات المتحدة . وتؤلف الوديان عبر جبال الأبالاش مروحة من طرق مؤدية إلى بلاد الغرب . وهكذا أصبحت تلك الواجهة الأطلسية باب دخول للبلاد والمنفذ الجوهري لحاصلات المناطق الوسطى .

وأضيفت إلى موارد التجارة هنا موارد الصناعة بفضل الرساميل المتكدسة بواسطة التجارة البحرية ، وبفضل موارد الغابات والقوة المحركة لأنهار الجبل أو خط الشلالات Fall Line ، وبفضل حوض فحم الانتراسيت قرب سكرانتون في قلب الأبالاش ، وحوض الفحم البيتوميني الواقع على الطرف الآخر من الجبل ، وقامت هنا الصناعات التحويلية المتنوعة جداً ، والمشهورة بجودة صناعتها مثل صناعات نسيج القطن والصوف والحرير ، ومصانع الألبسة والأحذية ، ومعامل قاطرات الخطوط الحديدية وشاحناتها ، وترسانات بناء السفن ، ومختلف الصناعات الميكانيكية وماكينات النسيج وآلات الكتابة والحساب وأجهزة التصوير والراديو والتلفزيون والأسلحة والساعات الخ ..

وتتصف هذه المنطقة بكثافة سكانها نظراً لأنها كانت أول منطقة أميركية تطؤها أقدام غالبية المهاجرين الأوروبيين . فهي تحوي أشد الكثافات البشرية في أمريكا . ويبدو أنها لا تمثل سوى رأساً متقدماً باتجاه الشرق ، تزيد مساحته قليلاً عن (٤٠٠٠٠٠) كم مربع أو (٦٪) من مساحة البلاد ، ولكن يتمركز فيه (٦٠) مليون من السكان أو حوالي ربع سكان الولايات المتحدة الذين بلغ عددهم ٢١٨,٤ مليون في ١٩٧٧ ويقاربون حالياً ٢٣٢ مليوناً .

وتشتد الكثافات فوق مناجم فحم الأبالاش ، وفي المنخفض المؤلف من وادي الموهاوك حتى بحيرة إيريه ، فنجد مدناً هامة مثل ، اوتيكا ، روشستر ١ مليون ، سيراكوزه ٦٥٠٠٠٠ نسمة ، وعلى طول الساحل الممتد بين واشنطن ٣ ملايين نسمة ومدينة بورتلاند (١ مليون) (ولاية ماين) . وكل هذه المدن المذكورة ، عدا واشنطن ، التي هي عاصمة سياسية واقعة على التخم الفاصل بين الشمال والجنوب ، يقارب سكانها المليون ، هي عبارة عن موانئ ومراكز صناعية وتجارية من الدرجة الأولى ، وخاصة بالتيمور ٢,٢ ملايين وفيلادلفيا وعدد سكانها (٥,٦) ملايين ، بوسطن ٣,٦ ملايين ونيويورك ١٦,٧ مليون نسمة (شكل ١١) .

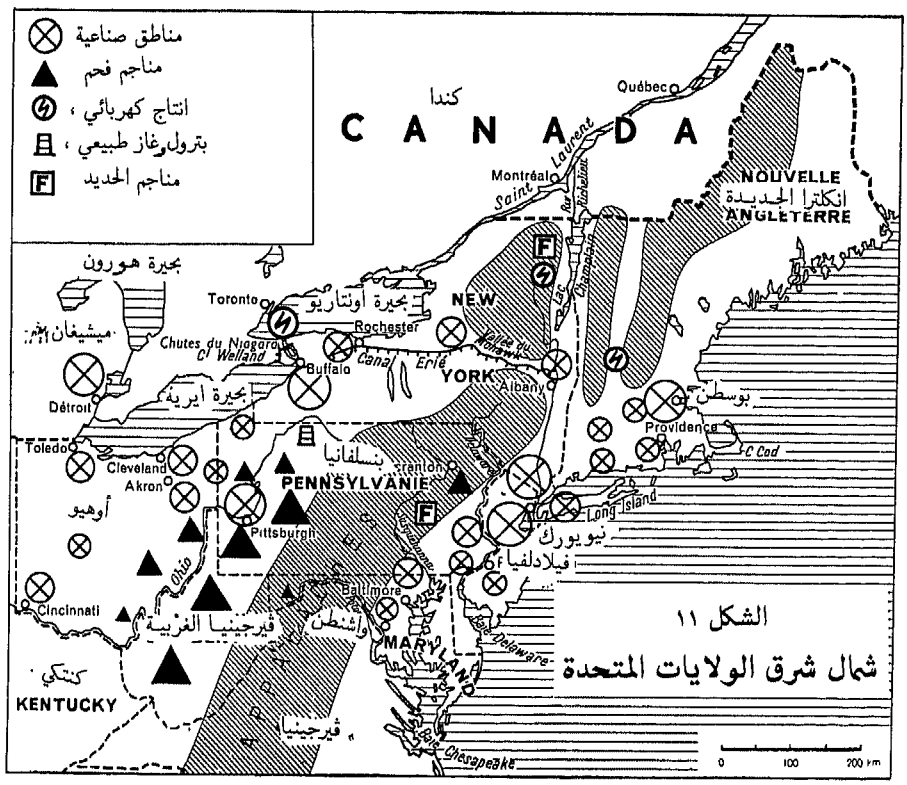

ولا نجد بالعالم مدينة كمثل المدينة الأخيرة تطورت بسرعة واحتلت مكانة رفيعة في شتى الميادين . وتقع في صدر خليج فسيح وتبعد عن عرض البحر حوالي (٣٥) كم ، أي في موقع رائع عند مخرج وادي الهدسن حيث تهيمن وتشرف على أهم طريق يوصل إلى السان لوران والبحيرات الكبرى . وتلعب دور عاصمة في كل المجالات باستثناء الوظيفة السياسية .

فهي عاصمة اقتصادية من حيث كثافة طرقها البرية والحديدية والنهرية والخطوط الجوية التي تتلاقى فيها ، وبمينائها الذي يعتبر بحق أهم ميناء بالعالم (حوالي ١٦٣ مليون طن بضائع بالسنة و ٣٣ مليون طن من مشتقات النفط وتدخلها سنوياً أكثر من ١٠٠٠٠ باخرة) . والذي انتزع من لندن وظيفتها السابقة ، بحسبانه أول عنبر للبضائع . وهي عاصمة صناعية بفضل معامل الصناعات الحديدية والكيماوية والنسيجية والغذائية ، وبمصانعها المتنوعة النشاط جداً . وهي عاصمة ثقافية بجامعاتها إذ فيها أكبر جامعتين في أمريكا . وبمتاحفها ، ومكتباتها ومسارحها ودور السينما . وهي تطمح أن تكون عاصمة العالم ، لا سيما بعد أن آوت إليها منظمة هيئة الأمم المتحدة .

وفي ١٨٥٠ كان عدد سكانها نصف مليون نسمة ، وبعد قرن واحد بلغ (٧,٥) ملايين ، كما أنها أصبحت تضم مع ضواحيها في العام نفسه (١٢) مليوناً . وقد قامت بالبدء عام ١٦٢٩ فوق جزيرة مانهاتان ، التي أصبحت اليوم بؤرة ناطحات السحاب وحي الأعمال ، ثم أخذت أحياؤها الصناعية وأحياء السكن فيها تتمدد حسب خطوط المترو الهوائي والأرضي وبفضل الجسور وعددها (٧) والأنفاق وعددها (١٧) ، ولا سيما التي تمر من تحت ومن فوق نهر الهدسن وإيست ريفر ، والتي يزيد طول بعضها أحياناً عن الكيلو مترين وبفضل السفن والسفن الناقلة للقطارات إلى أن أصبحت مع أحيائها تشغل رقعة تعادل ثلث لبنان .

ب ـ الجنوب :

وتكون تضاريسه متنوعة لأنه ليس عبارة عن سهل منسجم . ويؤلف وادي الميسيسيبي اللحقي محوره ، والذي يبلغ عرضه (١٠٠)كم ، والذي تجري فيه الروافد الموازية للنهر المذكور مسافة طويلة قبل أن تصب فيه ، وذلك في تيه من العصائب الجانبية والمنخفضات والبحيرات والمستنقعات . وفي شماله تنتصب تلال الأوزارك وسلسلة الأبالاش (شكل ١٢) .

وفي الشرق تنخفض هذه السلسلة باتجاه السهل الساحلي ، على شكل هضبة تدعى هضبة البيدمونت ، والتي تجتازها الأنهار الغنية بالمساقط المائية (وتسمى المنطقة خط الشلالات) على شكل وديان عميقة . وأخيراً على الخاصرة الجنوبية الشرقية من السهل نجد شبه جزيرة مؤلفة من صخور كلسية ملتصقة بجسم

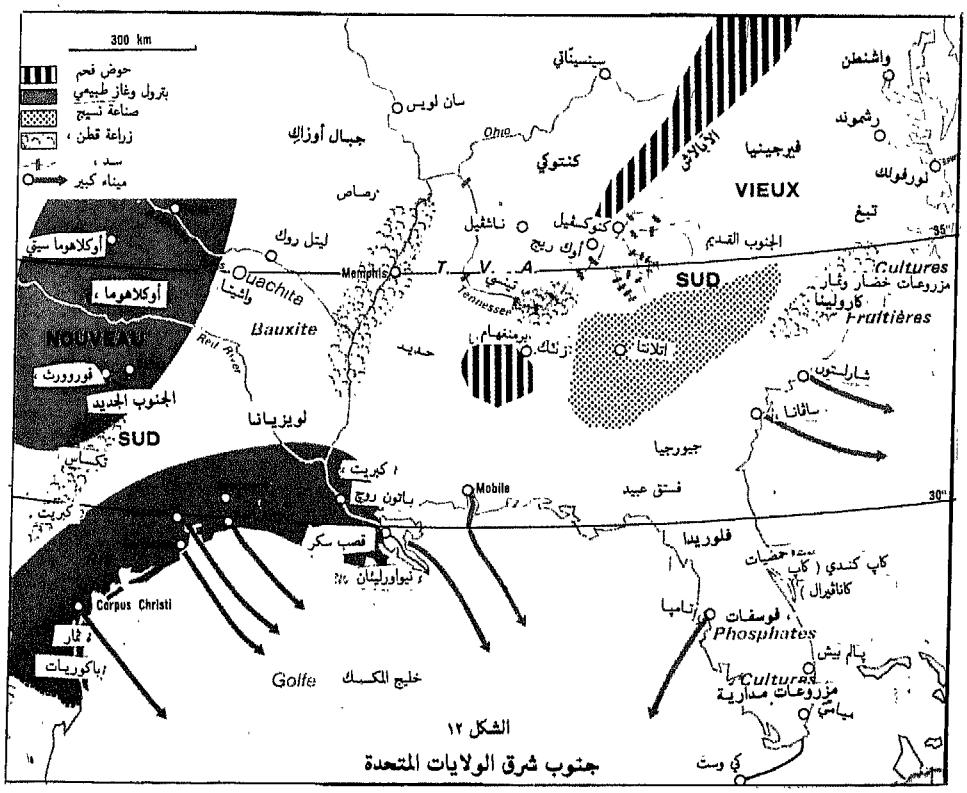

الجنوب ، وهي ذات أرض متشققة حيث تظهر فيها الأغشية المائية الكارستيه على شكل بحيرات في المناطق المنخفضة . وعلى الساحل الشرقي المعرّض لموجات الأطلسي العاتية ، نجد جبالاً ساحلية تضم خلفها لاغونات متطاولة (بحيرات ساحلية مالحة المياه) ورصيف من المرجانيات يمدد شبه الجزيرة المذكورة بمقدار (١٥٠) كم باتجاه كوبا .

وتزيد حرارة المناخ تدريجياً باتجاه الجنوب ولكن موجات البرد الشتوية تؤدي لتخفيض ميزان الحرارة فجأة ، ولا ينجو من الصقيع سوى شبه جزيرة فلوريدا . وتسود الرطوبة الثقيلة في كل مكان هنا وتضفي أمطار الربيع والصيف على هذه المنطقة طابعاً شبه مداري .

وقد استطاعت طبقة ارستوقراطية بيضاء مؤلفة من كبار المزارعين ، والتي كانت تستخدم الزنوج الرقبق أن تهيمن مدة طويلة على الجنوب . ولكن بعد إلغاء الرق وحرب الانفصال ١٨٦٠ ـ ١٨٦٥ ، تجزأت المزارع وأصبح الزنوج عمالاً زراعيين أو ملاكين صغار . ويبلغ عددهم اليوم أكثر من ٢٣ مليون ويمثلون ٣٠ وحتى ٦٠ بالمئة من مجموع السكان في بعض المناطق ، وتعتبر المشكلة الزنجية « صداع » الولايات المتحدة ، ولا يعرف الزنوج طريقة للتخلص من هذا التمييز ، اللهم إلا إذا حدث تطور في العقلية يقبل التهجين ، أما لجوؤهم إلى الملاكمة أو إلى الموسيقى الجاز فلا يسمح لهم بالانعتاق من عقدتهم النفسية ومعاناتهم لمركب الحِطّة .

لقد كان عنده ابن يحبه حباً جماً . غير أن هذا الولد لم يلبث أن توفى ، فقرر أن يذهب به ليدفن هذا الجسم الصغير في الشمال ، حيث تكون النزاعات العرقية أخف حدّة : « بينما كنا نحمله إلى المحطة كان الرجال والنساء يتزاحمون بالمناكب ، شاحبي الوجوه ، في قلب المدينة الصاخب ، وكانوا يلقون علينا نظرة عجلى قائلين : « إنهم زنوج ... وفي خلال كل الوقت الذي أعقب ذلك ، كان قلبي ممتلئاً بفرح شنيع . لاتلوموني ... فقد كانت نفسي لاتنفك تهمس قائلة لي : إنه لم يمت ، نعم ، إنه لم يمت ، ولكنه نجا ... لم يعد مكبّلاً ، بل أصبح حراً طليقاً »

(أدوين امبري Against the odds) .

وقد ظل الجنوب مدة طويلة زراعياً بالدرجة الأولى ، فكان يقدم الحاصلات المدارية قبل كل شيء . ونميز ابتداء من الشمال أربع مناطق متتابعة :

أولاً ـ نطاق التبغ : ويقع رأساً جنوب نطاق الذرة ولكن إلى الشرق من نهر الميسيسيبي فقط في ولايات كنتوكي ، وتينيسي ، ولاسيما ماريلاند وفيرجينيا . ويكون الإنتاج كبيراً لدرجة يعادل ٢٠ مرة إنتاج فرنسا من التبغ ، وتصدر الولايات المتحدة نصف محصولها على شكل تبغ أو سكائر .

ثانياً ـ نطاق القطن : ويمتد من كارولينا ومن جورجيا حتى التكساس ، حتى أصبحت الولايات المتحدة بفضله أكبر منتج بالعالم . ولما كان مجال القطن يتسع تدريجياً نحو أراض يتزايد جفافها فقد اكتسب صفة مقاومة الحشرات والطفيليات ، ولكن مردوده ونوعيته في تناقص . وهكذا تنتج الولايات المتحدة أليافاً من النوع المتوسط تقع بين الأنواع المصرية الممتازة والأصناف الهندية الرديئة . وهناك عوائق عديدة تضر بالإنتاج مثل تعرض المحصول للحشرات وقلة الأمطار التي قد تخفض المحصول إلى النصف ، والأسعار العالمية التي قد تتفاوت بنسبة ٣ إلى ١ وهكذا أدت زراعة القطن الوحيدة في الجنوب إلى بؤس كما أوجدت غنى . ومنذ ١٩٣٠ تناقصت المساحات المزروعة قطناً بنسبة ٣٥٪ لفائدة زراعة فستق العبيد وزراعات الخضار ومزارع الخوخ والمشمش . ولكن لاتزال الولايات المتحدة تنتج أكثر من ٤٠٪ من قطن العالم أو ٢,٢ مليون طن من الألياف و ٣,٥ مليون طن من بذرة القطن كما لاتزال أكبر دولة مصدرة له .

ثالثاً ـ وعلى حافة ساحل خليج المكسيك تمتد حقول الرز ، ٥,٢ ملايين طن وقصب السكر .

رابعاً ـ فلوريدا وتمتلك مزارع واسعة للأناناس ، فضلاً عن حقول واسعة شاسعة تنتج مقادير هائلة من الحمضيات (الموالح في مصر والقوارص في تونس) ، وخاصة الليمون والبرتقال والكريفون .

هـذا وتجتـاح غـابـات الصنوبر كل منطقـة الجنـوب الـواقعـة إلى الشرق من الميسيسيبي . وبعـد أن تفصـد الشجرة كي تعطي الراتنـج إلى أن تمـوت ، يقطعهـا الحطـابـون والعـاملـون في نشر الأخشـاب . وهـذه الصنـاعـة تـؤدي إلى استنزاف الغـابـات بسرعـة ، حيث يستخرج منهـا الراتنـج الـذي يقطر ليعطي روح التربنتين .

الصناعة بالجنوب : لقد انتبه صنـاعيو الشمال إلى الفـائـدة الكامنـة والتي يمكن استخدامها بالجنوب نفسه ، وخاصة الموارد الأوليـة فضلاً عن اليـد العـاملـة الزنجية الرخيصة . وهكذا قفز الإنتاج الصناعي قفزات جبارة منـذ نهـايـة القرن الماضي في هذه المنطقة . ففي أسفل هضبـة البيـدمونت تستثمر مسـاقـط الميـاه من أجل غزل ونسج القطن ، وهكذا أصبحت أتلانتا عاصمة هذه الصناعة المبعثرة على شكل معامل صغيرة ومتوسطة ، ابتداء من كارولينا حتى آلابـامـا . وفوق منـاجم الحديد والفحم المتقاربة عند النهاية الجنوبية لجبال الأبالاش ولدت مدينة هـامـة تعدينية اتخذت اسم بيرمنغهـام ، ٨٠٠٠٠٠ ، نسمـة وهو اسم شقيقتهـا البريطـانيـة الكبرى . أما على ساحل الخليج فقد تضاعف عدد الترسانـات البحريـة . هـذا كما يستخرج من فلوريدا أكبر كمية من الفوسفـات بـالعـالم ، كما يستثمر الكبريت من لويزيانا وفي التكساس والبوكسيت من جبال اوزارك ومن الأبالاش الجنوبية .

أمـا في غرب الميسيسيبي ، من الكنسـاس إلى خليـج المكسيـك ، فقـد أدى البترول إلى جذب عنيف للسكان يماثل ماأحدثه الذهب بالماضي ، فقـامت مـدن جديدة مثل تولزا ، وهي المقر العام للشركات البترولية والتي تضم حاليـاً أكثر من ٥٠٠٠٠٠ نسمة ، في حين لم يكن بها أحـد عـام ١٩٠٠ ، ومـدينـة أوكلاهومـا سيتي وفيها ٧٥٠٠٠٠ نسمة وقد تزايد سكانها أكثر من ٣٥ مرة منذ مطلع القرن الحـالي . ففي عـام ١٩٠٠ اكتشفت طبقـة من البترول على عمـق ٢٠٠٠ متر تحت المـدينـة ، وبعد قليل أصبحت أرض المدينة مثل الغربال ، وحتى في أواسـط أعرض الشوارع

المؤدية إلى قلب المدينة . وهكذا كانت البلدة تحتوي عام ١٩٥٠ (١٣٠٠) بئر مع أبراجها المعدنية . ويرسل البترول للمصافي الجبارة على الساحل . ولكن القسم الأعظم يرسل بواسطة الأنابيب إلى الولايات في الشمال الشرقي . وهكذا يقدم الجنوب ٦٠٪ من إنتاج البترول في البلاد .

وقد أعطت تجارة القطن لهذه المنطقة فعالية بحرية كبرى في حين انحطت موانئ الساحل الأطلسي ، مثل شارلستون وسافانّاه . بيد أن موانئ الخليج الأحسن تجهيزاً تعتمد على موارد وفيرة للتصدير ، وهكذا أصبحت تامبا ميناء الفوسفات ، موبيل : ميناء القطن ، وأصبحت هوستون ٢ مليون نسمة والتي تبعد عن البحر بمسافة ٨٠ كم وميناؤها غالفستون مهتمتين بتصدير القطن والكبريت ولاسيما البترول نحو نيويورك وفيلادلفيا . لكن مدينة نيوأورليئان تظل العاصمة السياسية والاقتصادية للجنوب وفيها ١,٥ مليون نسمة . وينافس سوق القطن فيها سوق نيويورك أو ليفربول . أما ميناؤها الذي يبعد مسافة ١٧٠ كم عن البحر فيصدر القطن والحبوب والبترول ويستورد السكر والبذور الزيتية والقهوة والنترات .

وقد اختار الأميركيون الأثرياء منذ ١٩٢٥ فلوريدا كبلد سياحة شتوية ، وبذلك نالت كلّ من ميامي ٢,٣ مليون نسمة وبالم بيش شهرة عالمية . وقد تمكن مهندس أميركي أن يصل بين الجزر المرجانية المتناثرة باتجاه كوبا ، بواسطة جسور من الإسمنت المسلح فوق طريق (فريد من نوعه بالعالم من حيث تقدمه في البحر) حتى جزيرة كي وست وهي ميناء يتجه نحو كوبا وميناء صيد إسفنج وسلاحف وقاعدة بحرية بمثابة قاعدة جبل طارق .

جـ ـ منطقة الميدل وست :

ينحصر سهل الميدل وست بين نهري ميسوري وأوهيو على شكل هلال واسع حول البحيرات الكبرى .

فقد تركت الجموديات الرباعية فيها سلاسل تلال من المورينات ، كما حفرت وعمقت فيها حوضات البحيرات الكبرى ، وبذلك أوجدت على حافتها جروف الضلوع الكلسية (الجالات) التي يجتازها مصرفا البحيرة العليا وبحيرة إيريه ، على شكل شلالين هما سولت سانت ماري وشلالات نياغارا . ويكون المناخ هنا عسيراً ، شديد البرد بالشتاء ، وحاراً جداً بالصيف ولكنه يتلطف بجوار البحيرات الكبرى التي تلعب دوراً معدلاً وكأنها بحر صغير داخلي . وكانت غابة المخروطيات في الشمال وذوات الأوراق بالجنوب تستر كل هذه المنطقة الجديدة التي نهضت منذ أواسط القرن الماضي نهضة جبارة بفضل استصلاح الطرق المائية ومد الخطوط الحديدية . ويعتبر الميدل وست أكبر منطقة زراعية بالاتحاد . وينقسم إلى ثلاثة نطاقات متميزة بوضوح :

أ ـ نجد حول البحيرات الكبرى **نطاق الشوفان والعلف المزروع** المخصص لتربية الماشية بشكل كثيف ، سواء من أجل الذبح أو من أجل إنتاج الحليب والزبدة والجبن .

ب ـ وإلى الجنوب من ذلك أي بين ذراعي الميسوري والأوهيو يمتد **نطاق الذرة** حيث يكون الصيف حاراً ورطباً . وبعد أن يتم قطاف عرانيس الذرة في تشرين الأول والثاني يعمد المربون إلى إدخال أبقارهم كي ترعى سوق الذرة . وتستخدم حبوب الذرة لتسمين الخنازير . وهنا تتزايد زراعة الصويا تدريجياً .

جـ ـ أما القمح فقد هاجر نحو المناطق الغربية الأكثر جفافاً ، وهنا نجد **نطاق القمح** الذي ينقسم إلى شطرين : شطر شمالي (أي داكوتا الشمالية والجنوبية) ، حيث يكون الشتاء قارساً جداً فلا يسمح إلا بزراعة القمح الربيعي ، وشطر جنوبي (كانساس وأوكلاهوما) ، حيث يمكن زراعة القمح الشتوي . وهنا يأتي المزارعون بقمحهم إلى الصوامع (سيلو) وهي مخازن شيدتها شركات الخطوط الحديدية أو مؤسسات تجارية قرب المحطات .

الصناعة في الميدل وست : يعتبر الميدل وست منطقة صناعية من الطراز الأول . وإذا كان بترول المنطقة قد نضب معينه فإن المعامل الكهربائية المقامة بجوار نياغارا وعلى نهر الميسيسيبي الأعلى تقدم الكهرباء الوفيرة . كما أن هضاب السفح الغربي لجبال الأبالاش تملك مكمن فحم واسع يمتد على مسافة (٣٠٠) كم ، أي من بنسلفانيا حتى آلاباما . وهنا تجد طبقات سميكة تتراوح بين متر ونصف و (٣) أمتار ، ومنتظمة تتتابع بلا صدع على مسافة تتراوح بين (٨٠ وحتى ١٠٠) كم . ويمكن استغلال هذه الطبقات بسهولة من سفوح الوديان التي يكفي حفر أنفاق مائلة نحو الخارج فيها لتسهيل تصريف المياه وتفريغ الفحم وتتم عمليات الاقتلاع ميكانيكياً والنقل كهربائياً ، وهكذا يتم إنزال الفحم مباشرة من فوهة المنجم إلى الباخرة النهرية أو إلى عربات القطار . وبذلك يكون مردود عامل المنجم في أمريكا أعلى مردود بالعالم فيتراوح بين (٥ أو ٦) طونات باليوم ، أي ما يعادل (٤) مرات مردود العامل البريطاني و (٥) مرات مردود العامل الفرنسي ، والإنتاج السنوي الذي يبلغ (٦٠٠) مليون طن وهي ثاني منتج بعد الصين يحتوي على كل أصناف الفحم الصناعي . أما في أحواض ايللينوا ، في الغرب ، فيتم الاستخراج من آبار قليلة العمق أو من مناجم مكشوفة ويبلغ حوالي (١٥٠) مليون طن بالسنة .

هذا كما تملك هذه المنطقة أهم مناجم الحديد بالعالم ، الواقعة في منطقة سلاسل من التلال على ضفاف البحيرة العليا . وهنا يستخرج نوع من الهيماتيت ، يكاد يكون نقياً ، غني جداً بالمعدن إذ تعادل نسبة غناه (٦٠٪) في مدرجات واسعة مكشوفة تسير فوقها خطوط حديدية ، وتعمل هناك جرّافات جبارة من أجل تحميل العربات التي تهبط نحو الموانئ التي يعتبر ميناء دولوث أهمها .

أما الطريق الملاحي فوق البحيرات الكبرى فيسمح بنقل كثيف لفلزات الحديد نحو الفحم ، مما ساعد على نمو الصناعة التعدينية الثقيلة بجنوب

البحيرات ، وخاصة في بيتسبورغ (٢,٥) مليون نسمة الملقبة بعاصمة الفولاذ وفي بوفالو (١,٤) مليون نسمة وكليفلند (٢,٢) مليون وديترويت التي تسمى عاصمة السيارات بفضل معامل فورد وجنرال موتورز الضخمة ، ويزيد سكانها عن (٤) ملايين وغاري وشيكاغو وتضم ٧,٧ ملايين نسمة . هذا وتنتج الصناعات الميكانيكية إنتاجاً ضخماً من السيارات والطائرات في منطقة ديترويت وتجهيزات السكك الحديدية والمكائن الزراعية في شيكاغو وميلووكي وفيها مليون ونصف نسمة وسانت لويس ، التي تضم (٢٥٥٠٠٠٠) من السكان ، وتعتبر شيكاغو أهم مدينة في الميدل وست . فإلى جوار أرصفة الميناء ، القائمة على ضفاف بحيرة ميشيغان والتي تستقبل الفحم والبترول والفلزات والأخشاب والحبوب ، تتعاقب معامل صهر الفولاذ ومصافي النفط والمطاحن ومعامل الورق . وشيكاغو هي أول عقدة للخطوط الحديدية وأهمها . فهي تقوم بوظيفة سوق كبير للحاصلات الزراعية وعاصمة لحم (مجازر ومعامل معلبات) ، وبوظيفة مركز تجاري وصناعي متزايد الأهمية .

هذا ويمتد معمل فورد في مدينة ديترويت على مساحة تزيد عن (٥٠٠) هكتار ويستخدم حوالي (٦٥٠٠٠) عاملاً . ويضم هذا المعمل أفراناً عالية ومصانع فولاذ وصفائح حديدية ومصاهر ومعامل زجاج ومركزاً كهربائياً فضلاً عن سلسلة من المعامل التي تنتج كل لوازم السيارة . وقد كانت هذه المؤسسة مدرسة لأنجع طرائق الإنتاج الصناعي .

أما الصناعات الكيماوية فتصفي البترول وتصنع الأسمدة في كليفلند وشيكاغو ، والمطاط الطبيعي والاصطناعي في آكرون وكليفلند . هذا وتتوزع الصناعات الغذائية في كل أنحاء الميدل وست ، وهكذا تعتبر سان بول وفيها (١,٥) مليون نسمة ومينابوليس وفيها أكثر من مليون عاصمتي الدقيق ، وكانساس سيتي وفيها مليون نسمة ، وسان لويس وسكانها أكثر من (٢,٥) مليون

وشيكاغو عاصمتي اللحم البقري ولحم الخنزير الناتج عن حيوانات تربى على مستوى الصناعة الكبيرة .

وأخيراً ليس هناك من مدينة كبيرة أو صغيرة إلا وتملك معملاً لإنتاج الأدوات الزراعية ، ومعمل قرميد ، ومصنع للسجاير ومطحنة ومعمل صابون الخ . .

هذا ويتصف الميدل وست بأنه منطقة ذات كثافة سكانية متوسطة ومدن كبرى لأنه يلعب ، بصفته عنبر الولايات المتحدة وبؤرة صناعية كبرى ، دوراً عظيماً في الحياة الاقتصادية وفي الحياة السياسية أيضاً لأنه يصوّت تارة لجانب الديموقراطيين وتارة لجانب الجمهوريين فيؤدي لترجيح الميزان الانتخابي . وإذا كانت مساحة المنطقة تعادل (٢٠٪) من الولايات المتحدة ، فإن السكان يؤلفون (٣٣٪) من المجموع أي كثافة تعادل (٥٥) نسمة في الكيلو متر المربع . ولكن المنطقة جيدة العمران حتى في المناطق التي تتفوق فيها الفعالية الزراعية فنجد أن المدن قد اتخذت أهمية كبرى على ضفاف البحيرات وعند المواصلات الرئيسية النهرية والأرضية على نهري الأوهيو والميسيسيبي ، وعند تخوم الميدل وست مع السهول العليا مثل مدينة أوماها ومدينة كانساس سيتي . وعلى كل نجد هنا حوالي (٦٤) مدينة في كل منها أكثر من (١٥٠٠٠٠) نسمة منها (١٠) مدن تزيد عن نصف مليون مثل بوفالو ، وكليفلند ، وميلووكي الواقعة على ضفاف البحيرات وبيتسبورغ على الأوهيو ، وسان لويس والمدينتين التوأمين مينابولس وسان بول على نهر الميسيسيبي . وهناك مدينتان تتجاوزان المليون هما ديترويت وشيكاغو التي تعتبر عاصمة الميدل وست والتي قفز عدد سكانها من (٤٠٠٠٠) إلى أكثر من (٧) ملايين في خلال مدة (١٣٥) سنة .

د ـ السهول العليا أو الفاروست (الغرب البعيد) :

تعتبر السهول العليا امتداداً للميدل وست حتى سفوح جبال الروشوز .

وابتداء من خط الطول (٩٩) نحو الغرب يتلو السهول منطقة هضاب تتزايد ارتفاعاً من (٣٠٠ حتى ١٨٠٠) م ، وكأنها منحدر لطيف حتى جبال الروشوز . وهنا يشتد برد الشتاء إذ تهبط الحرارة حتى (ـ ٢٠ أو ـ ٣٠) درجة ما عدا حافة جبال الروشوز ، حيث تهب رياح الشينوك الساخنة فترفع الحرارة في أواخر الشتاء وفي مطلع الربيع . وتكون فصول الصيف حارة فترتفع درجة الحرارة فيها وسطياً حتى (٢٥°) . وتأخذ الأمطار بالتناقص تدريجياً حتى يصبح الغطاء النباتي عبارة عن عشب قصير سهبي يستر الهضاب . ويؤدي الجفاف إلى تخريب مناطق برمتها ، وعندما أخضعت الأرض للزراعة هنا أضحت الرياح العنيفة تثير الغبار وتحمل التربة الزراعية الجافة كي تحول الأراضي إلى حقول مقفرة جرداء أو ما يسمى (bowl dust) . وهكذا تجد هنا صحارى حقيقية تسمى الأراضي الرديئة (بادلاندس) تتألف من كتل من الصخور الكلسية المارنية التي تجزأت إلى تلاع وإلى أهرامات وإلى خشوم وإلى مسلات تكون قاعدتها على شكل مصاطب متعاقبة .

وتعتبر السهول العليا مجال التربية الواسعة للماشية ذات القرن والأغنام قبل كل شيء . لكن زراعة الحبوب والنباتات العلفية تزدهر فيها بفضل أساليب الزراعة الجافة (دراي فارمينغ) ، التي تقضي بحراثة الأرض وعزقها بعد كل زخة مطر ، بحيث تتسرب الرطوبة للتربة وكيلا يتشكل على سطحها قشرة قاسية أو شقوق تلائم التبخر . ونجد هنا أنهاراً عديدة تغذيها ثلوج الجبال الصخرية وتجري في وديان عريضة أخضعت للزراعة بفضل الري وأصبحت خصيبة تنتج الحبوب والعلف والشوندر السكري .

ويسود في السهول العليا انطباع العزلة والوحشة ، لأن كل مزرعة تبعد عن الأخرى أكثر من (٣٠) كم وكلها تتماثل بصوامع قمحها المبنية على شكل أسطوانات جبارة ، وبحظائر ماشيتها ، وبمعاملها الصغيرة التي تصنع اللحوم المحفوظة ، ونجد بين منطقة وأخرى مدينة يتراوح سكانها بين (٥ حتى ١٠) آلاف نسمة عدا مدينة

هامة وحيدة هي دنفر (١,٣) مليون نسمة ، وهي مدينة تماس عند أقدام جبال الرشوز تؤلف مرحلة على طريق الباسفيكي .

هـ ـ الجبال الغربية :

تؤلف الجبال الغربية منطقة العقبات الكبرى المعادية للإنسان . فعلى مساحة قدرها (٢,٥) مليون كم^{٢} أي تعادل مساحة شبه جزيرة العرب كلها لا نجد سوى (١٠) ملايين نسمة . وتتألف العقبة الكبرى من سلاسل جبلية متتابعة على مسافة (١٥٠٠) كم عرضاً ، واقعة بين السهول العليا وبين المحيط الباسفيكي . وهناك عقبة المناخ أيضاً لأن قحولة الهضاب الداخلية تتزايد باتجاه الجنوب الغربي حتى الوحشة الصحراوية .

ورغم كل شيء فقد استطاعت مناجم الذهب والفضة المبعثرة في كل الأمكنة ومناجم النحاس في ولايات مونتانا ، أوتاه ، آريزونا ، ومناجم الرصاص والتوتياء في نيفادا وأريزونا أن تجذب الناس . وبغية تأمين أقواتهم وجب اللجوء إلى ري الأراضي أو ممارسة الزراعة الجافة . (شكل ١٣)

ويمكن تمييز ثلاثة نطاقات هامة :

١ ـ عند أقدام السفح الغربي لجبال وازاتش ، في شمال وجنوب بحيرة سولت ليك سيتي . تمتد على مسافة (٣٠) كم واحة مساحتها (٣) ملايين هكتار وهناك نفق محفور تحت الجبل من أجل جر مياه الري القادمة من السفح المقابل .

٢ ـ بالجنوب ، في أريزونا ، يملك وادي (جيلا) المراعي وحقول القطن البديعة ومزارع الأشجار المثمرة والخضار . أما مياه نهر الكولورادو المحجوزة خلف سد (بولدردام) ، فقد حولت وادي الموت (Death valley) الذي ينخفض إلى (٨٠) م دون مستوى البحر ، إلى مزارع متواصلة .

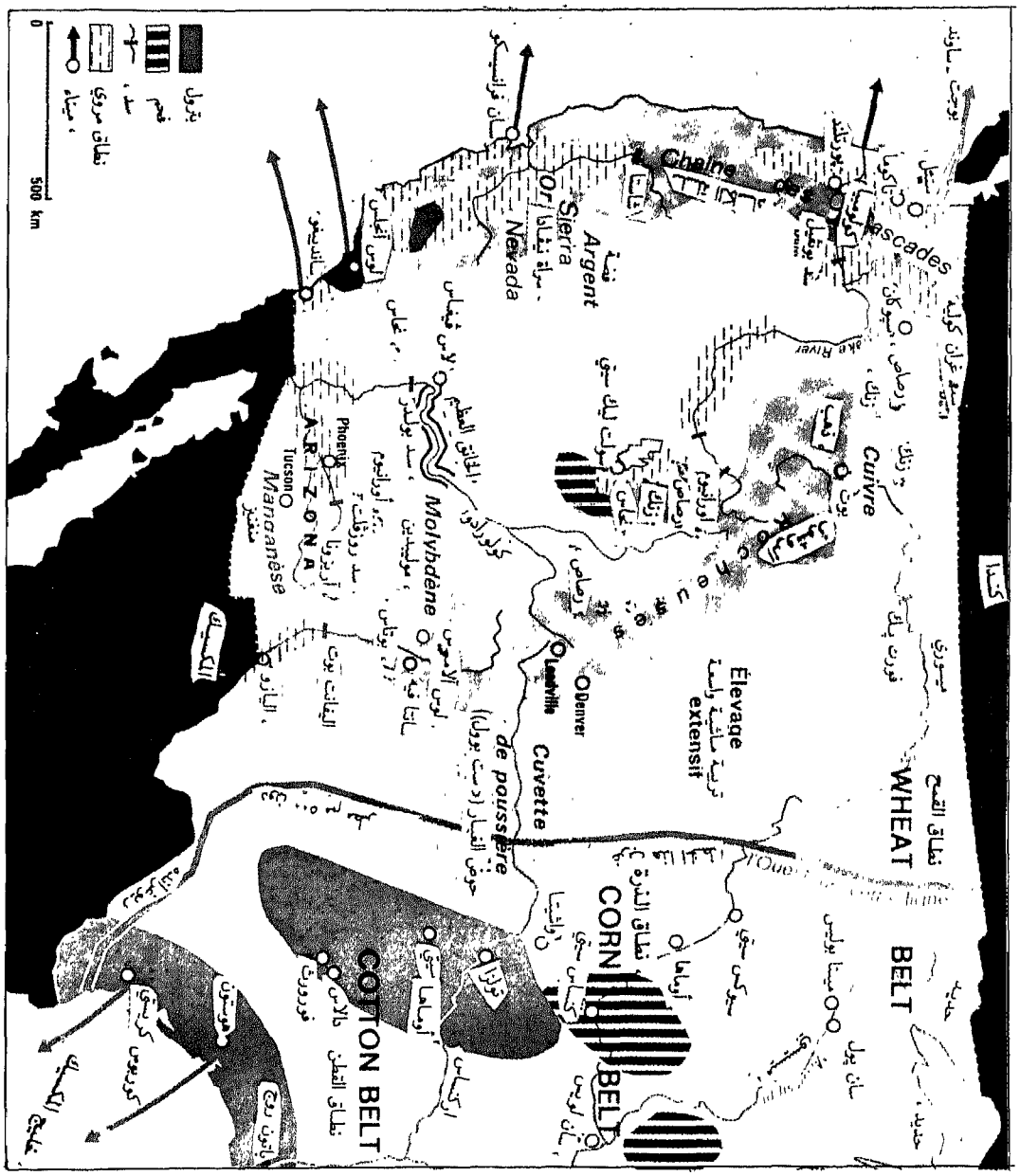

الشكل ١٣

غرب الولايات المتحدة

٣ ـ وفي الشمال الغربي أي في ولاية كولومبيا وفوق الهضاب البركانية الخصيبة والجافة في الوقت نفسه سمحت الزراعة الجافة بقيام حقول القمح الفسيحة ، ونلاحظ هنا القاطرات الهوائية وهي تهبط بأكياس القمح حتى الموجودة في الوديان ، التي تزيد أعماقها عن (٦٠٠) م . وأهم المدن هنا سيتل (١,٥) مليون نسمة وتاكوما ويزيد سكان كل منهما على المليون . وقامت هنا صناعة الألمنيوم والفولاذ بعد قيام سد (غران كوليه) على نهر كولومبيا الذي ساعد أيضاً على ازدهار الري وتوسيع الزراعة .

و ـ منطقة الباسفيكي :

على خلاف منطقة الجبال الصخرية نجد أن كل العوامل المشجعة تتجمع هنا لتجعل من الساحل الباسفيكي أحد أجمل المناطق وأغناها في الولايات المتحدة ، مثل جمال وعظمة الجبل والبحر ، وعذوبة المناخ وتنوع الموارد . ويعتبر ازدهار هذه المنطقة حديثاً . حقاً لقد حدث هنا في أواسط القرن الماضي إقبال بشري شديد على ذهب كاليفورنيا ، ولكن الازدهار الحقيقي والازدهار العام يعود للقرن العشرين ، وكان التطور سريعاً ، ابتدأ زراعياً وتجارياً ثم تحول إلى تعديني وصناعي . ولا تحتل ولايات الشرق أو الميدل وست قصب السبق في سرعة تزايد السكان بل منطقة الساحل الباسفيكي بحيث تضاعف عدد سكانها (٣) مرات بين (١٩٠٠ و ١٩٥٠) . وتعتبر كاليفورنيا أول ولاية أميركية من حيث عدد السكان .

وهناك منخفض يفصل سلسلة جبال الكاسكاد عن السلسلة الساحلية ، ولكنه يغيب في الشمال ويغرق في خليج بوجت ساوند Puget Sound ، وهنا يسود مناخ محيطي ، ذو درجات حرارة متقاربة ، قليلة التفاوت وذو أمطار سخية ، فتقوم غابة رائعة من شجر الشوح والايبيسيئا والأرز فتغطي السفوح الجبلية . أما ميناءا سيتل Seattle وبورتلاند فيعيشان من صناعة الخشب ومن التجارة مع الشرق الأقصى وآلاسكا .

وإلى الجنوب من ذلك ، أي بين سلسلة سييرا نقادا وبين السلسلة الساحلية يتسع المنخفض ، لأن وادي كاليفورنيا الكبير يمتد على طول قدره (٧٥٠) كم وعلى عرض يتراوح بين (٤٠ و٨٠) كم . ولا تستمد كاليفورنيا رخاءها من ذهبها بل من مناخها الحار المضيء والجاف ومن زراعاتها المروية التي تمتد على أكثر من مليوني هكتار . كما أصبحت جنة من أعناب ومن أشجار مثمرة ، وقد استوردت فسائل التين والنخيل من افريقيا الشمالية لزراعتها هناك . وتقوم القاطرات المبردة وحتى الطائرات بنقل الثمار الطرية نحو المدن الكبرى بالشرق ، ولكن قسماً كبيراً من الإنتاج يتوجه نحو معامل التجفيف مثل العنب والخوخ والمشمش ونحو معامل المحفوظات .

هذا وتساهم حقول البترول الغنية في ثراء المنطقة أيضاً . كما أن الصناعات التعدينية والكيماوية والترسانات البحرية تقوم هنا على قدم وساق . وهكذا أصبحت مدينة لوس أنجلوس مع ضاحيتها الفخمة هوليود عاصمة العمليات المالية والسياحة والسينما ، وفيها (٧) ملايين نسمة وفيها أعلى مستوى معاشي في أمريكا لأن فيها (٣,٥) ملايين سيارة أو سيارة لكل شخصين (شكل ١٤) . ولكن سان فرانسيسكو الواقعة عند مخرج الوادي الكبير والمطلة على الباسفيكي والحارسة لباب الذهب Golden gate الرائع ، لا تزال رغم أن عدد سكانها أقل من لوس أنجلوس عاصمة كل الساحل الباسفيكي ، فهي مدينة صناعية وميناء عظيم تشع منه التجارة الأميركية نحو الشرق الأقصى ونحو كل الباسفيكي ويسكنها أكثر من (٤,٦) ملايين نسمة .

ز ـ الملحقات الخارجية : آلاسكا :

وقد اشترتها الولايات المتحدة عام ١٨٦٧ من روسيا ، وتتميز بتضاريس جبلية وبموقع شمالي جداً جعلا مجال استغلالها محدوداً على صيد أسماك السومون

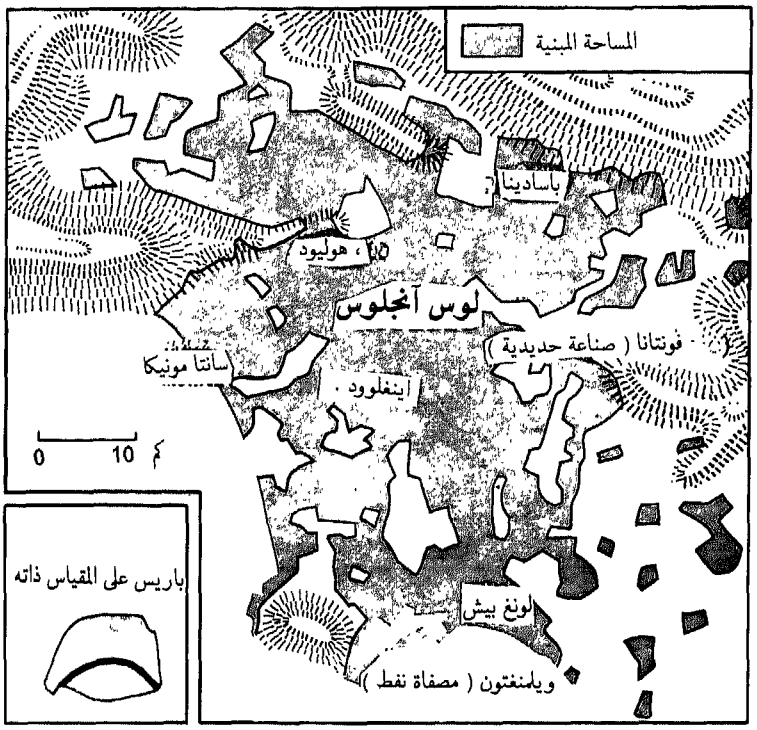

الشكل ١٤

لوس آنجلوس ـ نمط من المدن العملاقة (مينا بوليس)

واستثمار بعض مناجم الذهب والنحاس ومكامن النفط والغاز . ومن هذا كان عدد سكانها قليلاً لا يتجاوز (٣٥٠٠٠٠) نسمة منهم (٥٥٠٠٠) من الأسكيمو . وقد أدت الحرب العالمية الثانية فجأة إلى دخولها في تيارات المبادلة العامة الكبرى إذ يمر ، بواسطة ساحلها الجنوبي وجزر آلوشيان ، الطريق الجوي المتجه نحو الشرق الأقصى ، لأنه طريق أقل طولاً وأكثر ضماناً بسبب أن السماء هنا تكون أقل ضباباً من سواه ، وهكذا يمر الخط الجوي المنطلق من ادمنتون في كندا في مطاري هوايت هورس ومن فيربانكس كي يتجه نحو سيبريا ومنشوريا .

ورغبة من الولايات المتحدة في الإشراف على طرق التجارة العالمية ، فقد وضعت يدها على ممتلكات أخرى كي تجعل منها نقاط استناد بالنسبة لتوسعها

السياسي والاقتصادي . وهكذا وجدت نفسها بحاجة إلى الإشراف على قناة بناما ، وهي طريق حيوية بالنسبة للمواصلات بين الساحل الباسفيكي والساحل الأطلسي للولايات المتحدة ذاتها . وفي عام ١٩٠٠ تنازلت دولة بناما عن منطقة عرضها عشرة أميال على جانبي القنال . وفي خلال حرب قصيرة مع إسبانيا عام ١٨٩٨ استطاعت أن تحتل جزيرة بورتوريكو ، التي يسكنها (٣,٥) مليون نسمة من أصل إسباني والتي تنتج السكر والقهوة والتبغ والفواكه . وفي ١٩١٧ اشترت من الدانمارك الجزر العذراء المجاورة . وبذلك وبفضل هذه الجزر الواقعة في وسط القوس المؤلف من جزر الآنتيل استطاعت أن تراقب مداخل بحر الآنتيل وقناة بناما .

كما استحوذت الولايات المتحدة أيضاً على قواعد ضرورية على طريق الشرق الأقصى ، فاحتلت جزر هاوائي (شكل ١٥) عام ١٨٩٨ التي يقطنها اليابانيون والصينيون والفيليبيون وعدد سكانها (٨٥٠٠٠٠) نسمة وفي عاصمتها هونولولو (٧٠٠٠٠٠) نسمة وتنتج مقادير ضخمة من السكر والأناناس والتي تحتل مركزاً ممتازاً في وسط المحيط الباسفيكي (فيها ميناء هونولولو وقاعدة بيرل هاربير البحرية) . كما احتلت جزر وايك وغوام عام ١٩١٨ وتعتبر مفتاح الشرق الأقصى ، وجزر صاموا وهي مفتاح أستراليا . وعلى أثر الحرب العالمية الثانية انتزعت من اليابان جزر ماريان ، بالو ، كارولين ، مارشال وضمتها إلى ممتلكاتها .

وفي عام ١٩٦٠ اعتبرت جزر هاوائي ولاية ، وشبه جزيرة آلاسكا ولاية أخرى من الوطن ، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة تتألف من خمسين ولاية ممثلة بخمسين نجمة على العلم الأميركي .

وإجمالاً يبلغ مجموع مساحة الأراضي الأميركية في خارج الولايات المتحدة (١,٥) مليون كيلو متر مربع .

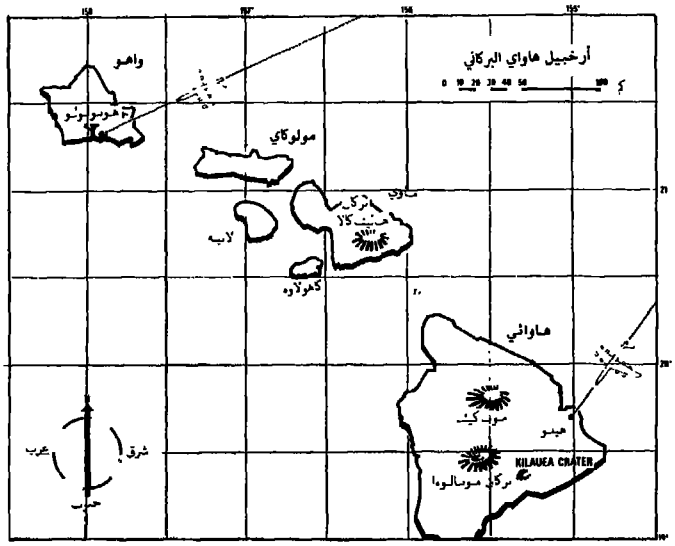

الشكل ١٥

الولايات المتحدة كدولة اقتصادية عظمى

تملك هذه الدولة (٦٪) من مساحة القارات وتضم (٦٪) من سكان الأرض . ولكنها تنتج على أرضها (٢٠٪) من قمح العالم أو (٥٨) مليون طن و (٦٦٪) من الإنتاج العالمي للذرة أو (١٥٨) مليون طن و (٣٠٪) من القطن و (٣٥٪) من الفحم الحجري و (٢٠٪) من البترول و (٣٥٪) من الحديد و (٥٠٪) من النحاس .

وإذا كانت الولايات المتحدة لا تملك بعض المنتجات بصورة كافية فذلك يعود لاستهلاكها الهائل وخاصة من الصوف والكتان والخشب ومعجونة الورق ، لأنها تستهلك (٦٠ ٪) من إنتاج العالم من المعجونة ، والسكر لأن إنتاجها منه لا يزيد عن ثلث الاستهلاك وحتى البترول لأن إنتاجها منه لا يزيد عن نصف استهلاكها . ولكن عندما تكون محرومة من بعض المنتجات كلياً ، فذلك يعود لأسباب مناخية محلية مثل المطاط والقهوة والكاكاو والأناناس والموز ، وهي مواد

تستوردها من الأقطار الاستوائية ، أو لأسباب اقتصادية مثل الحرير والشاي وهي من حاصلات الأقطار المزدحمة السكان كالشرق الأقصى ذات اليد العاملة الرخيصة وذلك لأن الولايات المتحدة هي قطر غني جداً ، وصناعته وزراعته آلية واليد العاملة ذات أجور باهظة . وهكذا نجد أن الفرد الأميركي استطاع أن يحتل في كل المجالات : أي الزراعية والصناعية والتجارية مستويات معيشة لامثيل لها بالعالم .

أ ـ الزراعة :

لا تحتل المكانة الأولى في الاقتصاد الأميركي لأن ٦٪ من السكان العاملين فقط ينصرفون إليها . ولكنها تعتبر مع ذلك أكبر دولة زراعية بالعالم ويليها الاتحاد السوفياتي ، وإذا استثنينا ملكية الأرض الجماعية في الاتحاد السوفييتي ، فإن الزراعة في هذين القطرين تتصف بصفات مشتركة هي :

١ ـ تنتج الولايات المتحدة حاصلات المناطق المعتدلة والمناطق المدارية (شكل ١٦) ، وتكون هذه الحاصلات ، شأنها في الاتحاد السوفييتي ، ضخمة ومتنوعة بآن واحد .

٢ ـ غير أن المردود يكون هنا ضعيفاً لأن إنتاج القمح في الهكتار هنا لا يزيد عن (١٣) كنتالاً مقابل (٢٠) في فرنسا و (٢٦) في إنكلترا و (٤٦) في الدانمارك ، كما أن مردود القطن يبلغ كنتالين بالهكتار مقابل خمسة كنتالات في مصر ، أي أن الزراعة هنا تتصرف بمساحات هائلة ولا تزال زراعة واسعة .

لقد سخت الطبيعة على الولايات المتحدة بالوفير من التربة الخصبة ، بالإضافة إلى المناخ الذي هو في معظمه معتدل ، وتقدر نسبة الأراضي التي تزرع بـ (٦٠٪) من مساحة الولايات المتحدة القارية . ويستخدم (٢٥) بالمئة من هذه المساحة أي (١٦٠) مليون هكتار في زراعة المحاصيل كما أن نصفها يشكل

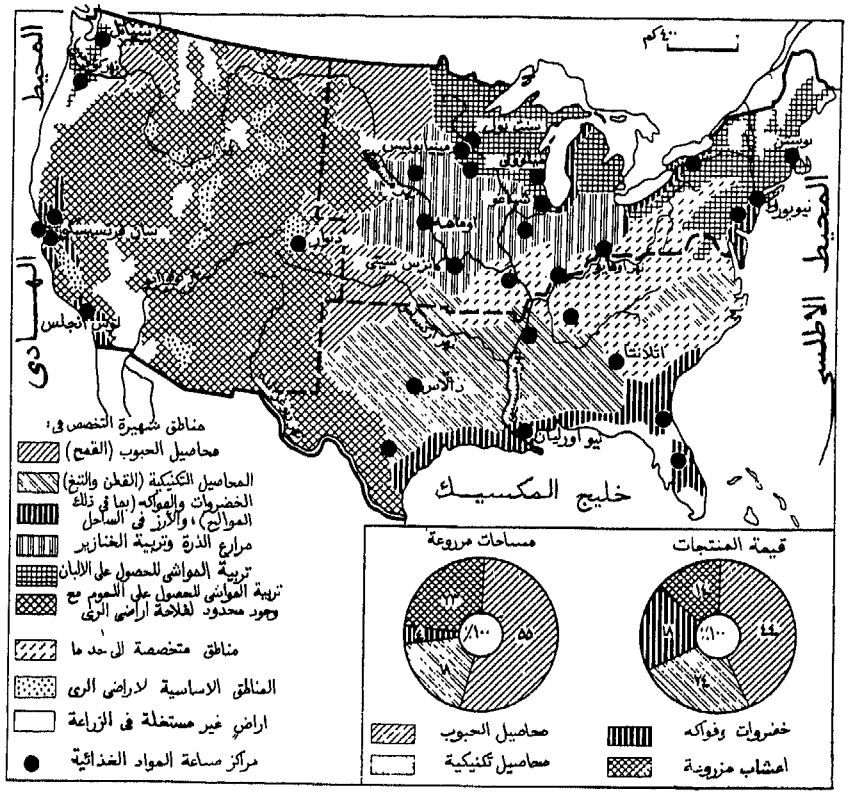

الشكل ١٦ المناطق الزراعية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية

أرض مراع دائمة . وفي الولايات المتحدة (٤٧٥٠٠٠٠) مزرعة بمعدل (٩٧) هكتار للمزرعة الواحدة ولكن مساحة المزارع في القسم الشرقي من البلاد أصغر من ذلك بكثير . ومعظم المحصولات تغلها مزارع عائلية صغيرة يقوم بها أفراد العائلة بجانب كبير من العمل .

٣ ـ لقد اندفع الأميركيون نحو الميكانيكية . ففي ١٩٢٠ كان لديهم (٢٥٠٠٠٠) تراكتور و (٢٢) مليون حصان ، وحالياً يبلغ عدد الجرارات (٤) ملايين والخيول (٣) ملايين . ولا تقوم الحاصدات الدراسات (كومباين) بأكثر من قطع السنابل وتدرسها وهي سائرة . وعندما يتم حصاد الحقل توقد النار في

الحصيد ثم يعقب ذلك المحراث المتعدد السكك الذي يجره التراكتور ، وذلك استعداداً للموسم القادم .

٤ ـ هناك تخصص في الإنتاج الزراعي حسب المناطق . فعلى المزارع الواسعة التي تتراوح بين (١٠٠ و ٤٠٠) هـ . تصبح الزراعة زراعة وحيدة صناعية . ففي نطاق القمح تعتبر المزرعة كمعمل قمح ، وفي منطقة نطاق الذرة تبدو المزرعة كمعمل ذرة ولحم وفي نطاق القطن معمل قطن . أي أن المزارع الأميركي يتعلق إذن بشكل وثيق وكلياً بالتجارة ، فالأسعار المرتفعة تغنيه بسرعة وانهيار الأسعار يدمره اقتصادياً بسرعة أكبر . وشدة الأزمات الاقتصادية المعاصرة أوجدت بعض العلاجات . وهكذا ظهر الكتان في مجال القمح ، كما بدأت زراعة الشوندر السكري في منطقة الشوفان ، والصويا وفستق العبيد في مجالي القطن والذرة الصفراء ، والخضار في كل مكان تقريباً .

٥ ـ أخذت الزراعة تتقدم تدريجياً أو تتوسع باتجاه الغرب ، مثل زراعة القمح التي استقرت حالياً إلى الغرب من نهر الميسيسيبي وزراعة القطن المزدهرة كثيراً بالتكساس .

٦ ـ لقد نتج عن التخصص في الزراعة وميكانيكيتها ، وعن هجرتها نحو الغرب ، تلاؤم مع شرائط التضاريس والمناخ اللذين يتصفان بالتنوع والوضوح في أمريكا . وهكذا أصبحت المناطق الزراعية متميزة ومتباينة وتضم الولايات المتحدة منطقتين زراعيتين أساسيتين ، الأولى معتدلة وتشمل مناطق الوسط الشمالي أو الميدل وست ، والأخرى مدارية وتشمل الجنوب . وهناك مناطق ثانوية مثل الشمال الشرقي والجبال الصخرية والساحل الباسفيكي .

المزروعات : يمكن اعتبار الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي أكبر عنبرين في العالم للحبوب ، ولكن الولايات المتحدة أول سوق عالمي للمحاصيل الزراعية ، فالأميركان يزرعون كل أنواع الحبوب ، مثل الشوفان والشعير وحتى

الـذرة البيضـاء لكن الــذرة الصفراء والقمـح يحتـلان المكانــة الأولى . وتضــارع الولايات المتحدة الاتحاد السوفييتي تقريباً في إنتاج القمح وذلك في منطقة نطـاق القمح وفي هضبة كولومبيـا وقـد أصبحت ثـاني مصـدر للقمح بعـد كنـدا ، ولكن كمية الحبوب أو الدقيق القابلة للتجارة العالمية تتبدل بشكل كبير بين عـام وآخر ، لأن القمح الـذي أصبح يزرع في نخوم المنـاطـق المـزروعـة قـد يتعرض للجفـاف المتطاول الأمد . وتنتج الولايات المتحدة ثلث المحصول العالمي من الـذرة ، ولكن صادرات الأرجنتين من هذه المادة تتفوق لأن تسمين الأبقار والخنـازير يستهلـك كميات كبيرة من الذرة .

ومنذ القرن الثامن عشر أخذ الجنوب على عاتقه تموين الصناعات النسيجيـة بالعالم بالقطن ، ولكن ظهر الآن منافسون جـدد صـدعوا التفوق الأميركي في هـذا المجـال ، مثل الهنـد والبـاكستـان ومصر والبرازيل والصين والاتحـاد السـوفييتي ، ولكن لا تزال الولايـات المتحـدة أكبر مصـدر للقطن . هـذا ويمثل محصول التبـغ الأميركي حــوالي ثلث الإنتــاج العــالمي ويجـود في ولايــات تينيسي وكنتــوكي وماريلاند وفيرجينيا .

وفي الوقت الذي تظل فيه المزروعات التقليدية مثل الحبوب والقطن ثـابتـة أو تتقهقر قليــلاً فــإن زراعــات أخرى تتقــدم بشكل كبير . وبــالنسبــة لفترة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) تـوسعت زراعـة الكتـان في منطقـة القمـح بنسبـة (٤٠٠٪) . والصـويـا في منطقـة الـذرة بنسبـة (٤٥٠٪) وفستـق العبيــد بنسبــة (٢٠٠٪) بالجنوب . ويبذل الأميركان جهوداً جبارة للتوسع في زراعة الحبوب الزيتيـة . كما يلاحظ أيضاً توسع في زراعـة الخضـار في الشمال الشرقي وفي الجنوب ، وفي زراعـة الأشجار المثمرة والفواكه في الجنوب وفي كاليفورنيـا . وتملـك جورجيـا اليوم أجمل مزارع الخوخ بـالعـالم ، ولكن نصف وزن الفواكـه الأميركيـة هو من الحمضيـات . وأخيراً بعـد أن ظلت الولايـات المتحـدة مستـوردة للسكر من الأقطـار المداريـة أصبحت اليوم من أكبر منتجي سكر الشوندر في الميدل وست .

تربية الماشية : إذا كانت الولايات المتحدة لا تحتل المرتبة الأولى اليوم بالنسبة لعدد رؤوس الماشية ، فهي تحتل أول مكانة بالنسبة للنوعية فهي تحتل الدرجة الثانية بالنسبة لعدد خنازيرها (٥٠) مليون ، والأبقار التي يقارب تعدادها (١٢٨) مليون رأس (شكل ١٧) . ففي الوسط والشرق والجنوب يمكن اعتبار تربية الأبقار والخنزير ؛ كحصيلة لزراعة الحبوب ولا سيا الشوفان والشعير وخاصة الذرة الصفراء . وبعد أن كانت الولايات المتحدة منتجة للّحم تتجه اليوم أكثر فأكثر نحو منتجات الألبان .

ويقدم الغرب والسهول العليا والجبال مراعيَ واسعة لتربية الأبقار والأغنام . ويتم تسمين الثيران والأبقار المولودة في منطقة الفاروست في منطقة نطاق الذرة . ويجب أن نشير إلى التناقص العظيم في عدد الخيول والبغال بسبب توسع نطاق استعمال الميكانيك في الزراعة .

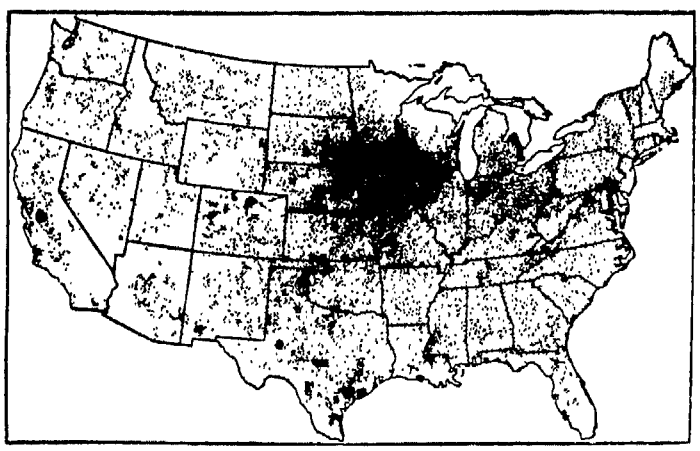

الشكل ١٧

توزع الأبقار في الولايات المتحدة

كل نقطة في الشكل ترمز إلى (٢٠٠٠) رأس من البقر

ب ـ القوى المحركة :

الفحم الحجري : تعتبر الولايات المتحدة أكثر أقطار العالم غنى بالقوى المحركة ، وقبل كل شيء الفحم الحجري . فهي تملك ثلاثة أحواض فحمية تقل جودتها من الشرق نحو الغرب تدريجياً :

أولاً ـ حوض الانتراسيت في سكرانتون على السفح الشرقي لجبال الأبالاش . وينتج وسطياً بحدود (١٥٠) مليون طن في السنة .

ثانياً ـ حوض بنسلفانيا وفيرجينيا وآلاباما على السفح الغربي لجبال الأبالاش ، وهو أغزر الأحواض إنتاجاً وينتج حوالي (٤٠٠) مليون طن بالسنة . وقد نتج عن ثخانة عروق الفحم ، وعن الاستغلال السهل للمكامن على عمق قريب ، واقتلاع الفحم بصورة ميكانيكية بحتة ، مردود شديد الارتفاع ، أي أن العامل ينتج هنا باليوم أكثر من أي عامل آخر بالعالم ، فضلاً عن إنتاج عام ضخم جداً يقارب (٢٢٪) من إنتاج العالم أو ٦١٦ مليون طن من مجموع ٢٧٥٥ مليون طن في ١٩٨١ . ورغم بعد مناجم بنسلفانيا عن البحر فهي ترسل الفحم بواسطة القطارات حتى ميناء هامبتون رودس ، المعد خصيصاً لتصدير الفحم نحو الموانئ الأميركية في شمال الأطلسي ونحو موانئ أوروبا وأميركا الجنوبية .

وعلى كل يتراوح إنتاج الفحم في الولايات المتحدة حالياً بين (٥٠٠ و ٦٠٠) مليون طن .

البترول : منذ أكثر من (١٢٠) سنة أخذ إنتاج البترول يزحف نحو الجنوب الغربي ونحو الأعماق . ففي عام ١٨٥٩ نبع البترول لأول مرة في بنسلفانيا على عمق (٢٠) م . وفي أواخر القرن الماضي أصبحت أهم حقول البترول هي الواقعة في الميدل وست ، وبين (١٩٠٠ ـ ١٩١٠) ظهرت أهمية ولاية كنساس ، وبعد ١٩٢٠ انتقل مركز الثقل نحو التكساس وكاليفورنيا ، واليوم تستغل حقول ساحلية تحت مياه الباسيفيكي . وزاد عمق بعض الآبار عن (٥٠٠٠) م .

وهكـذا يعطي الشمال الشرقي أي ولايتي أوهيو وإيللينوا حـوالي (٣٪) من الإنتاج ، والوسط أي كنسـاس وأوكلاهومـا والتكسـاس (٥٠٪) والبـاقي تقـدمـه كاليفورنيا ومـا جـاورهـا . وهنـاك حوالي (٢٥٠٠٠٠) كم من خطوط الأنـابيب تربط بين حقول البترول في الوسط مع المنـاطق الصنـاعيـة بـالشمال الشرقي ، التي تستهلك معظم إنتاج البترول والتي احتفظت بالمصافي التي شيدت منذ البدايـة في شيكاغو وكليفلنـد وفيلادلفيـا ونيويـورك وتقـذف بعض الأنـابيب البترول الخـام والبعض منتوجات بترولية بعد التصفية والبعض الآخر الغاز الطبيعي .

ويمثل الإنتاج الكلي للولايات المتحـدة ٣٠٪ من إنتـاج العـالم أو ٤٦٨ مليون طن وتحتـل المكانـة الثـانيـة بعـد الاتحـاد السـوفيتي . ولكن في هـذه الـدولـة التي يتجول فيها ١٢٤ مليون سيارة سيـاحيـة ، يكون استهلاك المواد البترولية هـائلاً بحيث تضطر الـولايـات المتحـدة لاستيراد البترول من الخـارج ، ممـا أدى لظهـور امبراطورية حقيقيـة قـائمـة على البترول ، تتمثل في شركات هـائلـة جبـارة ، مثل ستاندارد أويل هدفها السيطرة على المنطقتين العظيمتين لإنتاج البترول في العالم ، وهمـا منطقـة خليج المكسيـك وتضم المكسيـك وكولـومبيـا وفينزويلـلا ومنطقـة الشرق الأوسـط ، وتشمل إيران والعراق وكل شبـه جزيرة العرب ، أي السعوديـة والكويت والمنطقة المحايدة واتحاد الإمارات العربية (الشارقـة ، دبي ، أبو ظبي) والجـزائر وليبيـا ، عـدا الامتيـازات التي حصلت عليهـا للبحث عن البترول في صحراء مصر الغربية . وقد أنتجت الولايات المتحدة عام ١٩٦٢ مقـدار ٣٥٩ مليون طن بترول ، وفي عـــام ١٩٧٣ (٤٥٣) مليـون طن ، و٤٠١ في ١٩٧٦ و ٤٦٨ في ١٩٨١ وسينضب بترولها خـلال ٢٠ عـامـاً إذا استمر الإنتـاج على هـذا المنـوال وتستورد الآن ما يقارب خمسي ونصف استهلاكها من النفط .

الكهرباء : وهنا أيضاً تحتل الولايات المتحدة المكانة الأولى بالعـالم ، وتنتج حوالي ٢١١٤ مليار كيلواط سـاعي عـام ١٩٧٦ و ٢٣٦٨ مليـار في ١٩٨١ أو ٧٦ مرة إنتاج الهند ، أو ما يعادل ١٠ مرات إنتاج فرنسا و٦ مرات إنتاج بريطـانيـا ، التي

تحتل المكانة الثالثة بالعالم و٥ مرات إنتاج كندا ، التي تحتل المكانة الرابعة بالعالم . وليست الصناعة وحدها هي التي تستهلك الكثير من الطاقة الكهربائية ، بل دخلت هذه في كل الاستعمالات المنزلية المألوفة ، كالتدفئة والمطبخ والمكانس والبرادات وعصارات الفواكه وطواحين القهوة الخ .. ويلاحظ الإنسان بالليل أن المدينة الأميركية تكاد تلتهب من الأنوار المنطلقة من الإعلانات الكثيرة الألوان .

ومن الطبيعي أن يصدر نصف الإنتاج الكهربائي من المعامل الحرورية التي تتحرك على الفحم والمازوت والغاز الطبيعي . ولكن الولايات المتحدة تملك في الأبالاش وفي الجبال الغربية احتياطات ضخمة من الفحم الأبيض ، لم يستعمل إلا قسم ضئيل منها وأصبحت تنتج من الطاقة النووية قسماً من استهلاكها الكهربائي .

١ ـ في الشرق : حيث توجد الوديان العميقة والأنهار الغزيرة في جبال الأبالاش ، تكون المنطقة ملائمة جداً للمنشآت الكهرمائية . وفي عام ١٩٣٣ لجأت حكومة الولايات المتحدة إلى مكافحة البطالة ، فأوجدت مشروع استغلال وادي نهر التينيسي وذلك ببناء ٢٦ سداً مع منظومة لشبكات الري تروي ٧٠٠٠٠ هـ . أو مايعادل مساحة الغاب وإنتاج هذه المعامل يعادل إنتاج فرنسا كله من الكهرباء .

٢ ـ في الوسط : أمكن استثمار مساقط البحيرات الكبرى مثل شلال سانت ماري ونياغارا ومساقط الميسيسيبي الأعلى ، وخاصة عند مدينة مينابوليس وروك آيلاند وكيوكوك .

٣ ـ في الجبال الغربية : وهنا نجد مجال السدود الكبرى والخزانات التي تقدم المياه لري الأراضي البعيدة ولتحريك المعامل المشيدة عند أسفلها . وهنا تتزايد قوة المعامل المنشأة تدريجياً . وقد تم بناء سد بولدر على نهر الكولورادو الأدنى ، الذي يبلغ ارتفاعه ٢٢١ م ويخزن ٤٠ مليار متر مكعب من المياه في بحيرة ميد Mead الاصطناعية ويروي ٨٠٠٠٠٠هـ . أو ٢٠ مرة مساحة الغاب ، ويبدو

معمل بولدردام بانتاجه البالغ ٥ مليار كيلواط ساعي ، أول معمل وسد من نوعه بالعالم ولا يفوقه إلا السد العالي الذي ينتج ١٠ مليارات ك وس بالسنة وسد أنغارا في سيبريا ، ويوفر سد بولدر مياه الشرب لمدينة لوس أنجلوس على مسافة ٤٢٤ كم ، كما أوجد حديقة وطنية يمارس فيها صيد السمك وسباق القوارب والاصطياف في المعسكرات . كما تم بناء سد على نهر كولومبيا يروي ٥٠٠٠٠ هكتار . كما تم بناء سد آخر على النهر المذكور يجعل من النهر طريقاً ملاحياً طوله ٦٠٠ كم .

جـ ـ الصناعة :

يمكن تفسير جبروت الصناعة الأميركية وقوتها قبل كل شيء بضخامة سوق الإنتاج الذي تؤلفه الولايات المتحدة . فهي أول قطر زراعي ، وأول قطر في إنتاج القوة المحركة بمختلف أشكالها ، كما تملك أكثر مناجم المعادن إنتاجاً وتنوعاً بالعالم .

فنجد **الحديد** في جبال الأبالاش وخاصة في الجنوب (آلاباما) وفي جبال الروشوز ، ولكن فلزات البحيرة العليا هي أكثر مثيلاتها أهمية . كما احتلت الولايات المتحدة المكانة الأولى في إنتاج البوكسيت ٢ مليون طن الذي يستخرج من جنوب الأبالاش ومن جبال أوزارك غرب الميسيسيبي ، بحيث أصبحت الولايات المتحدة تقدم ٣٦٪ من إنتاج الألمنيوم بالعالم . كما أصبحت مناجم النحاس في منطقة البحيرة العليا ابتداء من ١٨٥٠ ومناجم الروشوز منذ مطلع القرن الحالي (من مونتانا ، أوتاه ، آريزونا) ، تؤمن للولايات المتحدة إنتاجاً ضخماً يعادل ربع إنتاج العالم أو ١,٥ مليون طن .

كما تحتل الولايات المتحدة الذروة في إنتاج التوتياء ٤٠٠٠٠٠ طن والرصاص الذي تؤمن منطقة جبال أوزارك نصف الإنتاج والباقي من جبال الروشوز . كما تكثر لديها المعادن النادرة التي تلعب دوراً عظيماً في الصناعة المعدنية الحديثة ، وخاصة في صنع أنواع الفولاذ الخاصة ذات المقاومة الشديدة والمرونة الكبيرة مثل

الكروم والمولبيدين والفاناديوم والتنغستين . ولا تفتقر إلا إلى المنغنيز والنيكل والقصدير . وإذا كانت الولايات المتحدة تأتي بالدرجة الرابعة في إنتاج الذهب (من جبال الغرب وكاليفورنيا) والدرجة الثانية في إنتاج الفضة (جبال الغرب) ، فهي تملك احتياطاً نقدياً من هذين المعدنين الثمينين يعادل ثلاثة أخماس الموجود بالعالم .

هذا كما تقدم منطقة خليج المكسيك للصناعة الكيماوية الفوسفات ٤١ مليون طن (من فلوريدا) والكبريت (لويزيانا وتكساس) ٨ مليون طن والمغنزيوم . ويستخرج الملح من مناجم مبعثرة بالبلاد أو من بحيرات مالحة في الجبال الغربية أو من ممالح البحر في كاليفورنيا بإنتاج يزيد على ٤٢,٢ مليون طن .

الولايات المتحدة كسوق استهلاكي عظيم : تؤلف هذه الدولة التي تضم ٢٣٢ مليوناً من السكان ، الذين بلغوا مستوى من المعيشة رفيعاً جداً سوقاً استهلاكياً هائلاً . ففي هذه الدولة التي يكون من المألوف أن يملك الإنسان فيها بيته المجهز بحمام ، وسيارته وبراده وكل الأدوات الكهربائية من تلفزيون وسواه ، تستطيع المعامل مهما كثر عددها ومهما كانت ضخامتها أن تنتج بشكل كتلي . وهناك عوامل ثلاثة تحث على الإنتاج الضخم .

١ ـ التجانس ـ لأن الولايات المتحدة الأميركية متماثلة . فعلى مساحة ٨ ملايين كيلو متر مربع يعيش ٢٣٢ مليون من البشر ، الذين يتكلمون اللغة ذاتها ولهم نفس العادات المعاشية . وتجهد الصناعة كي تنتج لكل شيء عدداً قليلاً من النماذج ولكن بكميات ضخمة .

٢ ـ الدعاية والإعلان ـ وهي موجودة في كل مكان ، في الصحف ، وعلى الجدران وفي اللوحات الملونة ، أو المطبوعة ، أو اللوحات المنيرة . وهكذا يجذب الإنتاج المشتري بصورة مستمرة ويزيد الاستهلاك .

٣ ـ الإقراض : ويستطيع الأميركي أن يشتري ما يشاء ولو لم يكن مالكاً للعدد الكافي من الدولارات لأن البيع بالتقسيط هو المألوف[١] .

وهكذا تجد الصناعة الأميركية في وطنها ذاته أساساً اقتصادياً عريضاً ومتيناً يساعد على الإنتاج والاستهلاك . وقد نتج عن ذلك نهضة جبارة . وفضلاً عن ذلك ظهر في أمريكا نوعية فريدة من رجال الاقتصاد الأفذاذ والجريئين ، فأصبحوا رواد الصناعة أمثال كارنيجي وروكفلر وبيربونت ومورغان ، واستطاعوا أن ينشئوا مؤسسات ضخمة هي التروستات ، التي تحاول دوماً توسيع مجالها . فهي تضم تحت إدارة اقتصادية ومالية واحدة سلسلة كاملة من المعامل المختلفة ، وحتى مناجم عديدة مما يسمح لها أن تشرف على صنع منتوج معين ، من الوقت الذي يكون فيه عبارة عن مادة خام حتى يصبح مادة استهلاكية جاهزة .

الصناعة المعدنية والصناعات الميكانيكية : تظهر منطقة البحيرات الكبرى وكأنها نطاق الصناعة المعدنية الأولى . فإلى الشرق منها والجنوب أي في جبال الأبالاش وفي ولاية إيللينوا تقع أكبر أحواض الفحم ، وفي الغرب على ضفاف البحيرة العليا تقع أغنى مناجم فلزات الحديد وبينهما يقع أجمل طرق المواصلات المائية المؤلف من البحيرات الكبرى ، وإلى الجنوب من الأبالاش تقع ولاية آلاباما التي تملك الفحم والحديد والأفران العالية ومعامل الفولاذ وابتداء من ١٩٤٤ ظهرت معامل جديدة لصناعة المعادن في الجبال الصخرية ولاسيما في أوتاه وكاليفورنيا.

---

(١) لاينجو الفرد الأميركي المتوسط من هموم الميزانية العائلية : فإذا كان الغذاء والكساء لا يكلفان كثيراً ، فإنه من اللازم تسديد الأقساط الشهرية مع فوائدها ، أي أقساط البيت والسيارة والبراد وجهاز التلفزيون الخ .. كما يجب دفع أقساط التأمين ، وحتى إلى متعهد الجنائز إذا أراد الأميركي أن يكون موكب جنازته محترماً . وهكذا تجد أن الرفاه الأميركي يتطلب الكثير من النفقات وفي عام ١٩٨٠ كان دخل الفرد الأمريكي المتوسط ٢٠٠٠٠ دولاراً ينفق منها ٥٠٠٠ على الطعام و ٤٦٠٠ على المواصلات و ١٨٠٠ للملابس و ١٢٠٠ للعناية الطبية و ١١٨٠ كتأمين اجتماعي وضرائب ضد العجز والشيخوخة و ١٢٥٠ دولاراً على الدخل الشخصي و ٣٠٠٠ للعناية الشخصية والترفيه والباقي نثريات أخرى .

ومنذ ١٩١٠ تفوقت الصناعة المعدنية الأميركية على ألمانيا التي كانت أقوى دولة بهذه الصناعة في أوروبا ، وساعدت الحربان العالميتان على زيادة تفوق أميركا ، وهكذا أصبحت تنتج حالياً حوالي ٣٥ بالمئة من صهير وفولاذ العالم إذ أنتجت ٨٩ مليون طن فولاذ عام ١٩٦١ و١٢٥ مليون طن في عام ١٩٧٢ و١١٦ مليون في ١٩٧٦ و ١٠٨ في ١٩٨١ . كما عرف إنتاج الألمنيوم فيها نهضة مثيرة وبعد أن كانت ألمانيا تفوق الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الأولى ، أخذ إنتاج هذه الدولة يتضاعف كل سنة إلى أن أخذ بالوقت الحاضر يزيد عن ٤ ملايين طن بالسنة .

وفي شرائط كهذه نستطيع أن ندرك لماذا تكون الصناعة الميكانيكية الأميركية متصدرة مثيلاتها بالعالم . فهي تتمركز في منطقة البحيرات العليا مثل شيكاغو وديترويت وكليفلند وبوفالو ، وفي شمال شرق البلاد حيث يقع مركز الرساميل ومهد الصناعة القديمة كما في مدينة بيتسبورغ وبوسطن ونيويورك وفيلادلفيا وبالتيمور . ومن هذه المعامل الأميركية الرائعة التجهيز والنظام ، تخرج الماكنات الصناعية المتنوعة والماكنات الزراعية كالجرارات ٧٥٠,٠٠٠ والآلات الكاتبة ٨٠٪ من إنتاج العالم ومكائن وأدوات السكك الحديدية ، فأنتجت أكثر من ٢٠٠٠ قاطرة و٧٥٠٠٠ عربة عام ١٩٦١ . وتخصصت منطقة ديترويت في صناعة السيارات وتعادل ٤٠٪ من إنتاج العالم أو ٩ ملايين سيارة بالسنة عام ١٩٧٦ والطائرات ٦٠٪ من إنتاج العالم . وقد صنعت الترسانات البحرية على الساحل الأطلسي والباسفيكي في أحد أعوام الحرب عدداً من السفن حمولتها تعادل كل الأسطول التجاري . وتقتدي كل صناعات العالم بصناعة الولايات المتحدة من أجل التجهيز واستمداد ما تحتاج إليه من آلات (شكل ١٨) .

الصناعات الكيماوية : وتتمركز في الميدل وست والشمال الشرقي وهي مناطق تنتج الفحم وصناعية أي أنها تقدم نصف إنتاج الحامض الكبريتي بالعالم ،

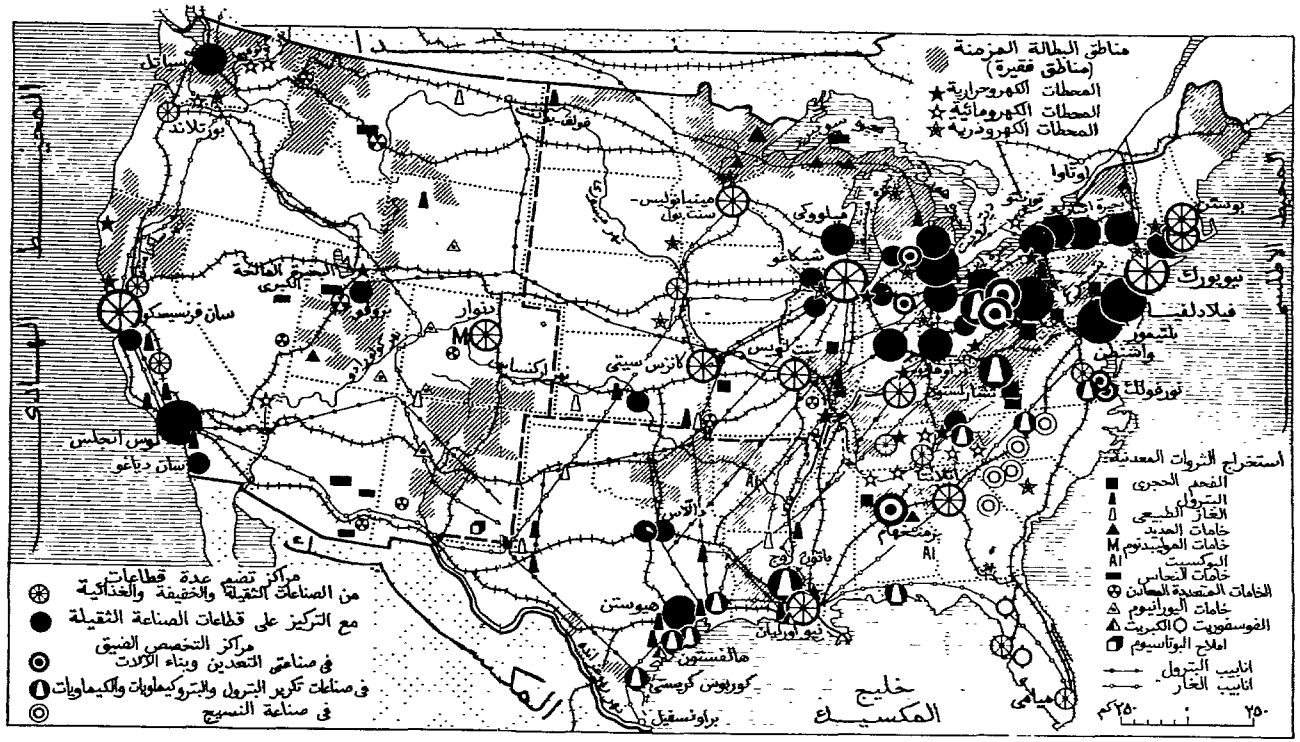

الشكل ١٨

صناعة الولايات المتحدة الأمريكية

والصودا ، والأسمدة أو ٤٠٪ من إنتاج السوبر فوسفات بالعالم والمواد الملونة . وهي تعالج الخشب كي تصنع منه الورق الذي تستهلكه الصحف والمجلات بمقادير عظيمة . وتصنع مئات الملايين من الكيلو مترات من الأفلام التصويرية والسينمائية . كما تنتج حوالي ٤٠٪ من كاوتشوك العالم وخاصة في مدينة آكرون بولاية أوهيو ، ومنذ عام ١٩٤٠ أخذت تستعين بفحم الشمال الشرقي وبترول التكساس وكاليفورنيا لصنع المطاط التركيبي الذي فاق كثيراً إنتاج المطاط الطبيعي .

الصناعات النسيجية : لقد احتفظت إنكلترا الجديدة خلال مدة طويلة بحصر الصناعة النسيجية . ففيها تتمركز تقريباً كل صناعة الصوف ولاسيما في مدن (بوسطن ، لورنس ، لوول ، بروفيدانس) . أما نيويورك وباترسون وفيلادلفيا فهي مدن الحرير والحرير الاصطناعي . وكانت صناعة القطن متمركزة كلياً في منطقة بوسطن مع أنه يزرع بالجنوب . وبعد حرب الانفصال أخذ صناعيو الشمال ببناء معامل بالجنوب بجوار الشلالات المنحدرة من سفوح الأبالاش الشرقية ، بغية الاستفادة من القطن المحلي ومن اليد العاملة السوداء الرخيصة . وتنتج صناعة النسيج الأميركية أكثر من الصناعة البريطانية التي لا تزال تحتفظ بمكانة هامة بالنسبة لتصدير الأصواف والقطنيات .

الصناعات الغذائية : على الحاصلات الغذائية أن تجتاز آلاف الكيلو مترات ، قبل أن تصل أسواق الاستهلاك ، مثل لحم ومنتجات ألبان الميدل وست وفواكه الجنوب وكاليفورنيا مثلاً ، وذلك قبل أن تصل مدن الساحل الأطلسي . ومثل ذلك الإنتاج الضخم بالنسبة للمحفوظات الغذائية . وتستخدم هذه الصناعة حوالي مليون عامل أو أكثر من صناعة السيارات .

ويملك الميدل وست الصناعات الرئيسية كالمطاحن وصناعة الألبان واللحم .

ويتمثل غنى كاليفورنيا بمحفوظات الفواكه والخضار . وتصنع الولايات المتحدة جزءاً من السكر الذي تستهلكه بفضل شوندر منطقة الميدل وست ، ولكنها تستورد كميات ضخمة من السكر من كوبا ومن جزر هاوائي ومن الفيلبين .

د ـ تجارة الولايات المتحدة الخارجية :

لقد ظلت أوربا تحتل المكانة الأولى في ميدان التجارة الخارجية العالمية حتى عام ١٩١٤ . ولكن الحربين العالميتين سمحتا للولايات المتحدة بانتزاع الدرجة الأولى ، وفضلاً عن ذلك كانت أوربا التي خربتها الحرب تمركز قواها في ساحة المعارك فبقيت الولايات المتحدة سليمة واندفعت لتقدم لدول العالم ما تحتاج إليه[1] .

وهكذا تملك الولايات المتحدة كل الشرائط الضرورية للهيمنة تجارياً على العالم :

أولاً ـ إنتاج ضخم .

ثانياً ـ أسطول تجاري من الدرجة الأولى تعادل حمولته ١٨٪ من الأسطول العالمي أو ١٥ مليون طنة ، فضلاً عن بواخر ترفع أعلام دول مختلفة مثل بانما وليبريا وهندوراس وغيرها .

ثالثاً ـ قروض تجعل الدول المستقرضة تلغي حواجزها الجمركية أمام البضائع الأميركية .

---

(١) لاتلعب التجارة الدولية في الفعاليات الاقتصادية الأميركية الدور نفسه الذي تلعبه في دول أوروبا ، لأن التجارة الداخلية في السوق الداخلي الأميركي تفوق بعشر مرات التجارة الخارجية الأميركية . ومع هذا فإن الولايات المتحدة تقدم ٢٠٪ من الصادرات العالمية وتنال ١٥٪ من الاستيراد العالمي .
وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة عبارة عن علاق صناعي راحت تصدر السلع المصنوعة ابتداء من مسحوق الحليب حتى الماكينة الألكترونية . كما تستورد في غالب الأحيان المواد الخام مثل الحاصلات الزراعية المدارية ، والمطاط الطبيعي ، ومعجونة الورق ، والصوف ، والفلزات ، والبترول .

ومـع أن التجـارة الخـارجيـة الأميركيـة لا تمثـل أكثر من عشر الإنتـاج والاستهلاك الأميركي غير أنها أهم تجارة خارجية بالعالم .

إنها تجارة قطر صناعي عظيم يستورد بعض المحاصيل الغـذائيـة والمواد الخـام كالنفط ويصدر أشياء مصنوعة ومنتوجات نصف مصنوعة .

وتتجه هذه التجارة نحو التصدير باتجـاه أوروبـا وأمريكا الجنوبيـة وآسيـا ، ولا تلعب أفريقيا أكثر من دور ضعيف جداً وتزداد التجارة الأميركيـة بـاضطراد مع تزايد قروضها ومساعداتها للدول المتخلفة أو الدول المتحالفة معهـا عسكريـاً . ولا ريب في ذلك لأن معظم شعوب الأرض تجنح لتقليد نمط الحيـاة الأميركي ولو في الأشياء الظاهريـة على الأقل ، لأن هـذه الشعوب إذا كانت أحيـانـاً تعجز عن الاقتـداء بـالـولايـات المتحـدة من حيث الازدهـار العلمي والتفـوق الصنـاعي والإنتاج ، فهي تقلدها بنجـاح من حيث محـاولتهـا مجـاراة الأميركيين في حيـاتهم واستهلاكهم ولبـاسهم ولهوهم وهـذا ممـا يزيـد شعـورهـا بفقرهـا النسبي أو المطلـق ولكن أخذ الأمريكيون يعانون من أزمة الثمانينات والركود الاقتصـادي ففي آخر عام ١٩٨٢ كان هنـاك ١٢ مليون عـاطلاً عن العمل أو ١١٪ من القوى العـاملـة في البلاد .

☆ ☆ ☆

هل توجد مدنيّة أمريكية ؟

هنـاك جواب جـاهز فـوراً يقـدمـه أولئـك الـذين يلعنـونهـا ، سـواء في « اليسـار » الـدولي أو « أحزاب اليمين » الوطنية . فهم يتبارون في شجب أمريكا ، ومنجزاتها وفخفختها وتخريبها للثقـافـات التي تحيـط بهـا سواء في كنـدا أو في أمريكا اللاتينيـة ، ونشر تلوثهـا في أوروبـا وحتى في العـالم الثـالث والبلدان الشيوعية . صحيح أن الأمريكي عندما يهبـط من طـائرة جـامبو جت في مطـار روانّي قرب بـاريس ، ويستـأجر سيـارة فورد من مكاتب هرتـز أو آفيس ، ويقـود في الطريـق العريض كي يبلـغ

فندق هيلتون ، حيث ينطلق منه بعد قليل من أجل موعد في ناطحة سحاب في حي الديفانس ، ويلتهم عند عودته وجبة همبرغر في مطعم ماكدونالد في شارع الشانزيليزيه ، قبل أن يشهد فيلماً من إنتاج هوليود في ڤيديو ، أقول أنه لن يشعر بالغربة في باريس .

والواقع سيعثر الأمريكي على المعايرة ، والتسويق والسوقيّة Vulgarité والانحطاط والعنف . وتفتقر المدنية الأمريكية ، كما تظهر ، للمثل الأعلى . ففيها الكثير من مظاهر القبح : غير أن هذه العيوب ليست الوحيدة التي تقدم تعريفاً عنها ، فالعرقية وعدم المساواة ، والبطالة ، وانعدام الأمن ، والمتاجرة ، والفساد والعنف هي أمور توجد في أماكن أخرى ، وربما كانت أسوأ مما هي في الولايات المتحدة . ولكن لا نجد في أي مكان آخر ذلك النسيج من القيم المتصالبة على شكل سدى ولحمة .

المدنية الأمريكية . أ . كاسپي . P.U.F

الولايات المتحدة أو أمريكا تملك أهم نظام اقتصادي في العالم : لنعرف كيف نحدد تدخلات الحكومة وكيف يعطي هذا النظام فرصة للتحرك والعمل .

لقد ساهمت الحكومة بدعم من الشعب الأمريكي ، وذلك خلال العقود الأخيرة ، في القضاء على الحواجز العرقية ، كما قدمت عونها للعاطلين عن العمل والمتقاعدين ، كما قدمت الغذاء للذين يفتقرون للغذاء ، ودافعت عن الأمن ، والصحة ، وحقوق العمال في التفاوض ، مثلما ساهمت في الحفاظ على التراث الطبيعي . . .

ولقد استرد بلدنا مكانته المتميزة الذي هو أهل لها على رأس أولئك الذين يكافحون في سبيل حقوق الإنسان في العالم . وعمد الأمريكان البواسل في سبيل فرض هذه القيم خلال الجيل الحالي وقبل قرنين إلى المخاطرة بأموالهم وبوضعهم الاجتماعي وحتى بحياتهم . ونحن ورثتهم . وهم يوجهون لنا رسالة خلال القرون .

ولا تجد الكلمات التي كانت تعطي مثل هذا البريق اليوم ، إلاّ صدى ضئيلاً لأن هذه الكلمات لا ينصت الناس إليها في كثير من الأحيان . وتذكرنا هذه الكلمات : عدالة ، مساواة ، وحدة ، تضحية ، حرية ، إيمان ، حب بأن المهمة الملقاة على عاتق الأمريكان اليوم هي إحياء الآمال الواثقة في أمتنا والتي لا يجوز أن تتركز فقط على الكفاح ضد التهديدات الأجنبية ، بل مكافحة الأنانية والصفاقة والخمول .

مقتبس من رسالة « عن وضع الاتحاد »

جيمي كارتر ٢٣ / ١ / ١٩٧٩

عندما تنجز أمريكا ما وعدت به . فإني أتنبّأ بنصر العدالة .

وأتنبّأ بالحرية وبالمساواة بلا تحديد . وأتنبأ بتبرير الإخلاص وتبرير الفخار ، وأتنبأ بأن هوية الولايات المتحدة ستكون هوية واحدة وحيدة .

وأتنبأ بأن الاتحاد سيكون أكثر تلاحماً أكثر فأكثر بين الدول ولن تنفض عراه . وأتنبأ بحب الناس للناس ، وأقول بأنه سيكون بلا حدود ولا تحفّظ .

وأقول بأنك لا زلت قادراً على أن تجد الصديق الذي تبحث عنه . . . وأتنبأ بحياة ستكون رخية وفيرة ، ملتهبة ، مليئة بالروحانية ، وجريئة .

أناشيد الوداع . ويت وايتمان .
دار نشر فلامّاريون . باريس

☆ ☆ ☆

الولايات المتحدة والمدنية الأمريكية

تتألف القوة الأمريكية من ٥٪ من سكان العالم ولكنها تمثل :

٢٥٪ من الناتج القومي الخام العالمي
٣٠٪ من الكهرباء الناتجة في العالم
٤٠٪ من حظيرة السيارات العالمية
٨٥٪ من الحاسوبات (الكومبيوتر)
ـ أول مصدّر ومستورد عالمي من البضائع والخدمات
ـ أول مصدّر عالمي للمنتجات الزراعية
ـ انخفاض نسبي تدريجي ناتج عن المنافسة اليابانية والأوروبية
ـ الدرجة العاشرة من حيث الناتج القومي الخام لكل مواطن
ـ تبعية متزايدة نحو الخارج ٤٢٪ من النفط مستورد
ـ عملة مزعزعة : أونسة الذهب = ٨٢٠ دولاراً عام ١٩٨٠ و ٣٢٠ دولاراً في ١٩٨٢ و ٥٠٠ دولاراً في ١٩٨٣
ـ تضخم يعادل ١٣,٨٪ في عام ١٩٧٩

☆ ☆ ☆

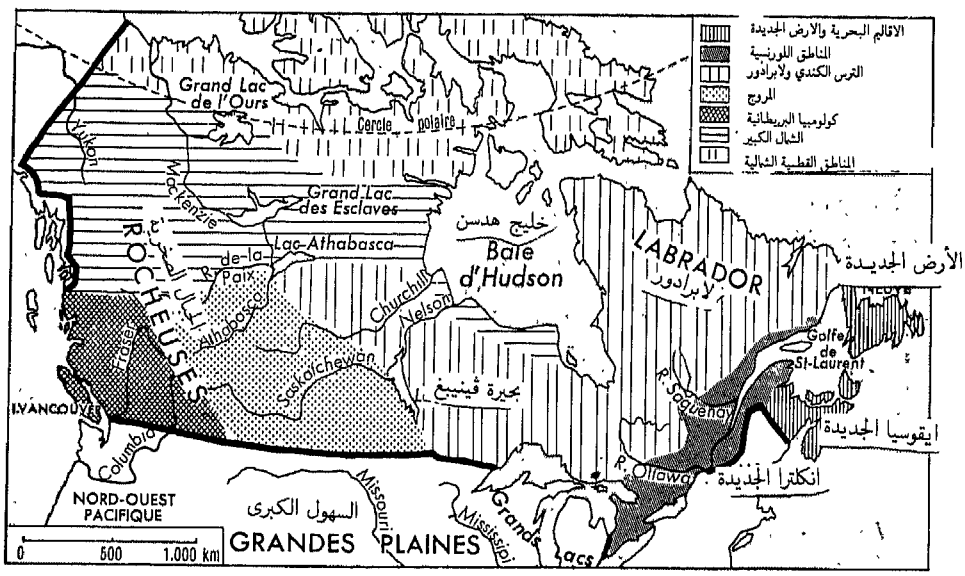

الشكل ١

المناطق الجغرافية في كندا

كندا

على تخوم المعمورة

لا تبدو المساحة الزراعيـة في هـذا القطر الواسع كبيرة جـداً ، فهي تبلغ ٦٤ مليون هكتار ، مقابل ٣٢ مليون هكتار في فرنسـا ، أو ٦٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، أو ٦,٥٪ من مسـاحـة البلاد . وتقف الكـوابـح المنـاخيـة دون أي تـوسـع زراعي إضـافي ، بـالرغم من التقنيـات المتـوائمـة كالقمـح الربيعي والـزراعـة الجـافـة (شكل ١) .

ويؤلف المزارعون ، الـذين يشكل الملاكون المستغلـون ٧٠٪ منهم ، أقـل من ٥٪ من السكان العاملين وعـددهم في تنـاقص . ولا يوجـد في هـذه البلاد أكثر من ٣٠٠ ٠٠٠ مزرعة ، ارتفعت مساحتها الوسطى من ١٥٠ هكتار عام ١٩٦٧ إلى أكثر من ٢٠٠ هكتار في عام ١٩٧٧ ، هذا في الوقت الذي زادت فيـه إنتـاجيـة الزراعـة الكندية بفضل ارتفاع مستواها التكنيكي .

المشاهد الزراعية القديمة والجديدة :

البلاد اللورانسية : بعد أن ظلت منطقة كيبـك متـأخرة لمـدة طويلـة فقـد حسّنت إنتاجيتها . وينصرف المستغلّون الذين تبلغ المساحة الوسطى لمزارعهم ٨٣ هكتـاراً نحو منتجـات الألبـان ، وتقـدم منطقـة مـونتريـال نصف إنتـاج الحليب واللحم والثمار والخضروات . بيد أن الزراعة تتقهقر في أراضي الشمال .

ويكـون **إقليم أونتـاريـو** متميزاً بسبب جـودة تربتـه ومنـاخـه الملطّف ، لوجود كتلة المياه البحيرية المجاورة ، فهنا يمكن زراعة الفواكه الحساسـة كالـدراق

والأعناب . وتكون الزراعة هنا متنوعة وحثيثة وذات أرباح عالية ، وتتجه نحو الأسواق الحضرية في الولايات المتحدة المجاورة.

أما أراضي **البراري** المؤلفة من دبال أسود ، والمتصفة بجفافها النسبي فتناسب زراعة الحبوب التي تتناوب مع البور المحروث حسب أسلوب **الزراعة الجافة** dry farming فوق مستغلاّت كبيرة الأبعاد . وبعد أن عزفت منطقة البراري عن زراعة الحبوب الوحيدة ، أصبحت الآن تنّمي تربية الأبقار والزراعات المهيأة للماشية ، كالشعير والأعلاف ، والذرة الصفراء العلفية .

أما **كولومبيا البريطانية** فتمارس على الخصوص تربية الأبقار الواسعة Ranching فوق الهضاب العليا الداخلية . ولكن تظهر مزارع الأشجار المثمرة ، البديعة المنظر في الأراضي المروية .

المحاصيل الكبرى :

القمح : وتتجه ثلاثة أرباع محصوله للتصدير . وتنظم الحكومة التسويق والتخزين وفتح أسواق خارجية . ويلعب القمح الكندي دوراً استراتيجياً هاماً على الصعيد العالمي . وتكون تربية **الأبقار الحلوبة** في تراجع . بيد أن تربية أبقار اللحوم والتي تباع من الولايات المتحدة فتتقدم على الخصوص في إقليم البراري .

ولا تقدم تربية **الحيوانات ذات الفراء** (الثعلب الفضي والفيزون) سوى ٤٠٪ من إنتاج الفراء . وتنتج كندا ربع جلود الفرو في السوق العالمية ، ولكن الحكومة نظمت حملات الصيد للحفاظ على الوحيش faune المعرض للتهديد بالفناء مثل صغار الفقمة .

ولا يزال **الصيد البحري** حرفياً على السواحل الأطلنطية ، ولكنه أصبح

ضمن إطار الصناعة الراقية على سواحل المحيط الهادي ، مما جعل مردوده يتناقص بسبب الإفراط في استغلال قيعان البحار . وتمارس الحكومة سياسة نشيطة للحفاظ على الوحيش البحري . ويصدّر قسم كبير من الأسماك المصادة نحو الولايات المتحدة .

☆ ☆ ☆

الصادرات الزراعية في ١٩٧٦ بملايين الدولارات : البذور الزيتية ٣٣١ ، الشعير ٥٤٢ القمح ١٧٠٨ ، حبوب أخرى ٤٢٥ ، لحوم ٢٠٧ ، فراء وجلود ١٢٤ ، حيوانات حية ١٢٠ ، خضار ١١٥ ، تبغ ٦٣ ، منتجات ألبان ، وتمثل جميعها ١٢٪ من جملة الصادرات الكندية .

الإحصائيات الزراعية لعام ١٩٧٧

المادة	المجموع بآلاف الأطنان	كولومبيا البريطانية	البرتا	ساسكاتشفان	مانيتوبا	اونتاريو	كيبك	الأقاليم البحرية
القمح	١٩٦٥١	٠,٥	١٦	٦٥	١٤	٤	٠,٥	—
الشعير	١١٥١٥	١,٥	٤٦	٣١	١٨	٢	١	٠,٥
الصويا	٩٢٠٠	—	—	—	—	١٠٠	—	—
بذور زيتية	٢٦٢٤	١٥	٣٣	٢٣	٢٨	—	—	—
ذرة صفراء	٤٣٠٢	—	—	—	١٥	٩١	٤	—
شوندر سكري	١٠٠٨	—	٥٣	—	٤٤	—	٣	—
أبقار (مجموع)	١٣١٥٤	٧	٢٤	١٠	١٣	٢٥	٢٠	٢
منها حلوبة	٢٠٤٨	٦	—	١٤	—	٣٠	٥٠	٤
حليب	٨٠١٧	٦	—	١٥	—	٣١	٤٤	٤
بطاطا	٢٤٨٧	٥	٦	٢	١٠	٢٠	١٤	٤٣
دجاج	—	—	—	—	—	٤٠	—	—

☆ ☆ ☆

كندا : الموارد الطبيعية
(مصدّرة كبرى للمواد الأولية)

تماثل كندا ، باعتبارها قطراً واسعاً ، وقليل السكان ، تماثل السويد ، أو سيبيريا ، من حيث شدة ثرائها بالموارد الطبيعية الخاصة بالعروض العليا ، كالأخشاب وبالتروس shields القديمة المتعدنة ، أي الفلزات . ويمثل استغلال هذه الموارد ٦ ٪ من الناتج القومي الخام و ٣٠ ٪ من قيمة الصادرات في الوقت الذي تسمح فيه بنمو الصناعة في البلاد ، **بيد أن وضع هذه الثروة الكامنة في موضع الاستغلال يكون عسيراً .**

فالمسافات الكبيرة بين مواقع الإنتاج وأمكنة الاستغلال كالمحطات والموانئ ، أو مراكز الاستهلاك ، تتطلب استثمارات جسيمة في سبيل إنشاء البنية الأساسية من طرق ، وخطوط حديدية ، ممدَّدة خصيصاً لذلك وأنابيب . هذا كما أن المسافات لا تسمح إطلاقاً بتنظيم توزيع الموارد بصورة عقلانية بين شرقي البلاد وغربها . وتكون هذه المشكلة محلولة جزئياً بالتعاون مع الولايات المتحدة ، فيباع بترول البرتا في كاليفورنيا ، في حين تشتري البلاد الواقعة على نهر السان لوران فحم الأبالاش من الولايات المتحدة .

وتعيق **قساوة المناخ** عملية الاستغلال ، وتقسر أحياناً على إغلاق المناجم الواقعة في أقاصي الشمال من البلاد

ويتعلق **الإنتاج** بالأسواق الخارجية وبتقلباتها ، ومنذ مدة قريبة أدى كساد النيكل إلى إغلاق مناجم منطقة سادبوري (شمال بحيرة هورون) .

كما أن **الاستثمارات** الضرورية لاستغلال ثروات البلاد تكون من الجسامة بحيث تضطر كندا للاستعانة برؤوس أموال أجنبية ، ولا سيما الأمريكية منها ، وينتج عن ذلك نوع من تبعية اقتصادية وسياسية .

وقد لعبت **وفرة الموارد الطاقيّة** دوراً حاسماً في استغلال ثروة كندا ، حيث تكون الحصيلة الطاقيّة فائضة . غير أن ذلك يستدعي حلّ مشكلات عويصة .

فالطاقة الكهربائية تقدم طاقة متجددة ، بيد أن الإنتاج يتقلّص في فصل الشتاء ، بسبب تجمد الأنهار ، لا سيما وأن المواقع الكبرى التي هي قيد التجهيز حالياً ، مثل خليج جيمس ، مانيكواغان ، ونهر السلام Peace ، تكون واقعة في الشمال ويجب تحقيق ارتباطها بمناطق الاستغلال بواسطة خطوط نقل ذات توتر عال . وتشكل هذه المشاريع أيضاً محذوراً لأنها تؤدي لاختلال التوازن الايكولوجي الضار بالهنود الأصليين . وتذلّل هذه المصاعب بالاستعاضة **بمراكز** حرارية يكون معظمها من النمط النووي .

كما أن **الموارد النفطية** الواقعة في ولاية آلبرتا محدودة المخزون على خلاف ما كان يؤمّل منها قبل بضعة أعوام ، كما تكون نفقات الإنتاج مرتفعة جداً ، مثل حوض الماكنزي مثلاً .

ولا تمثل **الموارد المعدنية** المستغلة سوى قدراً ضئيلاً من المدخرات . والواقع تملك كندا على الخصوص احتياطاً من اليورانيوم يضعها في المرتبة العالمية الثانية .

ويؤلف **الخشب** ثروة عظيمة لأن ربع رقعة كندا تعتبر منتجة ، أو ٢,٥ مليون كيلو متر مربع ، ولكنها ثروة سريعة العطب بسبب الحرائق واستئصال الغابة ، وتنظم الدولة عملية الاستغلال والإشراف على عملية التحريج .

ويؤلف استغلال الثروات المعدنية ، أو الطاقيّة ، أو الغابيّة ، جبهة طلائعية تظل غير متصلة . فهي تتألف في أغلب الأحيان من خلايا منعزلة ، وتجهد الدولة حالياً لفك طوق عزلتها بإنشاء الطرق أو بالاستعانة بشبكة من الخطوط الجوية .

☆ ☆ ☆

مصادر الثروة الكندية في عام ١٩٧٧

	المجموع	المرتبة العالمية	الإنتاج العالمي
إنتاج الطاقة الأولية	١٧٠	-	-
استهلاك الطاقة الإجمالية	١٥٥	-	-
الكهرباء الكلية . مليارك و س	٣١٦	٥	-
الكهرباء الهيدروليكية مليارك و س	٢٢٠	٢	-
الكهرباء النووية مليارك و س	٢٦	-	-
الفحم : ملايين الأطنان	٢٣	١٣	-
البترول	٧٣	١٣	-
غاز طبيعي : مليار م^{٣}	٧٤	٤	٪٥
أورانيوم	٥,٧	٢	٪٢٠
نحاس	٧٨٠	٥	-
حديد	٣٣٢٠٠	٦	-
نيكل	٢٣٥	١	٪٣٣
ذهب (طن)	٥٣	٣	٪٣,٦
رصاص	٣٢٧	-	-
زنك	١٣٠٠	١	٪١٨
أميانت	١٥٣٦	٢	٪٢٩
فضة (طن)	١٣٠٠	٣	٪١٣
استهلاك الفرد من الكهرباء بالعام	١٢٢٥٠	٢	
استهلاك الفرد طن معادل بترول	٦,٥٨	٢	

الصناعة والمواصلات

كيف يمكن بعث النشاط في الرقعة الكندية ؟

تطرح تنمية مجال اقتصادي على مقياس كندا مشكلات قد تستعصي على الحل : فالمناطق النشيطة شديدة التباعد عن بعضها بعضاً ، كما أن بؤر النشاط الصغيرة المنعزلة تكون عديدة ، ومن ناحية أخرى ، تتعرض كل المناطق الكندية لجذب المناطق المجاورة للولايات المتحدة . ويعاني الاقتصاد الكندي الكثير في سبيل إثبات ذاته تجاه جارة قوية للغاية .

المواصلات : استثمار ضروري ومرتفع الكلفة

تجعل قساوة الشتاء الكندي ، كالأنهار المتجمدة ، والمدن والمطارات المحاصرة بالعواصف الثلجية ، والطرق الخافسة خلال الربيع ، تجعل من الخط الحديدي الوسيلة الوحيدة للنقل الدائم . بيد أن هذا الخط فقد بعض أهميته بحيث لا يحقق الآن سوى ٣٠٪ من حركة نقل البضائع ، مقابل ٤٠٪ للطرق المائية ، و ٢٠٪ للأنابيب . أما الطائرة فلا تحقق نشاطاً هاماً على خطوط منتظمة فحسب ، بل تقوم أيضاً بفك طوق عزلة المراكز الصغيرة المنعزلة في الشمال .

صفات الصناعة الكندية :

لقد ظلت كندا ، ولمدة طويلة ، عبارة عن دولة تصدر المواد الخام بعد معالجة بسيطة . ولم يقم التجهيز الصناعي فيها إلا خلال الحربين العالميتين بفضل رؤوس الأموال الأجنبية ، ولا سيما الأمريكية منها . ولكن نظراً لافتقارها إلى التقاليد الصناعية فقد كانت الإنتاجية فيها دون مثيلتها في الولايات المتحدة ، كما

كانت الأجور فيها متدنّية بالتالي . أما في الوقت الحاضر فتوفر الصناعة العمل لحوالي ٢٨٪ من السكان العاملين ، وهذه نسبة لا تزال منخفضة نسبياً ولا تقدم سوى ٣٢٪ من الناتج القومي الخام PNB .

لائحة صناعات كاملة نوعاً ما :

تحتل الصناعات المرتبطة بالثروات الوطنية مكانة هامة : فتستغل الطاقة الكهرمائية لإنتاج الألمنيوم حيث بلغ إنتاجها منه مليون طن ، مما بوّأها المرتبة الثانية في العالم ، اعتماداً على البوكسيت المستورد ، والخلائط الحديدية ، ومعجونة الورق وورق الصحف الذي منحها الدرجة الأولى في العالم . وبلغت كندا في مضمار إنتاج الصناعة الحديدية أهمية دولية إذ أصبحت تنتج ١٥ مليون طن في ١٩٨١ حيث تقوم المصانع في الموانئ البحرية أو الداخلية . وقد أدّى تطور الإنتاج البترولي البالغ ٧٢ مليون طن حديثاً إلى قيام صناعات كيماوية طلائعية .

هذا وتكون الصناعات التحويلية متفاوتة في تطورها : فتقوم كندا بتجميع سيارات ولكنها لاتصنع سوى سيارات ثلجية auto-neiges . ويكون إنتاج الصناعات الجوية دقيقة التخصص أيضاً ، وتتمثل في شركة هافيللاند كانادير ، شأن صناعات الأدوات الكهربائية كالعنفات والأفران الكهربائية . هذا ويقوم فيها أيضاً عدد من مصانع سلع الاستهلاك المبعثرة فوق رقعة أرضها ، وتصنع منتجات استخدام عادي من أجل السوق المحلية (شكل ٢) .

مشكلات إقليمية :

تظل الصناعة في كل الغرب والوسط الكندي صناعة شديدة التخصص مثل صناعة الألمنيوم الحرارية في كيتيمات Kitimat على ساحل المحيط الهادي ، أو لا تصنع سوى ما هو ضروري للحاجات المحلية . وعلى العكس فإن أونتاريو

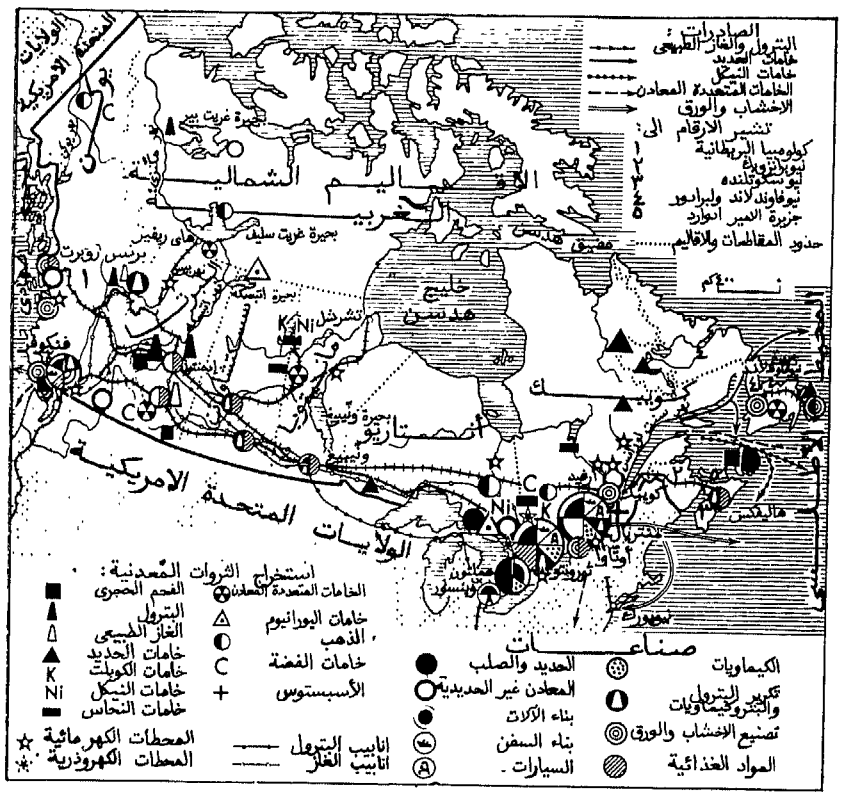

صناعة كندا

الشكل ٢

وكيبك تنتجان في الوقت ذاته للأسواق الإقليمية وللسوق الوطنية ، وحتى الدولية بالاتفاق مع الولايات المتحدة . وإذا كانت مقاطعة أونتاريو هي الأكثر أهمية فهي لا تحاول مثل كيبك إقامة قائمة كاملة من صناعات تحقق لها الاستقلال الاقتصادي .

☆ ☆ ☆

الكنديون

كثافات ضعيفة :

لا تعني الكثافة الوسطية وهي ٢,٥ نسمة في الكيلو متر المربع شيئاً تجاه اتساع رقعة الأراضي الشاغرة . فمعظم السكان أو ٢٤,٥ مليون نسمة ، يقيمون في شريط جنوبي يدعى كندا المفيدة . غير أن شبه الجزيرة الأونتارية ، ووادي السان لوران هما الوحيدان اللذان يتصفان بكثافة شبه أوروبية .

استيطان سكاني نشيط :

لقد تضاعف سكان كندا أربع مرات منذ ١٩٠٠ ، ولكن نسبة النمو لا تتوقف عن الاسترخاء منذ ١٩٦٠ . ويبلغ النمو الطبيعي حالياً ٨,٤ بالألف أو ٠,٨٪ مقابل ٧,٩٪ في الكويت في ١٩٨١ ، أي عشرة أضعاف كندا . وتكون نسبة الوفيات ضعيفة جداً ، ٧,٣ بالألف ، وهو طبيعي في قطر فتيّ ذي مستوى صحي عال . ولقد تعرضت نسبة التوالد إلى انخفاض عظيم : فبين ١٩٥٥ و ١٩٧٨ هبطت من ٢٨ بالألف إلى ١٥,٧ بالألف . ولم نعد نلاحظ ، كما في الماضي ، خصوبة أكثر شدة لدى الكنديين الفرنسيين بالموازنة مع الكنديين الناطقين بالإنكليزية . وتكون حصيلة الهجرة إيجابية أيضاً لأن عدد الداخلين كان ١٥٠٠٠٠ سنة ١٩٧٦ مقابل ٨٠٠٠٠ من المغادرين . ولكن حركة الهجرة إلى كندا تبدو أقل نشاطاً مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، لأن كندا تحاول اجتذاب العمال المختصين الذين يستقر نصفهم في ولاية أونتاريو .

حركات داخلية معقدة :

هناك ثلاث حركات تحدث في وقت واحد :

من الأرياف نحو المدن : ففي عام ١٩٠١ كان ٣٧٪ من الكنديين يعيشون

في المدن . أما الآن فإن المدن تضم ٧٧٪ من سكان البلاد . وهناك ثلاث مدن مليونية عملاقة تستفيد أكبر استفادة من هذا التمركز وهي : تورنتو وفيها ٣ ملايين نسمة حالياً ، ومونتريال ٣ ملايين أيضاً ولكن بسرعة أقل تسارعاً ، وأخيراً فانكوفير وهي المدينة الكبيرة الوحيدة في الغرب الكندي وفيها ١,٣ مليون نسمة .

ومن سائر أنحاء كندا باتجاه ولاية أونتاريو : ذلك أن الاقتصاد الشديد الحيوية في هذا الإقليم ، ومناخه الأكثر عذوبة ، لأن الكرمة تجود على ضفاف البحيرات الكبرى ، ومجالات العمل في مدينة تورنتو ، تتضافر جميعاً على جذب المهاجرين الجدد ، والريفيين ، وحتى من أهل منطقة كيبك . وتحوي ولاية أونتاريو حالياً ٨ ملايين نسمة مقابل ٦ ملايين في مقاطعة كيبك ، بعد أن كانتا متعادلتين في بداية هذا القرن .

ومن مختلف القطاعات الاقتصادية نحو القطاع الثلاثي : والذي يضم حالياً ٦٣٪ من العاملين مقابل ٤٤٪ في عام ١٩٥١ .

إعمار سكاني متنوع : يميز على المستوى الرسمي أربع مجموعات عنصرية هي :

البريطانيون : وكانوا يؤلفون ٤٤,٦٪ من السكان عام ١٩٧٦ .

الفرنسيون : ويشكلون ٢٨,٧٪ .

الكنديون الجدد : ٢٥,١٪ منهم ٢٣٪ من أصل أوروبي .

الأسكيمو (شكل رقم ٣) والهنود الحمر : ١,٥٪ .

والواقع هناك كتلتان تحاولان التشكل والتكتل ، وهما الناطقون بالإنكليزية ، ويؤلفون ٧١٪ من السكان والناطقون بالفرنسية ٢٩٪ . ولا تبدو

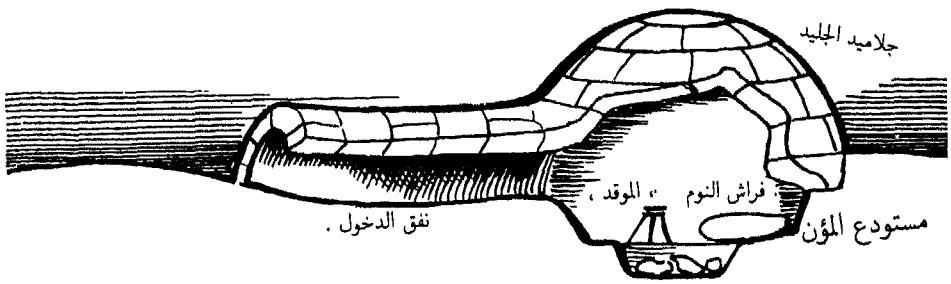

مخطط للإيغلو : بيت الأسكيمو

الشكل ٣

ازدواجية اللغة التي يريدها الفرنسيون غير ذات معنى بالنسبة للكنديين الجدد ، الذين يفضلون تعلّم الإنكليزية التي تمثل الثقافة السائدة في القارة الأمريكية .

☆ ☆ ☆

تطور نسبة السكان العاملين حسب القطاعات الثلاثة

السنة	القطاع الأولي	القطاع الثنائي	القطاع الثلاثي
١٩٥١	٢٠	٣٦	٤٤
١٩٦١	١٢	٣٦	٥٢
١٩٧١	٨	٣٢	٦٠
١٩٧٦	٦	٢٨	٦٦

المدن الكندية :

إذا تفحّصنا أوضاع الحياة ، السائدة في المدن الكندية ، استطعنا أن نميز ، وذلك استناداً إلى الدراسات الحديثة التي تمت لحساب وزارة الدولة للشؤون العمرانية ، أربعة نماذج من الأحياء :

ـ الأحياء المتقهقرة : وهي الواقعة في قلب أكبر المدن الكندية ، وتكون مأهولة بجماعات من الفقراء . وتكون المساكن فيها غاصة وهرمة ، ويكون الجنوح فيها منتشراً ، ولا سيما بين الشبان ، كما أن حالة السكان الصحية تكون ، بكل وضوح ، دون مثيلتها في الأحياء الأحسن حالاً .

الأحيـاء المستقرة : وتعطي صورة مختلفـة تمـاماً ، مع أنهـا مـأهولـة بـأنـاس من ذوي الـدخـل المتواضع . وهي وإن كانت أبعـد من أن تكون موسرة ، فلـديهـا مـا يكفي من الجـاذبيـة على الصعيـد الفردي وعلى المستوى الاجتماعي ، مما يجعل سكانها متعلّقين بها ، وقلّما يبـدّلون مسـاكنهم . ويبـدو على السكان أنهم معجبون بالحياة الهادئة السائدة فيها .

ـ أما الأحياء المتجدّدة ، فهي أحياء قلب المدينة ذات الكثـافـة السكانيـة الضعيفـة : ففي هـذه الأحياء الكثير من البيوت الصغيرة الخاصة ، التي توفر إمكانات هامـة للترميم والتي تبـدو مرغوبـة أكثر فأكثر من قبل العائلات القادرة على شراء مسـاكنهـا ، مع أنـه لا يزال الكثير من العـائلات من الـذين يرغبون العيش في دارة « فيلا » في الأرباض « الضواحي » حسب المثل الأعلى الأمريكي . وهكذا نجـد حركـة شبـه مستمرة ، وهي أن النـاس الميسورين من مستوى ثقـافي مرتفـع ، أي أعلى من المتـوسـط ، يحـاولون ، على العموم ، أن يحلّوا مكان العـائلات الفقيرة التي كانت تقطن في هـذه الأحيـاء منـذ زمن طويل .

ـ وهناك قطاعات أخرى في المـدن الكبرى ، أصبحت هـدف تطوير على مقيـاس كبير ، بسبب نمو وتطور المدن ذاتها . فقد قامت فيهـا أبراج سكنيـة على شكل موجـات متعـاقبـة ، مثلمـا حـدث في تورنتو على طول خط مترو شارع يونج . ويستطيع هذا التطور أن يقدم فرصة تصابي العمارات ، بيـد أن نمط الحياة قد تبدل ، ذلك لأن الأبراج العالية تؤلف بيئة لا تستجيب دائماً مع الحاجات الإنسانية .

كندا اليوم . نيسان ١٩٨٠

☆ ☆ ☆

الإنسان الكندي

من الواجب أن يؤلف الكنديون شعباً يجهل المشكلات الخطيرة : ففي عالم يضيق ذرعاً بسكانه لا يفتقر الكنديون إلى المكان الرحب الفسيح ، كما أنهم أغنياء لأن دخلهم الوطني الخام PNB بلغ ٩٦٦ مليار فرنك فرنسي عام ١٩٧٧ ، مما يضعهم في المكانة الثالثة بالعالم ، كما أن الناتج الوطني الخام الفردي يبلغ ٤١٥٠٠ فرنك أو ٨٣٠٠ دولار أي يحتلون المرتبة السادسة للدخل الفردي . كما يكون مستوى استهلاكهم عالياً ، فلديهم ٣٧٤ سيارة سياحية لكل ١٠٠٠ مواطن ، كما أن نسبة الوصول إلى التعليم العالي تعتبر من أعلى مثيلاتها في العالم ، إذ تبلغ ٤٩,٨٪ أو نصف طلاب الثانوي تقريباً . وإذا استثنينا أزمة عام ١٩٧٥ فإن الدخل القومي الخام يتقدم حسب نسق يبلغ ٣,٧٪ في العام . غير أن المصاعب والمشكلات لا تكون معدومة .

ثروات غير مستغلة كما يجب :

إذا كان الميزان التجاري فائضاً لأن الصادرات بلغت في عام ١٩٧٧ مقدار ٤٣,٢ مليار دولار كندي ، مقابل ٤٢ مليار دولار للاستيراد ، فإن ميزان المنتجات المصنوعة يكون عاجزاً ، بينما تبيع كندا معظم صادراتها بحالة خام . ومن ناحية أخرى فإن ميزان المدفوعات خاسر بسبب الفوائد المدفوعة للمستثمرين الأمريكيين أو سواهم . وكان الدين الخارجي يمثل ٥٠٪ من الناتج القومي الخام عام ١٩٧٨ . ويدل هذا الوضع على أن الكنديين يفتقرون للمبادهات ولرؤوس الأموال اللازمة لاستغلال بلدهم . وأخيراً تستأثر الولايات المتحدة بنسبة ٧٠٪ من المبادلات الكندية . وربما يكون من المزعج وجود جار بمثل هذه القوة ، وقد قررت الحكومة الإشراف على الاستثمارات الأجنبية وتحديدها .

ثروة غير عادلة التوزيع :

يختلف الدخل العائلي حسب معدلات كبيرة جداً بين إقليم وآخر : فهو يبلغ ١٨٠٠٠ دولار أي يقارب دخل الفرد الكويتي أو القطري في أونتاريو في حين لا يزيد عن ١٣٥٠٠ دولار في المقاطعات البحرية الشرقية . ففي هذه المقاطعات ذاتها تكون البطالة عالية جداً فبلغت ١٢٪ عام ١٩٧٧ مقابل ٦,٢ في أونتاريو ، و ٨,٧ في كيبك وعلى كل أصابت البطالة في مطلع عام ١٩٨٣ ١,٥ مليون نسمة أو ١٢,٨٪ من القوى العاملة . غير أن هذه الفوارق تكون معوّضة على كل حال بعون فيديرالي إلى المناطق الأقل رخاءً .

إقليم كيبك ومشكلة الوحدة الوطنية :

يعتبر أبناء مقاطعة كيبك أنفسهم مختلفين عن سائر الكنديين . فقد كانوا أول من دخل البلاد ويفتخرون باحتفاظهم بثقافة ذات أصالة بلغتها وبإيمانها الكاثوليكي . وقد خضعوا لوضع استعماري خلال أمد طويل ، فقد جرى استبعاد « هؤلاء الزنوج البيض الأمريكيين » لمدة طويلة عن الحياة الاقتصادية وعن وظائف المسؤولية كالإطارات والوظائف السياسية الخ .. ولا يزال دخلهم حتى الوقت الحاضر أقل ارتفاعاً من دخل الناطقين بالإنكليزية ، كما أن فرص ارتقائهم تظل أقل ، وإذا كانوا قد حصلوا على حق ازدواجية اللغة في عام ١٩٦٩ في كل كندا فإن هذا القانون لا يجري تطبيقه إلا في مقاطعة كيبك حيث يؤلفون الأكثرية .

وقد استفحل شعورهم القومي منذ بضعة أعوام مما أدّى إلى تشكل حزب كيبكي راح يطالب بالاستقلال مما دعا لإجراء استفتاء في عام ١٩٨٠ . ولكن إذا حصلت كيبك على الانفصال فما هو مصير الأقليات الفرنسية في المقاطعات الأخرى كالأكاديين في إقليم نيوبرنسويك ؟ كما يمكن التفكير إذا حصل وتفكك الاتحاد الكندي فإن المقاطعات التي لا يميزها شيء عن الولايات المتحدة على المستوى الاقتصادي والثقافي ستشعر بنفسها وكأنها مجذوبة من طرف قطب

أمريكي جاذب . ترى ما هو مصير كندا في مثل هذه الحالة ؟ وعلى كل ظلت كيبك جزءاً من الاتحاد الكندي نتيجة الاستفتاء لأن مصالح الغالبية كانت في ذلك .

☆ ☆ ☆

منشور الحزب الكيبكي من أجل استفتاء عام ١٩٨٠ :

يتم التطور الاقتصادي على حساب مصالح كيبك ، في حين تكون هذه المقاطعة في أمسّ الحاجة لأن يكون اقتصادها مزدهراً وحركياً ، لضمان بقاء ثقافة الغالبية العظمى من سكانها على المدى الطويل . وقد برهن النظام الاتحادي بأنه كان يلعب دوماً تقريباً ضد مصالح أبناء كيبك . ولم يعد هناك وقت للانتظار من أجل وضع حد لمثل هذا الوضع . ولا تستطيع أية جماعة أن تقبل إلى ما لا نهاية أن تعهد بمصيرها الخاص للآخرين دون أن تخسر كرامتها ودون التعرض لخطر قاتل لبقائها .

وتملك مقاطعة كيبك كل الموارد المادية والبشرية الضرورية لأن تمارس سيادتها السياسية . ولكنها لا تدّعي بأن لديها القدرة لأن تعيش ضمن العزلة أكثر من أية جماعة عصرية أخرى . فهي تشعر بالعديد من الشبكات المؤلفة من العلاقات المتبادلة التي توحّد مختلف الجماعات فيما بينها ، وهي مستعدة لأن تحتل مكانها كشريك مسؤول ونشيط فعّال ، ولا سيما فيما يتعلق بهذه الارتباطات المتميزة الناجمة عن التاريخ والجغرافيا .

وبالتالي فإن حكومة ناشئة عن الحزب الكيبكي ستتعهد بتحقيق السيادة السياسية بالطرق الديموقراطية ، وتعرض على كندا مشاركة اقتصادية مفيدة للجانبين .

الشعور بالذات الكندية :

إن هذا الشعور الذاتي الذي يجب علينا تعليمه ونشره ، هو الشعور بالولاء لشيء يتجاوز الإقليم أو المدينة التي يحيا فيها الإنسان حياته ، ويجب أن يجد أساسه في جماعة حقوق المواطن الجوهرية ، وفي وصول هذا المواطن إلى حقه في قدر من وفرة الثروات الكندية وفي ثراء وتنوع قوانين البلاد . وفي هذا المعنى يجب أن تتفوق المصلحة الوطنية على المصلحة الإقليمية ، مهما كان ذلك عسيراً أحياناً بالنسبة لبعضنا ، من الذين يصعب عليهم تناسي انتمائهم إلى مدينة أو إلى مقاطعة ، لأن الحكومات الإقليمية والجماعات الأخرى تحاول أن تجعل الغلبة لمصالحها .

خطاب رئيس الوزراء بيير ترودو ١٩٨٠/٤/٣٠

أمريكا اللاتينية

جزء من العالم الثالث

تضم أمريكا اللاتينية مجموعاً جغرافياً فسيحاً يؤلف ١٦٪ من مساحة الأرض العائمة ، إذ تشتمل على **أرخبيل الأنتيل وبرازخ أمريكا الوسطى والمكسيك** ، وتتألف بالأصل من فتوحات قام بها الإسبان والبرتغاليون على حساب هنود أمريكا خلال القرن السادس عشر ، ثم تحولت إلى مستعمرات تشبّعت « باللاتينية » **التي تتجلّى بالديانة الكاثوليكية وبانتشار اللغتين الإسبانية والبرتغالية** ، ماعدا شطر من جزر الآنتيل ودويلات غويانة الثلاث . ولقد **تحررت في بداية القرن التاسع عشر** ، ولكنها ظلت مشتتة على شكل دول صغيرة ، وبعضها في طريقه إلى « **التخلص من الاستعمار** » بحيث أصبحت أمريكا اللاتينية **تؤلف ثلاثين وحدة سياسية مابين دولة مستقلة وأراض تابعة** ، متفاوتة الأبعاد ، وذات أوضاع سياسية أو اقتصادية على درجة كبيرة من التنوع ، دول تتقاسم « شبه القارة » ، التي ظلت خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين عرضة لاضطرابات حدودية أو لحروب أهلية شديدة الفتك ، تتلاعب في مقدراتها مصالح الدول العظمى ، لأن الحرب الأهلية في نيكاراغوا ، في عهد الديكتاتور سيموزا ، كلفت البلاد قرابة ٤٠٠٠٠ قتيل في بلد لا يزيد تعداد سكانه عن ٢,٥ مليون نسمة . وفي هذه **الجمهوريات الاتحادية** ، كالمكسيك ، وفنزويلا ، والبرازيل والأرجنتين ، أو « الموحدة » تشهد الفترات الثورية والديكتاتوريات ، التي تقوم على أيدي عسكريين Caudillo ، أو رجال الأعمال Compradors ، تشهد على **غليان**

سياسي مستمر . وقد أصبحت كوبا منذ عام ١٩٥٩ قطراً اشتراكياً وعضواً في الكوميكون ، وتكون البنى الاقتصادية والاجتماعية التي تحمل الطابع العتيق الموروث عن المرحلة الاستعمارية هي المسؤولة عن ذلك ، مما يساعد على **هيمنة الرأسمالية الأجنبية** و « زعامة » **الولايات المتحدة** ، والتي أصبحت بموجب مبدأ مونرو ١٨٢٣ الذي نادى بشعار « أمريكا للأمريكيين » ، أصبحت تضم « نصف الكرة الغربي » ضمن نطاق نفوذها ، وهكذا **اتخذت منظمة الدول الأمريكية** ، التي **أنشئت في عام ١٩٤٨ من العاصمة واشنطن مقراً لها** .

وتجابه كل أمريكا اللاتينية مشكلات التخلف بدرجات متباينة . ففي بعض الحالات نجد أن الناتج الداخلي الخام الفردي عالياً نوعاً ما ، ويعود ذلك إمّا لدعم الدولة المسيطرة ، مثل بورتوريكو التابعة للولايات المتحدة ، ٣٣٠٠ دولار ، أو نصف الدخل الفردي في الولايات المتحدة ، أو بسبب الثروة النفطية ، مثل فنزويلا التي يرتفع الناتج الداخلي الفردي الخام فيها إلى ٢٨٠٠ دولار . هذا ويكون لأكثر **دول أمريكا اللاتينية تطوراً** ، مثل الأرجنتين والأوروغواي ، اللتين يتصف اقتصادهما بالركود ، أو البرازيل والمكسيك اللتين تشهدان نهضة محسوسة ، دخلاً فردياً يتراوح بين **١٠٠٠ و ٢٠٠٠ دولار** ، أي دخلاً يماثل البرتغال وإسبانيا ، في حين لا يتجاوز لدى أكثرية **الدول الأخرى خمسمئة دولار** ، أي يماثل الدخل في أقطار المغرب العربي أو متوسط الدول العربية غير النفطية . ولكن دولة هايتي لوحدها ، هي التي يهبط الدخل الفردي فيها إلى ٢٥٠ دولاراً ، تدخل في زمرة أقطار أفريقيا السوداء وآسيا المدارية ، أو تندمج في زمرة أكثر دول العالم فقراً وجهلاً وأمراضاً ، أو العالم الخامس .

ويمثل القطاع الثانوي « الصناعي » على العموم مابين ١٥ إلى ٣٠٪ من السكان العاملين (شكل ١) ، بما في ذلك العاملين في الصناعة

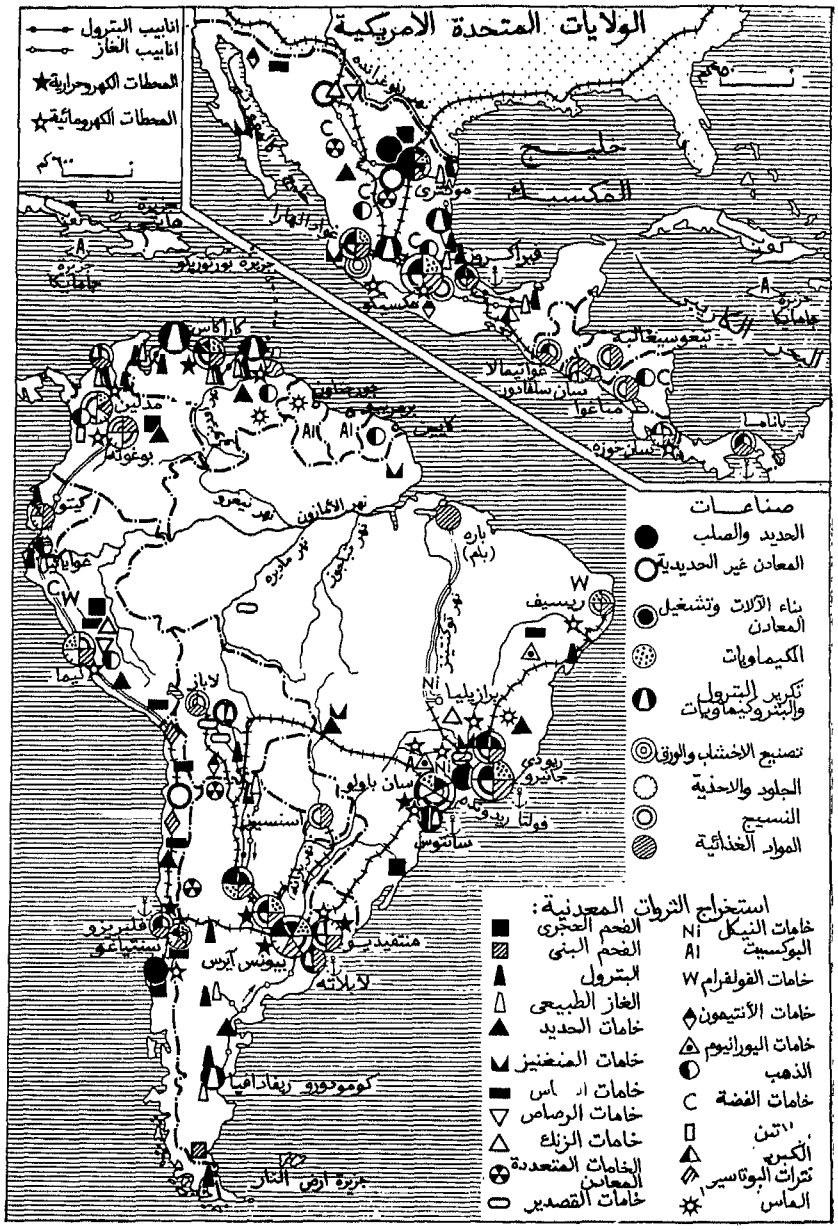

الشكل ١

الصناعة في أمريكا اللاتينية

الاستخراجية ، أما القطاع الثلاثي فيكون أكثر اتساعاً . ويكون أحياناً « قطاعاً ثلاثياً بدائياً » ، حيث تحتل الخدمات المنزلية والمهن الصغرى مكانة واسعة . أما حصة العاملين في الزراعة (شكل ٢) ، التي تتجه للتناقص بصورة صريحة ، فتتراوح بين ٣٠ و ٦٠٪ وأحياناً دون ٢٠٪ ، كما في الأرجنتين والأوروغواي ، أي تقل عن نسبتها في الأقطار الآسيوية الفقيرة أو الأفريقية .

وتسود في هذه المنطقة من العالم الملكيات الزراعية الكبرى وقد جرت محاولات لتطبيق الإصلاح الزراعي ولكنها نادراً ماأنجزت تماماً ، اللهم إلاّ في كوبا ، وفي المكسيك حيث تمّ استلاك ٢٥ مليون هكتار ، بعد ١٩٣٣ ، وجرى توزيعها على الجماعات القروية التي شكلت ما يسمى آجيدوس ejidos ، ولكنها أصبحت في أيدي فلاحين فقراء ، محرومين من الوسائل التقنية ، مما جعل هذه الملكيات الصغرى لاتنتج سوى ما يكفي لمعيشة العاملين فيها . ويظهر انعدام المساواة في كل مكان من أمريكا الجنوبية . ففي البرازيل ، كما هو الحال في الأرجنتين ، يستأثر ٥٪ من العائلات ، وهي الغنية ، بربع الدخل الوطني ، في حين يكتفي أكثر قطاعات الشعب فقراً ، وهم ٢٠٪ من السكان ، بنسبة ٥٪ من الدخل المذكور .

وتنتسب أمريكا اللاتينية ، من حيث وجهة النظر إلى وتيرة نموها الديموغرافي ، إلى العالم الثالث . فابتداءً من الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ ، كان الفائض الطبيعي يقارب ٢٪ سنوياً ، كي يبلغ ٣٪ بين ١٩٥٠ و ١٩٧٠ . وهكذا تضاعف عدد السكان ثلاث مرات في خلال نصف قرن فقفز من ١١٥ مليون نسمة في ١٩٣٠ إلى ٣٦٠ مليوناً في ١٩٨٠ .

ويؤلف الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة في معظم دول أمريكا اللاتينية ٤٠٪ وحتى ٥٠٪ من مجموع السكان هذا مقابل ٤ إلى ٦٪ من الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ، هذا بينما لاتزيد نسبة الذين تقل أعمارهم

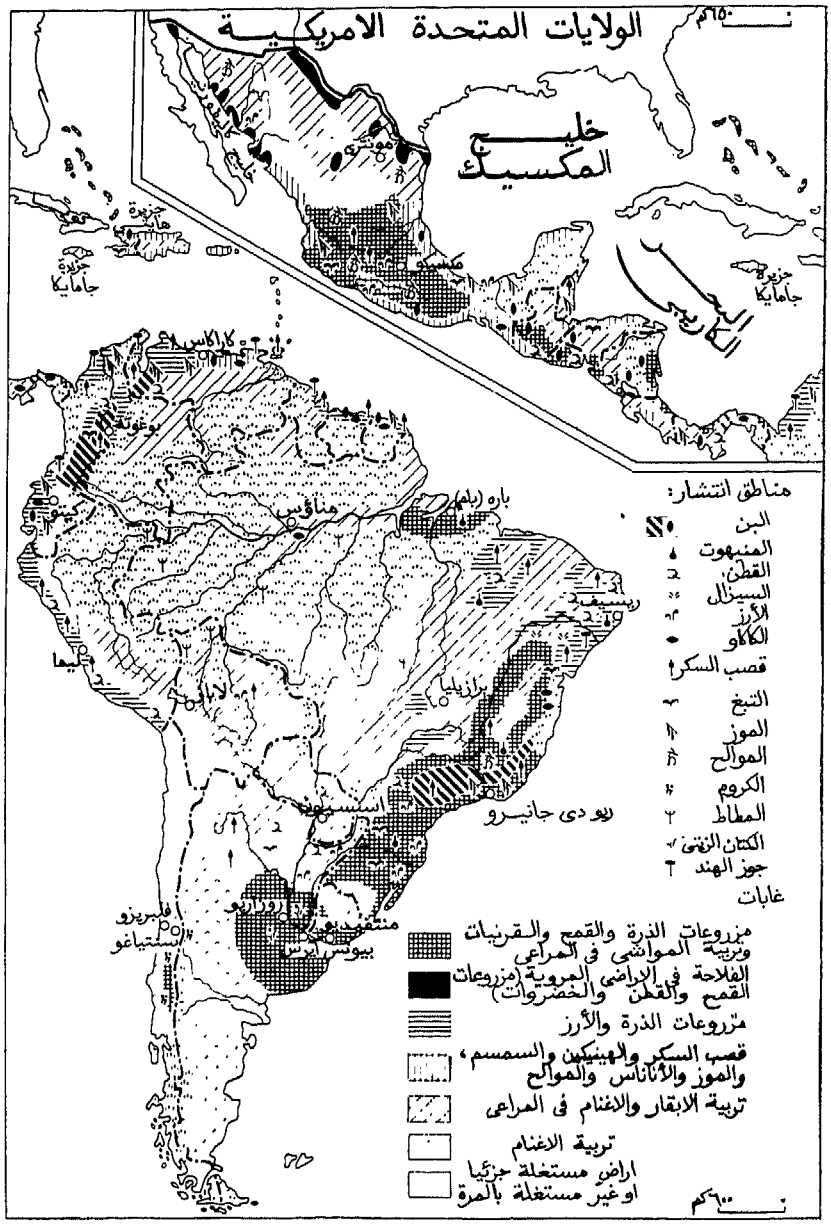

الشكل ٢

الزراعة في أمريكا اللاتينية

عن ١٥ سنة عن ٢٣٪ في السويد . أما في الأرجنتين والأوروغواي ، وحتى الشيلي ، حيث ينتمي جميع السكان تقريباً لأرومة أوروبية ، فإن الفائض السكاني يكون أقل من ذلك ، بحيث تمكن مقارنته مع إسبانيا أو ١٪ . ويقوم **التوسع الديموغرافي بتغذية تحضّر عمراني فوضوي** . ويكفي في هذا المجال أن نشير إلى أحياء القصدير في العواصم[1] . وحتى الآن لا زالت **الموارد الغذائية تواكب** ، رغم ضعف المردود الزراعي ، **النمو السكاني** ، وعلى خلاف مايحدث في آسيا الجنوبية الشرقية ، أو في أفريقيا ، فإن المجاعات تكون استثنائية ، وإن كان **سوء التغذية ملحوظاً في الكثير من مناطق** أمريكا اللاتينية .

ولم تأخذ تبعيّة أمريكا اللاتينية اقتصادياً تجاه الدول الصناعية بالتناقص ، إلّا منذ عهد قريب جداً ، تلك الدول التي تجد هنا المواد الأولية والسلع الغذائية الرخيصة ، وأسواقاً لتصريف منتجاتها الصناعية ، وأمكنة رحبة لاستثمار رؤوس أموالها . وإذا كانت المكسيك قد عمدت إلى تأميم حقول نفطها في ١٩٣٨ ، فإن فنزويلا وهي إحدى أعضاء منظمة الدول المصدّرة للنفط ، لم تسيطر على مواردها إلا منذ ١٩٦٧ . **ولقد استطاعت الدول التي تملك عائداً نفطياً ، أو بعض الدول الغنية نسبياً ، مثل البرازيل والأرجنتين ، لوحدها ، أن تتحرر جزئياً من رؤوس الأموال الأجنبية** كي ترسي قواعد صناعة وطنية . وتظل كل هذه الدول مصدّرة للمواد **الأولية الخام** ، من معدنية وزراعية ، والتي تتعرض أسعارها لمضاربات شديدة . إذن يتعلق الازدهار الاقتصادي بمحصول واحد وبسوق واحدة . هذا مثلما نلاحظ أيضاً أن نسبة النمو الاقتصادي تحوم منذ بضعة أعوام حول ٥٪ في حين **أن التضخم المزمن** يحتل رقماً قياسياً في البرازيل ، وفي الأوروغواي ، وفي الشيلي ، وعلى الخصوص في الأرجنتين ، مما يعرض هذه الأقطار لهزّات اجتماعية وسياسية مؤلمة .

---

(١) وهي أحياء بائسة غير منظمة تسكنها جماعات وافدة من الريف ، وتدعى العشش في مصر ، والصرايف في العراق والصنادق في دول الخليج العربي ، والبراكات في سورية .

البرازيل

« القارة البرازيلية »

تكون البرازيل ، التي تبدو وكأنها تتقدم في المحيط الأطلنطي لملاقاة أفريقيا ، تكون **معزولة** في أمريكا الجنوبية بواسطة فيافي الأمازون وماتّوغراسّو . ونظراً لوقوع عرضها الأعظم فوق خط العرض ٥ جنوباً ، أي على عرض رأس ساءوروك ، **ولوقوع معظمها في نطاق مابين المدارين ، فهي تمتد على مساحة تبلغ ٨,٥ ملايين كيلو متر مربع ، أو مايقارب مساحة الصين ، أو نصف مساحة الوطن العربي الكبير . وتغطي « الهضبة البرازيلية » الفسيحة ثلثي مساحتها (شكل ٣)** . وهي عبارة عن ترس shield قديم ، تعرض لخفس في الشمال الغربي ، ولنهوض في الجنوب الشرقي . أما من طرف المحيط الأطلسي فهناك صدوع تجزّئ هذا الترس إلى **كتل جبلية** جانحة basculés ، تؤلف جبال سراة مانتيكيرا (شكل ٤) ، والممتدة بين مدينة رسيف وپورتو آليڤرو ، والتي ترتفع إلى ٢٧٨٧ م . وتواكب « **قوالب السكر** » **الغرانيتية** سبحة من سهول ساحلية ، مفرّضة **بخلجان واسعة مثل خليج ريودو جانيرو . أما في اتجاه الداخل فتسود سطوح منبسطة** ، هي عبارة عن أشباه سهول Pénéplaines متبلورة تنبثق فوقها بعض الأعراف المؤلفة من صخور أكثر مقاومة ، مثل موائد الصخر الرملي المسماة شاپاداس chapadas ، أو تكون عبارة عن لابات بازلتية . غير أن **حوض الأمازون** الذي اعتراه خفس بسيط ، أدّى لتراكم أكثر من ٣٠٠٠ م من رسوبات ناعمة (غرين) فيه ، ويتعرض لالتواء انكباسي subsidence على شكل مقعر

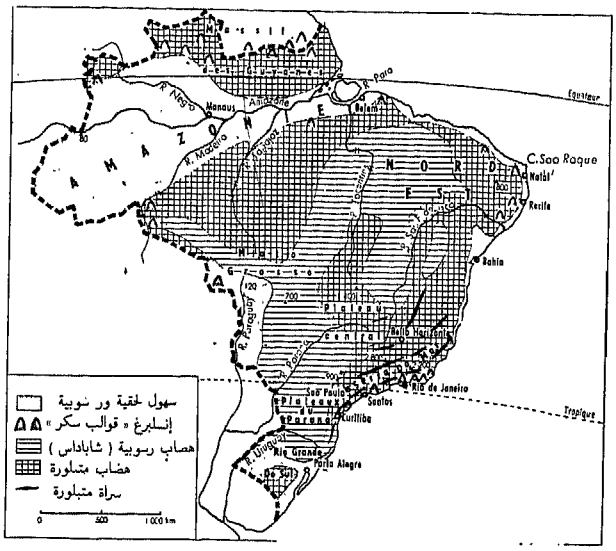

الشكل ٣ التضريس والمناطق الطبيعية في البرازيل

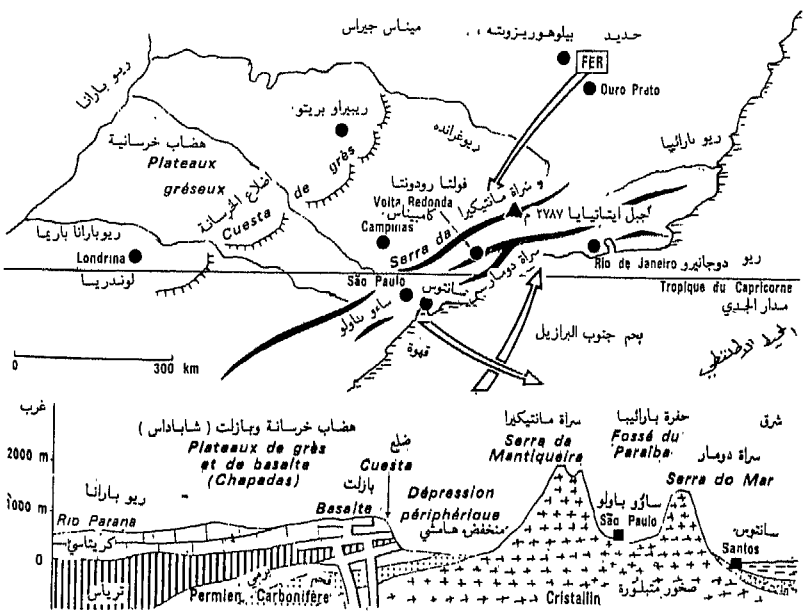

الشكل ٤ الشرق:المنطقة الحيوية في البرازيل

فضفاض ، بين الهضبة البرازيلية من جهة وبين هضبة الغويانة من الشمال ، من جهة أخرى ، وهو يؤلف منخفضاً ، لايزيد ارتفاعه في أي مكان عن ٣٠٠ م ، وبعد أن يتخذ شكلاً شبه دائري عند حضيض جبال الآند غرباً ، نراه وقد أصبح ضيقاً عند الاقتراب من المصب العريض . ويكون حوض الآمازون النهري غير متناظر . فالنهر يجري في محور المقعر synclinal مع انحدار غير محسوس ، وذلك حتى في « ممر » أوبيدوس Obidos ، ولا تصل إليه أكثرية روافده من الضفة اليمنى إلا بعد أن تقفز من فوق الجنادل والشلالات عند منحدر الهضبة البرازيلية . وتملك البرازيل أيضاً شطراً من سهول پاراغواي المستنقعية والتي تسمى پانتانال Pantanal .

ويعمل كل من ارتصاف التضريس والموقع على درجات العرض على جعل المناخ نطاقياً ، والذي يكون بسيطاً من الناحية الحرارية ، ولكنه يضطرب بشذوذات مطرية . **فالبرازيل الاستوائية** تتجاوز مهد سهول الأمازون المنخفضة . وتتراوح درجات الحرارة الشهرية بين ٢٥° و ٣٥° ويكون **الحر ثابتاً وعالياً في حين تزيد كمية الأمطار السنوية عموماً عن المترين** . غير أن النظام الاستوائي ، الذي يتميز بحدّين أقصيين في الاعتدالين ، لا يسود إلا في غرب الحوض ، حتى أن لمدينة ماناؤوس فصل جفاف خلال الشتاء الجنوبي ، أي من تموز إلى أيلول . وهكذا يميز أهل البلاد فصل « ربيع Verão » وفصل أمطار طويل ومرهق هو « الإشتاء hivernage » .

وتستفحل الملامح المدارية فوق الهضبة البرازيلية : فتكون السعات الحرارية أكبر ، وفصل الجفاف أكثر وضوحاً . ولكن **هناك برازيل شبه قاحلة شاذة تقع على درجات عرض منخفضة** ، بين درجة العرض ١٧ ، أي في الحوض الأعلى لنهر ساؤو فرانسيسكو ، ودرجة العرض ٣ جنوباً عند مدينة فورتاليزا شمال رأس ساءوروك . ذاك هو إقليم « نوردسته Nordeste » أو

الشمال الشرقي الذي يدين لعوامل مناخية معقدة بـأمطـار تقل وسطيـاً عن المتر ، أو تقل عن ٥٠٠ مم أحياناً كما في « مضلّع الجفاف » ، كما تكون عديمة الانتظـام في المكان والزمان . أما **الساحل الأطلنطي** ذو الجروف القائمة فيظل بين سلفادور وسانتوس ، على العكس ، مصحوبـاً بتيـار بحري من ميـاه استوائيـة ، وبـالتـالي **حاراً ورطباً** . غير أن **لمدينة ساءوپاولو ، التي تبعد عن البحر مسـافـة ٥٠ كيلو متراً والتي تقع على ارتفاع ٨٠٠ م ، فصل شتـاء أكثر برودة ، لأن حرارة تموز لا تقل عن ١٤ درجة** ، هذا مثلما تتعرض أحيـانـاً شجيرات القهوة للصقيع . وتظهر **البرازيل شبه المدارية** فيما وراء خط العرض ٢٥ ابتداء من مدينة كوريتيبا ، أو بالأحرى البرازيل المعتدلة مع فصل شتاء جنوبي لا يزال لطيفاً .

☆ ☆ ☆

تتألف البرازيل من ثلاث مجموعات كبرى قليلة التضاريس ، هي سهل الأمازون الشـديـد الاتساع ، و « الهضبة البرازيلية » والتي هي أكثر اتساعاً أيضاً ، وأخيراً حافتها الجبلية المطلة على المحيط الأطلسي ، والتي لا يتجاوز عرض سهولهـا السـاحليـة عن ١٠٠ كيلو متر . إذن تحتل الأراضي المنخفضـة التي يقل ارتفاعهـا عن ٢٠٠ متر مقـدار ٤١٪ من مسـاحـة البلاد ، والهضـاب المنخفضـة ، أي بين ٢٠٠ و ٨٠٠ م أكثر من نصف مساحة البلاد أو ٥٢٪ . وهناك نسبة تزيد عن ٦٪ مؤلفة من هضاب عاليـة تصل إلى ١٢٠٠ م ، أما البقاع الجبلية الحقيقية فلا تشكل أكثر من ١٪ من رقعة البلاد .

تظهر المنحنيات المطرية الحرارية الأنظمة المناخية الأربعة التي تتميز بها البرازيل

- مناخ سهل الأمازون الأوسط ومثاله مدينة ماناؤوس
- مناخ الشمال الشرقي ونموذجه فورتاليزا
- مناخ الساحل الأطلنطي الرطب ومثاله مدينة سالڤادور
- مناخ هضـاب الجنوب الشرقي كما في كورتيبـا حيث تصبح السعـة الحراريـة ملحوظـة . ولكن يظل الشتاء لطيفاً ، وتكون الفروق المطرية محسوسة ايضاً ، فبينمـا يكون متوسـط الأمطـار السنويـة ٢١٠٠ مم في مـانـاؤوس ، يهبـط إلى ٧٦٠ في فـورتـالـيزا ، ويبلـغ ١٨٤٠ مم في سلڤـادور ، و ١٣٨٠ في كوريتبا . بيد أن فصل الجفاف لا يكون قاسياً حقاً إلا في فورتاليزا ، حيث يمتد على ستـة أو ثمـانيـة شهور (شكل ٥) .

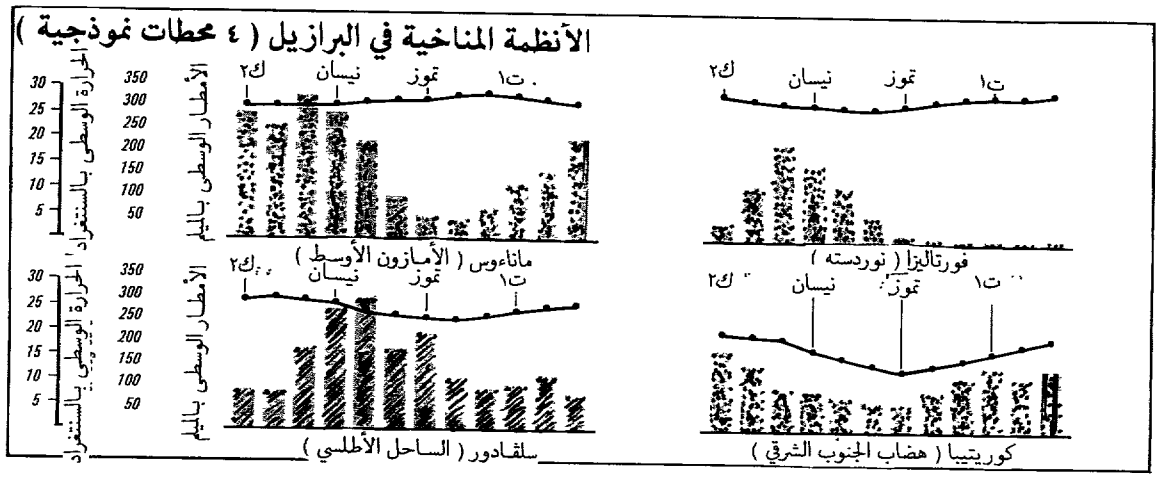
الأنظمة المناخية في البرازيل (٤ محطات نموذجية)
الحرارة الوسطى بالستغراد
الأمطار الوسطى باليم
ك٢
نيسان
تموز
ت١
سلفادور (الساحل الأطلسي)
مناوس (الأمازون الأوسط)
فورتاليزا (نوردسته)
كوريتيبا (هضاب الجنوب الشرقي)

الشكل ٥

البرازيل : المناطق الطبيعية

تتوزع الرقعة البرازيلية بين **ثلاث مجموعات جغرافية كبرى : فالمشرق الأطلنطي** ، هو المنطقة الطبيعية الوحيدة التي تأثرت بعمق بالعمل الإنساني . أما **الداخل فهو بالنسبة للبرازيليين** إقليم الأدغال Sertâo ، أو **الغابة الأمازونية** (شكل ٦). وتؤلف هذه الغابة أكبر كتلة غابية كثيفة في عروض مابين المدارين . وعند النظر إلى **السلڤا** Selva من الطائرة ، فإنها تعطي انطباع الكثافة والاستمرارية ، وهكذا لا يكون « الجحيم الأخضر » مقطّعاً إلا بواسطة الأنهار ، أو ببقع الرمال والوحول ، التي يشكلها **نهر الأمازون** الذي يبلغ طوله ٦٤٠٠ كيلو متراً وروافده ، ويتحول هذا النهر عند مصبه إلى خليج بحري حقيقي يمتد على عرض ٣٠ كيلو متراً . ويسكب في المحيط كمية من المياه العذبة تعادل خمس مياه أنهار العالم قاطبة . وعند دخول النهر إلى بلاد البرازيل يجري على ارتفاع ٦٠ م ، فيكون إذن عبارة عن **نهر سهلي** ، ذي ميل **ضعيف ومنتظم** وذي **صبيب مدعوم مستقر** ، لأن الصبيب في ماناءوس لا يقل عن ٦٠٠٠٠ م٣ / ثا ، ويصلح للملاحة البحرية حتى مدينة ماناءوس . ويغمر الفيض الشتوي نطاقاً واسعاً هي « الڤارزيئا » ، المؤلفة من غابة رواقية منخفضة نوعاً ما ، ولكنها شديدة الكثافة ، ويسود فوق « الأرض الصلبة » أي فوق الفواصل النهرية ، غابة عالية ، وتحتغابة « نبت الحراج » فاتحة . وتساهم **غابة السلڤا الأمازونية** ، التي هي نوع من اسفنجة واسعة ، في **دعم التوازن الهيدرولوجي على الكرة الأرضية** . وعندما تصبح الأمطار أقل غزارة ،

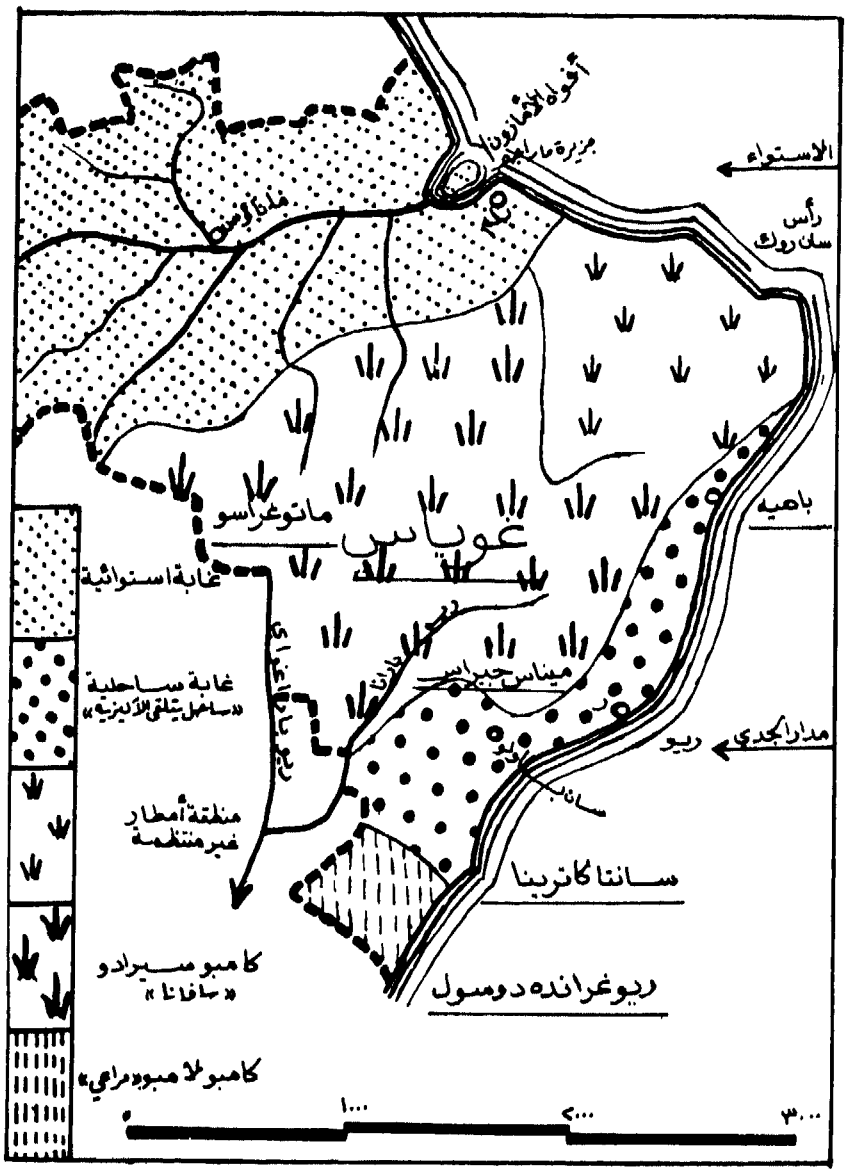

الشكل ٦

نبات البرازيل

يكون الجفاف واضحاً للعيان ، والترب شديدة الفقر ، وتتلاشى الغابة « الدائمة الخضرة » أمام تشكلات نباتية أخرى ، هي **الساڤانا أو المروج** Prairies ، وهي الكامپوس campos مثل كامپو سّرادو campo cerrado في إقليم ماتّوغراسّو ، والذي يتغطّى برداء من النجيليات القاسية وباقات الشجيرات ، أو مثل كامپوليمپو campolimpo في إقليم ريو غرانده دوسول ، والمؤلف من بساط عشبي مستمر ومن مراع ممتازة .

بيد أن قحولة « النوردسته » **تفرض نوعاً من أحراش هي « الكاتينغا »** caatinga وهو تشكل نباتي مفتوح ذو نباتات شوكية وشحمية .

وقد كان قسم كبير من البرازيل مستوراً بغابة كثيفة غير أن المستزرعين لم يتركوا منها سوى الأجزاء التي تشبثت فوق أكثر السفوح وعورة ، أو في القيعان الرطبة . وهكذا تحول السهل الساحلي ، بين رأس ساءوروك حتى خليج سلڤادور ، ذي الأراضي السوداء اخصيبة ، إلى مزارع قصب السكر . ففي منطقة ميناس جيريس Minas Gerais أخذت السلطات من جديد تقوم بتحريج الأراضي بأشجار الأوكاليبتوس ، الأوسترالية الأصل ، ذات النمو السريع ، بعد أن تم اجتثاث الأشجار بشكل جائر لتأمين الوقود لأفران صهر المعادن . وإلى **الجنوب من المدار ، تعرضت غابة صنوبر آروكارياس** ، والخاصة بنصف الكرة الجنوبي ، والشديدة التجانس ، تعرضت بدورها لقطع شديد جعلها غابة مفتوحة حتى ضفاف نهر پارانا .

ولم تحدث عمليات استزراع الأرض في البرازيل فعلاً ، **إلاّ على حساب الغابة** ، وذلك **حيثما كانت** هذه الغابة في **متناول اليد** . وما أن يتم تخريب الغابة المنتجة للدبال humus حتى تتعرض **الترب** ، **التي تكون أحياناً غنية جداً** ، كالأراضي البنفسجية terras roxos في ولاية ساءوپاولو ، والناشئة فوق البازلت ، ولكنها ترب سريعة العطب دوماً ، أقول حتى تتعرض **للغسل**

والافتقار ، ويحل مكانها درع من لاتيريت عقيم يدعى كانغا Canga أو يجرفها الحت تماماً ونهائياً .

وهكذا ندرك كيف أن **البرازيل** ذات الزراعة من النمط المداري ، والتي تكون هدامة وواسعة ، لاتزرع **أكثر من ٥٪ من مساحتها الهائلة** . وهكذا أصبحت تنمية حوض الأمازون الذي ظل مهجوراً لمدة طويلة ومعتبراً كمحتجز réserve خاص بالقبائل الهندية ، قضية الساعة . بيد أن الإعمار الرسمي الذي ابتدأ منذ عام ١٩٦٧ تحت إشراف إدارة الأمازون العليا S. U. D. A. M ، لا يتم دون التسبّب في أخطار اجتماعية ، كإبادة أواخر الهنود من قبائل براڤوس bravos ولا سيما الأخطار الأيكولوجية ، كإبادة الغطاء النباتي وانجراف التربة إلخ ..

☆ ☆ ☆

الغابة الأمازونية : يجتاز نهر الأمازون وروافده ، التي تتجاوز أطوال ٢٠ رافداً منها ١٥٠٠ كم إلى ٣٥٠٠ كم ، تجتاز قسماً كبيراً من الغابة العذراء وهي تغمر مساحات واسعة منها . ويميز السكان بين الأنهار ذات المياه الرائقة rios brancos وبين الأنهار السوداء rios negros ، ذات المياه القاتمة والمشحونة بالدبال . « ويتألف النبات البدائي بالطبع من الغابة الكثيفة أو المحبة للمياه ، أو المحبة للظل ، وتملك جميعها صفات نوعية : دورة نباتية مستمرة ، أوراق دائمة ، كبر حجم الأشجار ، أنواع عديدة وشديدة التبعثر ، طبقات متنضدة ، غنى الغابة بالنباتات الراكبة والمتسلقات ، غياب ماتحت الغابة ، رقة طبقة الأوراق الميتة فوق الأرض لسرعة تفسخها ، ترب عميقة ولكنها فقيرة ، وقد كتب الكثير عن أشكال الخطر في هذا العالم الموحش ، وكما هو الحال في سائر الأمكنة ، فإن الغابة الكثيفة سرعان ما يتم استبدالها ، بعد استئصالها بغابة ثانوية أقل ارتفاعاً ، ومحرومة من تحتغابة كثيفة . بيد أن الغابة الأمازونية تتصف أيضاً بصفات نوعية : فهي أقل ارتفاعاً من الغابة الأفريقية ، غير أنها أكثر اتساعاً بكثير . ولها أنواعها الشجرية الخاصة بها ، ولاسيما الكثير من أنواع النخيل ، مثلما تحوي عالماً حيوانياً أكثر فقراً بكثير من شقيقتها غابة أفريقية .

عن ديمانجو « القارة البرازيلية »

دار SEDES ١٩٧٢

البرازيل : بوتقة عرقية

تمتد رقعة **البرازيل** على نصف قارة أمريكا الجنوبية ، **حيث تحتل مكاناً أصيلاً استناداً إلى ثقافتها البرتغالية** . تلك هي **جمهورية اتحادية** ، اسمها الولايات المتحدة البرازيلية ، وتتألف من اثنتين وعشرين ولاية ، فضلاً عن محافظة العاصمة الجديدة ، برازيليا ، وبعض المناطق الحدودية (شكل ٧) . غير أن أبعاد الولايات تكون غاية في التفاوت ، فتكون صغيرة أكثر في البرازيل القديمة الاستعمارية ، بالموازنة مع ولايات الغرب أو الشمال ، حيث يكون السكان مبعثرين . وتضم ولاية **ميناس جيريس** ، **غوانابارا** ، **ريودوجانيرو** ، **ساءوپاولو** التي تؤلف عشر المساحة العامة ٤٠٪ من البرازيليين .

وعلى خلاف المكسيك أو الأقطار الآندّية ، لا يمكن الكلام هنا عن استيطان سكاني ذي أساس هندي أمريكي ، غير أن البيض ليسوا أيضاً هم الغالبية العظمى كما في الأرجنتين . فقد عمل **التهجين** على اختلاط الدماء ، كما أن انصهار العروق هو ركيزة الأمة البرازيلية (شكل ٨) .

وإذا كانت الإحصائيات الرسمية تعتبر ٦١٪ من البرازيليين في عداد البيض ، وأن ٢٨٪ منهم « رماديون » ، أي هجناء على درجات مختلفة ، فإن البرازيل بالواقع هي « رمادية » أكثر مما تؤكده الإحصائيات . وإذا لم يكن هناك **تمييز حقوقي** ، فإن الزيجات تتم فعلاً بين أناس ذوي بشرة من لون متقارب . ويعكس **التسلسل الاجتماعي نوعاً من تسلسل لوني** : فلون الجلد القاتم جداً يؤلف عقبة حقيقية . غير أن عناصر السكان تختلف في الحقيقة من منطقة لأخرى . ولم يبق في إقليم ماتّوا غراسّو في حوض الآمازون سوى قرابة ٦٠٠٠٠٠

هندي « متوحشون » ومهدّدون بالانقراض بسبب الجائحات والمجاعات أو المجازر . ولكننا نلاحظ في كل **داخل البرازيل** نموذجاً بشرياً شديد الانطباع **بالاختلاطات القديمة بين البرتغاليين والنساء الهنديات** ، أي نموذج « **كابوكلو** » وتعني الفلاح ، وهما عبارتان مرادفتان لكلمة هجين . أما الزنوج الذين جلبوا في القرن السابع عشر إلى المزارع التي يعمل بها الرقيق في

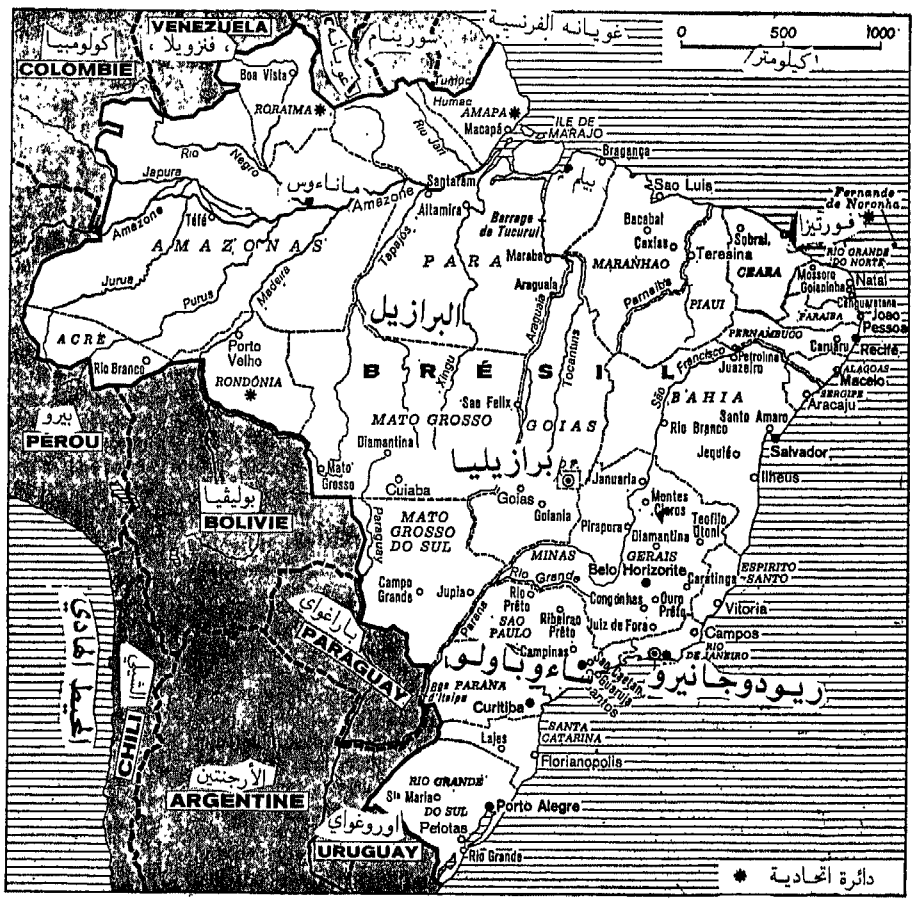

الشكل ٧

تتألف البرازيل التي يبلغ تعداد سكانها ١٢٥ مليون نسمة من إحدى وعشرين ولاية ودائرة اتحادية وأربع مناطق اتحادية

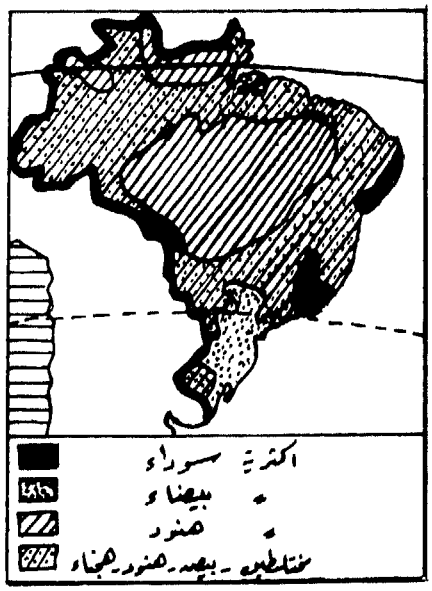

الشكل ٨

عناصر السكان بالبرازيل

النوردسته ، فقد أصبحوا كثيرين بين مدينتي رسيف وسلفادور على الساحل ، وكذلك في ريودوجانيرو ، وفي إقليم ميناس جيريس ، حيث انتشروا قبل إلغاء نظام الرق في عام ١٨٨٨ . ولا تزيد **نسبتهم في الأمة البرازيلية عن العشر** ، ولكن هناك عدداً أكبر من الخلاسيين mulâtres وبعد أن كانت الهجرة الأوروبية إلى البرازيل برتغالية حصراً ، أخذت في التنوع خلال القرن التاسع عشر ، وقدمت على شكل عدة موجات كانت آخرها أكبرها حجماً لأن الرقم القياسي لأعداد المهاجرين كان في عام ١٨٩١ .

وقد كان المهاجرون من حوض البحر الأبيض المتوسط هم الأكثرية دوماً . فقد جاء الطليان ليعملوا في مزارع fazendas القهوة في منطقة ساءوپاولو حتى أنهم شكلوا الأكثرية بين المهاجرين في وقت من الأوقات ، بيد أن التيار البرتغالي ، الأكثر استمراراً ، هو الذي حفظ وحدة البلاد الثقافية . هذا كما ساهمت أوروبا الوسطى والشرقية بنصيبها ، فتشكلت جاليات حقيقية في

الجنوب ، فهناك حوالي ٢٥٠٠٠٠ ألماني ، ومثلهم من البولونيين تقريباً . أما المشارقة ولاسيا التجار اللبنانيين ، الذين انتشروا في حوض الأمازون ، أو في إقليم ساءوپاولوا فقد جاؤوا متأخرين ، مثل اليابانيين ، الذين استقبلوا بترحاب في البرازيل ابتداءً من عام ١٩٠٨ وشكلوا أقلية كبيرة تتألف من ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، ويعملون في زراعة الخضار والرز أو كحرفيين ، وهي أقلية نشيطة ومحترمة ، تسير في اتجاه التمثل . وقد **دخل البلاد حوالي ٥,٢ ملايين مهاجر بين عام ١٨٢٢ و ١٩٦٢ ، واستقروا غالباً في البرازيل** . أما تيار الهجرة حالياً فهو ضعيف جداً لا يتعدى ٦٠٠٠ نسمة في العام . ولقد تبنّت البرازيل منذ عام ١٩٣٤ سياسة اصطفاء ، فقد حدد الدستور نسبة ٢٪ لعدد المقبولين بين ١٩٢٦ و ١٩٤٢ ، باعتبارها حصة « كوتا » سنوية لكل قومية ، مع استثناء البرتغاليين لوحدهم . **ولذا لا يعود النمو الديموغرافي إلاّ لفائض المواليد .**

☆ ☆ ☆

لقد تشكلت البرازيل ابتداءً من عدة جبهات استيطانية : ففي القرن السابع عشر كان مزارعون برتغاليون يقومون بزراعة الزاوية الشمالية الشرقية من البلاد ؛ وهي المنطقة الأولى التي هبط فيها أوائل المهاجرين ، فزرعوا قصب السكر اعتماداً على أيد عاملة من الرقيق ، الذي جيء به من أفريقية . وفي القرن الثامن عشر حصلت الهجمة على المنطقة التعدينية (ميناس جيريس) ، الغنية بالذهب وبالأحجار الثمينة . أما الهنود القليلو العدد ، والذين لا زالوا في مرحلة القطف وصيد الأسماك ، فقد كانوا يبادون بشنّ غارات منظمة عليهم . وكانت المزارع الواسعة « ڤازنداس » الرعوية تقدم اللحوم المجففة وحيوانات النقل للمناجم وللمزارع ، وبعد عام ١٨٢٠ وعلى الخصوص بعد ١٨٨٨ ، أي على إثر إلغاء الرق ، قام معمرون أوروبيون باستغلال السواحل ، الواقعة بين ريو دوجانيرو وپورتو آليغرو والهضاب حتى پارانا ، بمزروعات مدارية كالقهوة أو بمحاصيل المناطق المعتدلة . وانتقل مركز ثقل البرازيل نحو الجنوب . وفي الوقت ذاته وصل إلى حوض الأمازون الباحثون عن المطاط . **وهكذا انتهى الأمر بجبهات الاستيطان في البرازيل الأطلنطية إلى التلاقي** على شكل شريط لا يزال مأهولاً بصورة متفاوتة ، بين سيارا ceara وريوغرانده دوسول على عرض ٦٠٠ كم . ولكن تظل بقية البرازيل دائماً شبه خالية . **وعند تماس البرازيلتين** قامت **برازيليا** ، العاصمة الجديدة ، لترمز إلى السياسة الحالية الرامية إلى فتح كل الرقعة البرازيلية .

استيطان الرقعة البرازيلية

لم تكن البرازيل تضم من السكان أكثر من ٤ ملايين نسمة في عام ١٨٠٠ ، وقارب عددهم ١٠ ملايين في إحصاء ١٨٧٢ ، كي يبلغ ١٧,٥ مليون نسمة في ١٩٠٠ . **وقد وصل عدد البرازيليين إلى ١٢٢ مليوناً في عام ١٩٨٠ ويزدادون بمعدل ٣ ملايين في كل سنة ، أي أن نسبة الفائض السنوي تبلغ ٢,٨٪** ، أي أن عددهم في نهاية ١٩٨٢ سيبلغ ١٢٨ مليوناً . وتتجلى هذه الحيوية الديموغرافية في هرم الأعمار : لأن **٤١٪ من السكان تقل أعمارهم عن ١٥ سنة** ، في حين لا تتجاوز نسبة الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ٣٪ .

وتبدو **نسبة الوفيات البالغة ٨ بالألف** منخفضة نوعاً ما . **ولكن أمل الحياة عند الولادة يتراوح بين ٤٤ سنة في إقليم الشمال الشرقي ، النوردسته ، وبين ٥٨ سنة في منطقة ساءوپاولو** . ويموت مولود واحد من عشرة قبل بلوغ العام ، أي أن نسبة الوفيات تصل إلى ١٠٠ بالألف مقابل ١٢٥ في الجزائر . أما في حوض الأمازون وفي الشمال الشرقي فتكون الأوضاع الصحية في حالة يرثى لها . ويشكو ثلث السكان من هزال ناجم عن الطفيليات المعوية ، مثلما تنهك البرداء (الملاريا) عشر السكان ، ويتسبّب سوء التغذية على الخصوص في ٤٠٪ من الوفيات ، أما نسبة الولادات البالغة ٣٦ بالألف ، أو خمسة أطفال في كل أسرة ، فلا **تنخفض مطلقاً** ، اللهم إلا في الأوساط الموسرة في المدن ، وتصطدم فكرة تحديد النسل بحكومة تهتم بإعمار الداخل بالسكان ، واكليروس كاثوليكي شديد النفوذ ، هذا فضلاً عن الرأي العام في قطر ضعيف الكثافة ، والتي لا تزيد حالياً عن ١٣,٥ نسمة في الكيلو متر المربع (شكل ٩) .

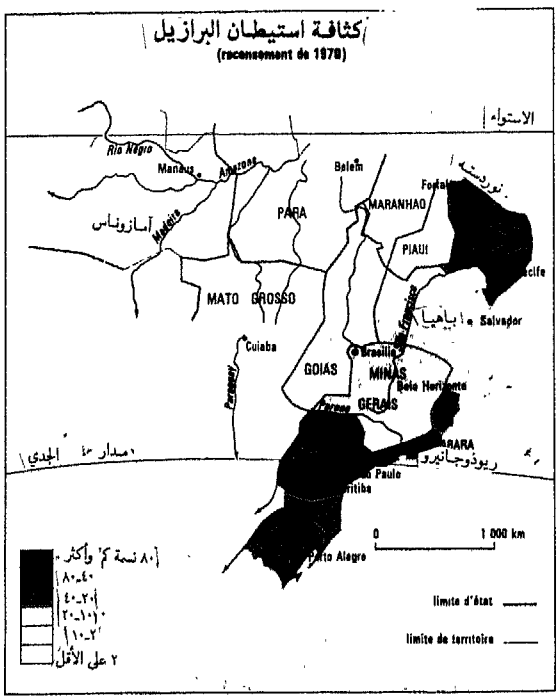

الشكل ٩

وإذا كانت البرازيل تبدو ناقصة الاستيطان ، لأن بعض المناطق تكون خاوية تماماً ، فإن بعضها تكون مرهقة بثقل سكانها ، إذ يعيش ٩٠٪ من البرازيليين فوق ٣٦٪ من المساحة ، وحتّى الآن كان يجري الاستيطان في الغرب وفي حوض الأمازون على شكل هجمات فوضوية ووقتية . وكان تأسيس العاصمة « برازيليا » في عام ١٩٥٨ ، على مسافة ١٠٠٠ كم من الساحل ، كان عبارة عن استباق لزحزحة مركز الثقل الديموغرافي عن موضعه السابق . أما توجيه هجرة أهل الشمال الشرقي Nordeste الريفية نحو النطاقات الرائدة في حوض الأمازون ، فلن تحل مشكلة ملكية الأراضي الزراعية في الشمال الشرقي . وهكذا لا يتعرقل استغلال البرازيل لنقص في عدد الرجال بل لافتقارها لرؤوس الأموال . وتفترض عملية استزراع أراضٍ جديدة أمام الاستيطان توفر استثمارات ضخمة . **وهكذا لا تعمل الهجرات الداخلية أكثر**

من تصريف بعض سكان مناطق فقيرة مكتظة بالسكان نحو ولايات كثيفة السكان ولكنها أكثر غنى مثل ساءوپاولو ونحو المدن العملاقة .

وتضم البلديات الحضرية ٤٥٪ من سكان البرازيل . فهناك عشر مدن ، يتجاوز سكان كل منها ٥٠٠٠٠٠ نسمة . ويكون مركز كل منها في حالة تحول مستديم ، كما تعمل ناطحات السحاب الفخمة على طمس معالم البقايا النادرة من عصر البرازيل المستعمَرة ، هذا في حين تتكدس على الأطراف ، وفوق الوهاد المعرضة للفيضانات ، وعلى أكثر السفوح وعورة ، أكداس من أكواخ متداعية تتكون من صفائح خشب وصفيح تؤلف **أحياء القصدير ، أو أحياء فاڤيلاس في ريودوجانيرو** . أما مدينة بيلم أو (پارا Para) ، الواقعة على عتبة حوض الأمازون ، وسلفادور (باهيا) التي تضم ١,٥ مليون نسمة وحتى رسيف التي يبلغ تعداد سكانها ٢,٣ مليون ، فهي مدن فقيرة بالصناعة ، وعلى خلاف مدينة **بيلوهورنيزنته** (٢ مليون) عاصمة إقليم ميناس جيريس أو **پورتو آليغره** (١,٩ مليون) ، أو ريوغراندوسول ، أما **ثروة ساءوپاولو فقد نتجت عن القهوة** . وبعد أن كانت هذه المدينة لا تحوي سوى ٢٥٠٠٠ نسمة في ١٨٧٢ ، ارتفع عدد سكانها بعد قرن واحد إلى ١١ مليون نسمة ، بعد أن ضمت إليها ميناء سانتوس والتي لا تزال ، بمصارفها التي تبلغ ٧٠٠ ، وبمؤسساتها الصناعية التي تصل إلى ٤٠٠٠٠ عدداً ، **عاصمة البرازيل الاقتصادية** ، بعد أن تخلت **ريودوجانيرو** في عام ١٩٦٠ عن وظيفتها كعاصمة اتحادية لمدينة برازيليا ، ولكنها احتفظت بهيبتها وزادت من دورها الصناعي . وعلى خلاف مدينة ساءوپاولو ، التي تتوسع بكل راحة فوق هضبتها ، فإن لمدينة ريودوجانيرو **طبغرافية عسيرة** مما قسر السلطات العمرانية فيها على حفر أنفاق ، أو على اجتثاث تلال برمتها ، ولاكتساب أراضٍ مردومة على حساب مياه الخليج . ويبلغ عدد سكان هذه المدينة حالياً ٨,٥ ملايين نسمة .

النمو الديموغرافي لسكان البرازيل

السنة	عدد السكان بالملايين
١٩٢٠	٣٠,٦
١٩٣٠	٣٥
١٩٤٠	٤١,٢
١٩٥٠	٥١,٩
١٩٦٠	٧٠,١
١٩٧٠	٩٣,١
١٩٧٩	١١٥
١٩٨٢	١٢٤

وهكذا يتضاعف عدد سكان البرازيل في ربع قرن . وسيصل عددهم إلى ٢٠٥ ملايين في نهاية القرن .

إن للبرازيل الأطلنطية لوحدها استيطاناً كثيفاً نوعاً ما : فلا يزال « خزان » الشمال الشرقي مفصولاً عن المناطق الكثيفة الاستيطان في جنوب ميناس جيريس ، ومنطقة ريو بانقطاع حقيقي يمتد على ٥٠٠ كم . أما في الداخل فنجد نويات صغيرة ، تتبعثر على طول محاور المواصلات . وتجنح مدينتا ساءو پاولو وريودوجانيرو ، اللتان تبعدان عن بعضهما بمسافة ٤٠٠ كيلو متر بوادي پاريبا Paraiba لتكوين النطاق العمراني ، أو ميغاپوليس البرازيل المسماة پازانغوا (المؤلفة من حروف من كلمات ساءو پاولو ، سانتوس : ميناء ساءو پاولو وغوانابارا (وهم اسم خليج ريودوجانيرو) .

مناطق البرازيل : المساحة ، السكان ، الثروة

	المساحة	السكان٪ (١٩٧٠)	الدخل	حصيلة الهجرة السنوية (١٩٦٠-٧٠)بآلاف السكان
الشمال (حوض الأمازون)	٤٢	٤	٢	+ ١٠,٣
الوسط الغربي (باتّوغراسوبرازيليا)	٢٢	٥,٥	٣,٥	+ ١٣٦,٤
الشمال الشرقي (نوردسته)	١٨	٣٠	١٤	- ٣٤٦,٨
الجنوب الشرقي (ميناس ريودوجانيرو	١١	٤٢,٥	٦٣	+ ٦٣,٦
الجنوب (پارانا، ريوغرانده دوسول)	٧	١٨	١٧,٥	+ ١٣٦,٥

البرازيل : الاقتصاد والمجتمع

لقد شهدت البرازيل بالتعاقب **دورات « خشب البرازيل »** وهو خشب صباغي فرض اسمه على البلاد ، **ودورة السكر** ، **ودورة الذهب** ، **ودورة المطاط** ، **ودورة القهوة** ، واليوم عصر الصويا ، وقد بدّدت شطراً من مواردها الطبيعية في هذه المحاصيل التجارية . **ومع ذلك لا تزال امكانياتها كبيرة** عندما تتخلص من « لعنة المسافة » . وقد عمل اندفاع البرازيل نحو التصنيع القوي إلى اجتذاب الرساميل الأجنبية . وتكون **نسبة التنمية الاقتصادية** ، العالية عموماً ، غير منتظمة إذ كانت ١٤٪ سنوياً في ١٩٧٣ ، مقابل ٥٪ في ١٩٧٨ . ففي العالم الثالث حيث تتقابل الأمم الثرية ، بفعل النفط ، مع الأمم الكادحة ، تبدو البرازيل ، مع ناتج قومي خام يعادل ٤٠٪ من ناتج فرنسا ، كأمة **عائمة تسعى لإنجاح عملية « الإقلاع » الاقتصادي** . وقد بلغ الناتج القومي الخام الفردي ١٧٠٠ دولار للفرد عام ١٩٧٨ ، مقابل ٥٠٠ في ١٩٧١ و ١٨٠ دولاراً في سنة ١٩٦١ . بيد أن **الفوارق الاجتماعية تكون ضخمة** ، أي بين ثروة المتميزين ، إذ يستحوذ ٥٪ من البرازيليين على ٢٧٪ من الدخل القومي ، وبين الفقر المأساوي لدى الجماهير ، ففي هذه البلاد ٤٠ مليون من الأميين والجياع ، وهم ضحايا التضخم الذي يبلغ ٤٠٪ سنوياً . وتهبط قيمة الكروزيرو وسطياً ١٥٪ في العام ، بالموازنة مع الدولار ، هذا فضلاً عن تخفيض قيمته رسمياً مرات متكررة .

غير أن **سياسة** البرازيل **الاقتصادية** لا تتقدم دون تناقضات . ففي عهد رئاسة ڤارغاس Vargas وخلفائه قبل ١٩٦٤ ، كانت السياسة المذكورة ذات **طابع وطني** ؛ لأنها كانت ترفض منح امتيازات تعدينية للشركات الأجنبية ،

وأنشأت شركة وطنيـة للبترول Petrobas وللصناعـة الحديـدية C.S.N ، وشراء شركات الكهرباء والمواصلات الخاصة . غير أن الإفراط في المعونات كدعم سوق القهوة ، أو المشاريع التبذيرية ، كإقامة العاصمة برازيليا ، أدت إلى استدانة الدولة وإلى تقليص الاستثمارات المفيدة . ولكن **قام النظام العسكري فيما بعد ليفتح البلاد أمام رؤوس الأموال الأجنبية** ، غير أن الاقتصاد البرازيلي الذي لا يزال دوماً سريع العطب ، هشّاً ، يتمتع ، بالحقيقة ، بالإحاطة وبالحماية (لوجود الحواجز الجمركية ولتقنين الاستيرادات) .

ويكون الميزان التجاري على العموم خاسراً ، لأن أسعار المنتجات الزراعية والمواد الأولية ، التي تؤلف معظم مبيعات البلاد ، تصعد بصورة تقل انتظاماً عن أسعار سلع التجهيز ، ولا سيما النفط التي عليها أن تستورده . **وتحاول البرازيل أن تنوع صادراتها:** ففي عام ١٩٧٧ لم تمثل القهوة رغم سعرها المرتفع جداً ، أكثر من ٢٢٪ مقابل ٥٦٪ من قيمة صادراتها في عام ١٩٦٠ .

غير أن هناك ثلاث مجموعات من المنتجات وهي : **القهوة** ، خضراء أو ذوّابة ، **والصويا** من زيت أو كسبة ، **والفلزات ، لا تزال تمثل ٤٥٪ من قيمة مبيعات البرازيل الخارجية** . وأصبح **العملاء التجاريون** أكثر عدداً أيضاً . ففي ١٩٥٩ كان ٤٢٪ من الصادرات و ٣٤٪ من الاستيرادات تتعلق بالولايات المتحدة . أما في ١٩٧٦ فقد هبطت هاتان النسبتان المئويتان بالتعاقب إلى ٢٥٪ و ٣٢٪ لفائدة المبادلات مع أوروبا الغربية ، وعلى الخصوص مع ألمانيا الاتحادية وإيطاليا ، ومع اليابان ، والأرجنتين ، ومع فنزويلا وإيران اللتين تقدمان البترول ، الذي أصبح يؤلف ٣٤٪ من قيمة مشتريات البرازيل في ١٩٧٨ . **وإذا كان الميزان التجاري يجنح نحو التوازن ، فإن ميزان المدفوعات يكون دائماً عاجزاً** ، لأن **فوائد الدين الخارجي** ، البالغ ٥٠ مليار دولار في ١٩٧٩ ، يمتص **ما يعادل مبيعات القهوة .**

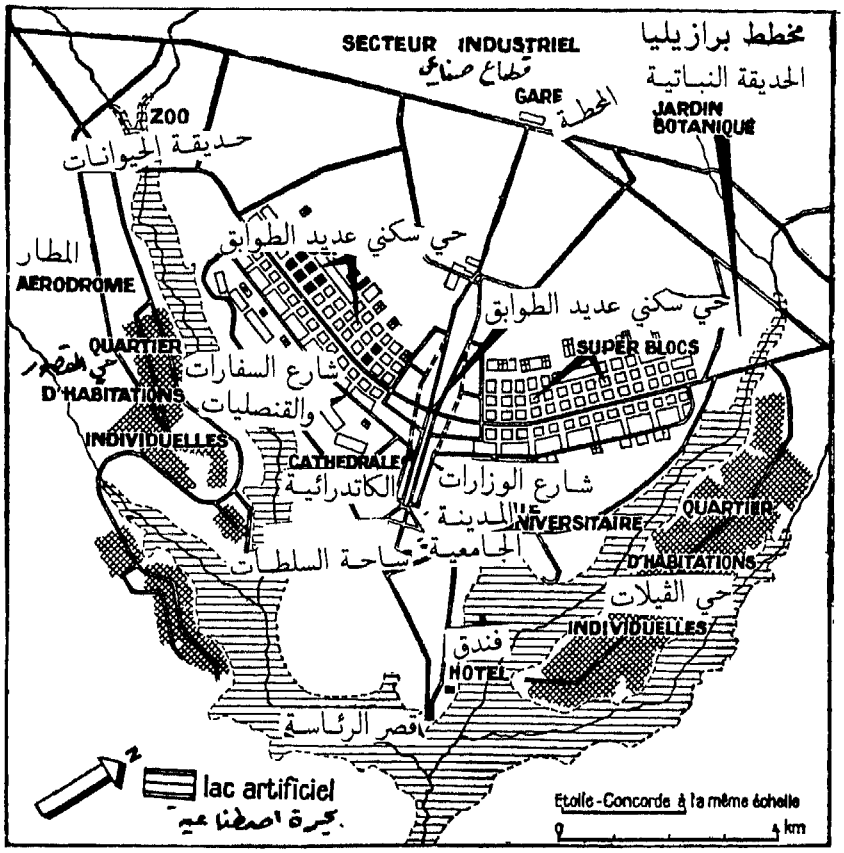

الشكل ١٠

برازيليا :

لقد تم بناؤها في خلال ثلاثة أعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ ، فوق هضبة غوياس Goias ذات التربة الحمراء ، وأصبحت تضم ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، ومعظمهم يسكنون أحياء سكنية رديئة التجهيز . ويرسم المخطط الرائد على حافة بحيرة اصطناعية قوساً سكنياً معقوفاً ، مقطوعاً بمحور وظيفي ، يقود من المحطة إلى قصر الرئاسة . وتكون العمارات الرسمية التي أشرف عليها المهندس العمراني (نيماير) غاية في العصرنة ، كقصر التشريع الذي يضم مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وكان الرئيس السابق (كوبيتشك) يتصور أن إقامة الدوائر الاتحادية في هذه « الصحراء » ، بعيداً عن تأثير مدينة ريودوجانيرو المرهق سيساهم في منح الولايات المتحدة البرازيلية بنية جديدة .

الفوارق الإقليمية وتنظيم استغلال الرقعة

يقف خلف الفوارق الإقليمية الكبرى في البرازيل تنوع البيئات الطبيعية ، شأن التقلبات التاريخية في مراحل الاستغلال . فقد يختلف الدخل الفردي بين ولاية وأخرى من ١ إلى ٧ . ويبلغ **التباين أقصاه بين الجنوب الأكثر تقدماً وتنمية** ، مثل ولاية ساءوپاولو التي تسمي نفسها « قاطرة قطار البرازيل » ، وبين **الشمال الشرقي** (الشكلين ١١ ، ١٢) ، ذي **المستوى المعاشي الآسيوي** ، حيث لا يزيد الدخل الفردي المتوسط لدى عشرين مليوناً من الريفيين عن ١٨٠ دولاراً . ولكن الفوارق في داخل الولايات المزدهرة هي السائدة أيضاً فيكون لسكان مدينة ساءوپاولو دخل متوسط يعادل ضعف الدخل الفردي الوطني أو ٣٤٠٠ دولار ، أي يعادل دخل الفرد في بريطانيا . غير أن نصف العمال يتقاضون فيها أجراً أدنى لا يزيد عن ٥٠٠ ليرة سورية في الشهر أو ١٠٠ دولار ، وهو مبلغ زهيد للغاية تجاه نفقات المعيشة ، التي تعادل أسعارها مستوى فرنسا ، كما أن نصف العائلات يشكو من رداءة السكن ومن نقص التغذية ، مثلما ارتفعت نسبة وفيات الأطفال بنسبة ٤٥٪ خلال عشرين عاماً ، وكثيراً ما يكون هؤلاء الكادحون السانباوليون ، عبارة عن وافدين من الشمال الشرقي ، حيث يكون بؤسهم هناك أكثر عمقاً .

هذا وينال « النوردستي » جراية غذائية مقدارها ١٧٠٠ سعرة « حريرة » يومياً ، مع أن المتوسط الوطني للبلاد هو ٢٥٠٠ سعرة . وإذا كان سكان سرتاءو Sertao وهو الحوض الأوسط لنهر ساءو فرانسيسكو ، خلف مدينتي رسيف وسلڤادور، يشكون من قلة الماء ، فإن سكان الساحل يشكون من قلة الأرض . وتبدو **مشكلة ملكية الأرض جادة** . فكل سياسة ترمي لتنظيم رقعة

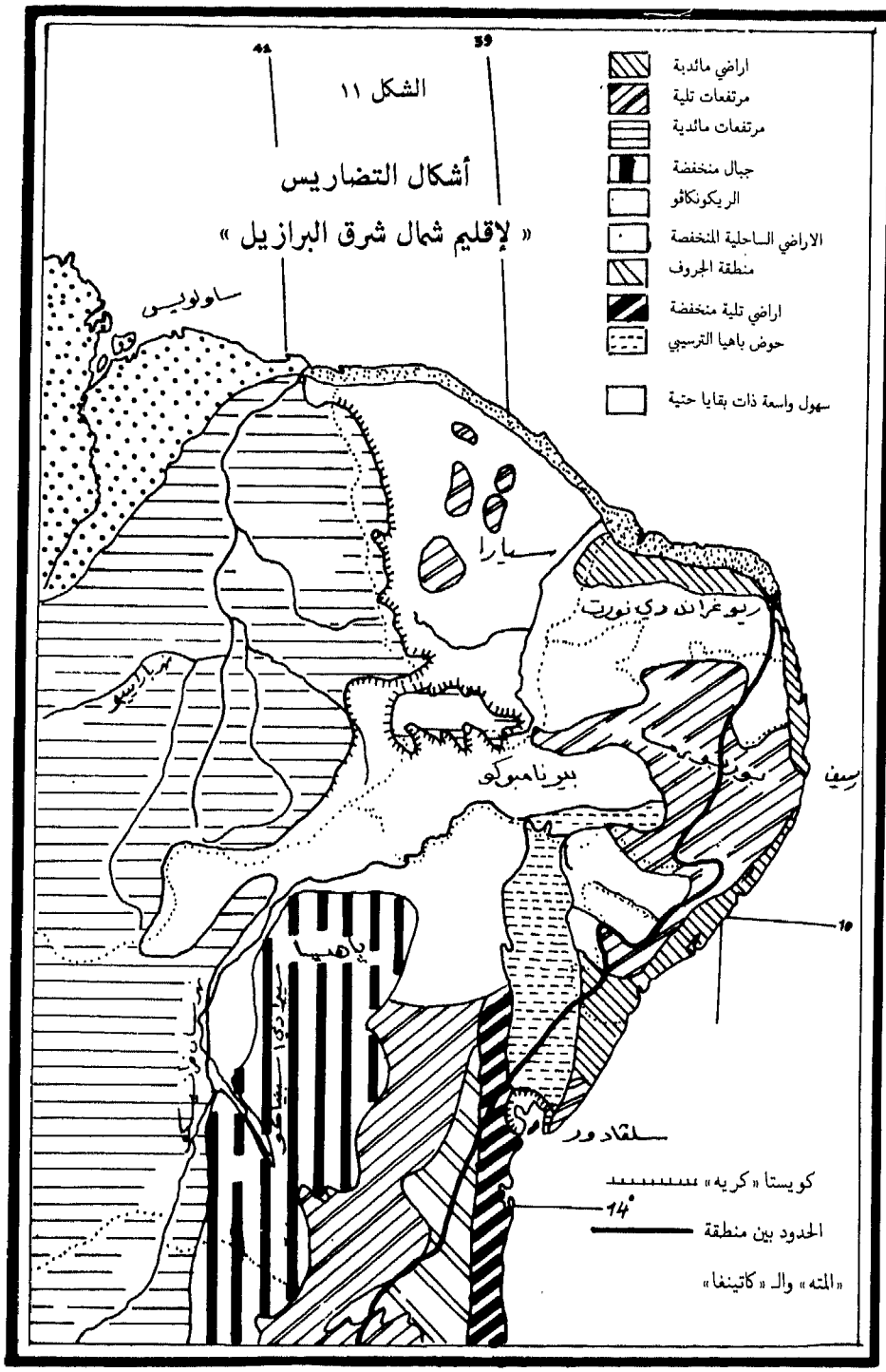
الشكل ١١
أشكال التضاريس
« لإقليم شمال شرق البرازيل »
48
39
اراضي مائدية
مرتفعات تلية
مرتفعات مائدية
جبال منخفضة
الريكونكاڤو
الاراضي الساحلية المنخفضة
منطقة الجروف
اراضي تلية منخفضة
حوض باهيا الترسيبي
سهول واسعة ذات بقايا حتية
ساولويس
سيارا
ريو غراندي دي نورت
بيرنامبوكو
باهيا
سلڤادور
10
14°
كويستا « كريه »
الحدود بين منطقة
« المته » والـ « كاتينغا »

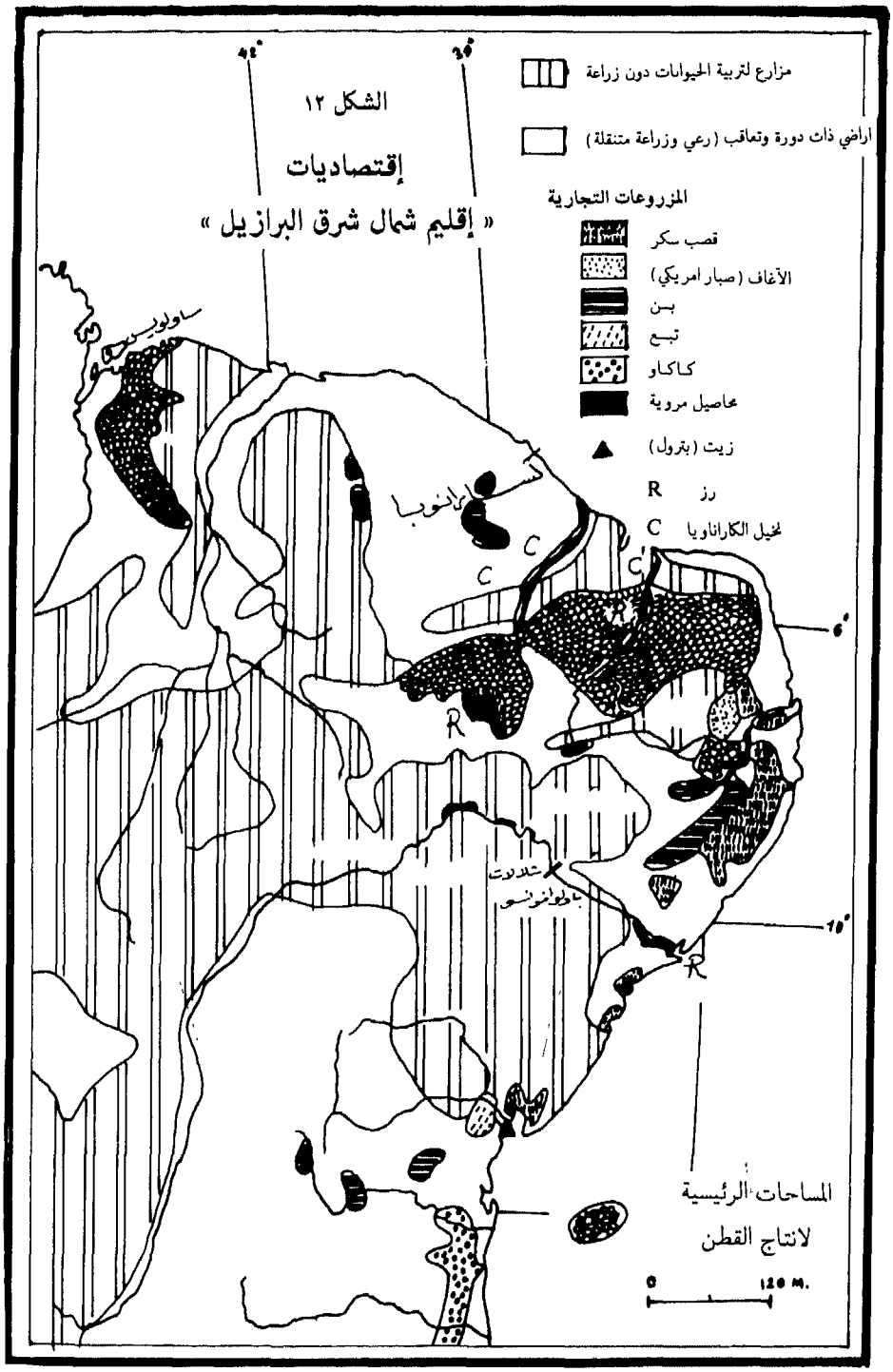
الشكل ١٢
إقتصاديات
« إقليم شمال شرق البرازيل »
مزارع لتربية الحيوانات دون زراعة
اراضي ذات دورة وتعاقب (رعي وزراعة متنقلة)
المزروعات التجارية
قصب سكر
الأغاف (صبار امريكي)
بـن
تبـغ
كـاكـاو
محاصيل مروية
زيت (بترول)
رز R
لخيل الكاراناويا C
المساحات الرئيسية
لانتاج القطن
0
120 M.

البلاد تصطدم بمصالح كبار ملاكي الأراضي، الذين يملكون نصف مساحة أراضي البرازيل المفيدة، وكذلك بجشع الأوساط المالية، وبالفساد، أي الرشوة . وتفيد **مشاريع التجهيز أرباب الملكيات الكبرى** Fazendeiros ، **وهم سادة الأرض وسادة السياسة** . وليس لدى مؤسسة التخطيط الإقليمي S.U.D.E.N.E ، أو الإدارة العليا لتنمية الشمال الشرقي ، التي أنشئت في عام ١٩٥٩ ، وذلك بعد تمرد « الرابطات الفلاّحية » ، وبعد جفاف عام ١٩٥٨ ، أي برنامج لإعادة النظر في توزيع الأراضي الزراعية ، كما لا توجد أية فكرة مماثلة ، لدى لجنة نهر ساؤفرانسيسكو المكلفة بتنظيم النهر المذكور ، ببناء السدود واستغلال الطاقة . أما مياه الآبار التي تم حفرها ، فتستخدم لسقاية قطعان كبار ملاّكي قطعان الماشية أكثر من ري حقول الفلاحين الهجناء ، أو الكابوكلو Caboclos . أما **الملكيات الصغرى التي لا تزيد مساحة الواحدة منها عن ١٠ هكتارات في الشمال الشرقي ، فتمتد على ٥٪ من الأراضي** ، هذا في الوقت الذي يستمر فيه ، فوق الملكيات الكبرى ، نوع من استرقاق مقنع بالنسبة لمستأجري الأراضي . وهكذا **اضطر ٣,٥ ملايين من النوردستيين للهجرة في مدة عشرين عاماً** رغم بداية التصنيع ، إذ أمكن إيجاد ١٣٠٠٠٠ فرصة عمل في الصناعة لاسيما في ميناء رسيف .

ويبدو **حوض الأمازون** بالنسبة للشمال الشرقي المهدد دوماً بالجفاف وبالمجاعة ، **كمصرف طبيعي** . فعندما كان لهذا الحوض الاحتكار العالمي للمطاط كان المستنزفون Seringueiros ، الذين كانوا يقومون بفصد أشجار الهيڤيا الوحشية يأتون من الشمال الشرقي . غير أن كل المحاولات لإنشاء مزارع مطاط حديثة ، مثل مؤسسة فورد لانديا على نهر ريو تاباجوز ، باءت بالفشل في موطن الهيڤيا الأصلية ، وهذا مثار الاستغراب .

وقد قامت مؤسسة سودام S.U.D.A.M أو « المؤسسة العليا لتطوير حوض

الأمازون » ، عن طريق فتح الطرق من خلال الغابة العذراء ، **بفتح غابة السلفا أمام المستزرعين** . ونظراً لعجز « البرنامج القومي للإدماج » بحلّ مشكلة الأراضي الزراعية محلياً في منطقة « النوردسته » ، فهو يرمي **منذ عام ١٩٧٠ إلى توجيه هجرة الفلاحين بلا أرض نحو هذه المناطق الرائدة** . غير أن الكثير من هؤلاء لا يستطيعون ، رغم القانون ، أن يحصلوا على صكوك التمليك ويتم طردهم بفظاظة من قبل وكلاء الملاّكين المتغيّبين ، أو من وكلاء الشركات التي حصلت على امتيازات واسعة للغاية .

☆ ☆ ☆

الجفاف في « النوردسته » الشمال الشرقي

تتصلّب الأرض وتتشقّق على شكل شقوق عميقة في « مضلّع الجفاف » ذي النبات الضامر وذلك عندما لا تتخّض رياح الأليزة « الرياح التجارية الجنوبية » عن الأمطار المنتظرة ، كما حدث في ١٩٥٨ ، وفي ١٩٧٠ .

وعندها يضطر السكان للنزوح نحو الساحل بحثاً عن الماء (صورة رقم ١) . وهكذا يكون إقليم « سيرتاءو » مناسباً لتربية الماشية الواسعة ، وتتغذى الماشية ، ولا سيا الأبقار ، وكذلك الأغنام والماعز ، بالقش أو أوراق النبات ، خلال الفصل الجاف التي نمت في إقليم الكاتينغا Caatinga غرب رسيف وجنوب بيلم خلال الفصل الرطيب ، والتي يشرف عليها القليل من الرعاة الفرسان أو ڤاكيروس vaqueiros .

ومن المعتقد أن كل رأس من الأبقار يحتاج إلى ٥ هكتارات كي يحصل على غذائه . ولكن هناك أيضاً مزروعات ، وهي بالطبع عبارة عن زراعة فوق حريق ، ودون أية دورة زراعية أو تسميد ، تقوم على زراعة القطن والذرة الصفراء والفاصولياء . ولا تمكن ممارسة هذه المزروعات البعلية في حالة الجفاف . وتسيطر هنا الملكية الكبرى ، أو « الڤازنداس » التي تمتد على أكثر من ١٠٠٠ هكتار ، والتي تحتل ما بين ٢٥٪ و ٥٠٪ على إقليم السرتاءو ، وعلى الخصوص في جنوب عكس نهر ساءو فرانسيسكو ، حيث تصل النسبة حتى ٧٥٪ ، ولكن من الحق القول أن مفهوم المساحة يجب أن نقرنه بمفهوم النوعية . ويتم استغلال الأرض عموماً بشكل مؤاجرة أو مشاركة . ومن الطبيعي أن تكون كثافة السكان ضعيفة ، فهي تتراوح بين ٤ إلى ٢٥ نسمة في الكيلو متر مربع . ومع ذلك تعتبر كثافة عالية جداً أيضاً .

عن دومانجو « القارة البرازيلية »
سيوس ١٩٧٢

« وعندئذ تدمي الماشية أشداقها بحثاً في أشواك تين الصبّار ، عمّا يمكن أن يروي ظمأها ، وهي تجر أقدامها نحو الآبار التي نضب معينها ، وأصبح ماؤها غوراً منذ زمن بعيد . . . وأخيراً تظل السماء ثابتة ممعنة في زرقة قاتمة ، تلك هي الهجرة . . . وعندئذ يقصد الناس الساحل ، يائسين ، وهم يترنّحون ويتمايلون ، بحثاً عن الماء »

ب . روندبير

☆ ☆ ☆

رسيف عاصمة النوردسته

توحي أحياء رسيف القديمة ، بكنائسها الباروكية ، وببيوتها المبرقشة ، والبديعة والمزدحمة ، توحي برخاء فترة السكر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . غير أن نصف السكان يعيشون في الضواحي المحيطة بها ضمن أحياء الموكامبوس mocambos ، وهي أحياء قصدير ، قذرة ، وأحياناً تكون في وسط المستنقعات ، حيث يعيش البؤساء منهم اعتماداً على السرطانات ، التي تتغذى بدورها من برازهم . وهنا تبلغ نسبة المساكن ذات المياه الجارية ٥٥٪ ولكن مع ضغط غير كافٍ ، بينما لا تزيد نسبة المساكن التي تتصل بالمجاري العامة ١٥٪ . وهنا تضرب نسبة وفيات الأطفال الرقم القياسي العالمي ، لأن ٢٣٠ رضيعاً بين كل ١٠٠٠ لا يحتفلون بعيد ميلادهم الأول.

صورة (١)

البرازيل : مشكلتا المواصلات والطاقة

تعتبر وسائل النقل غير الكافية أو غير المتوائمة ، عائقاً أمام استغلال البرازيل . ففي البلاد ٣٨٠٠٠ كم من الخطوط الحديدية ، ذات الامتداد العشوائي ، مع أجهزة عتيقة ، ولكن الجنوب الشرقي هو الجزء الوحيد المجهز بشبكة حقيقية ، ممدّدة لخدمة نطاق القهوة ، أما الاتصال مع النوردسته ، من بيلو هوريزونته إلى سلفادور ، فهو حديث ، كما تقع العاصمة برازيليا في رأس الخط . ولم تقم البرازيل ببناء أكثر من قطاعات من خطوط حديدية عابرة للقارة ، يصل قطاع منها حتى نهر پاراغواي عند كورومبا Corumba . **أما في الداخل فتظل الأنهار هي الشريانات التي لا غنى عنها للنفوذ لداخل البلاد** . ولكن شدة تبدل صبيبها ، وكثرة الجنادل في مجراها ، لا تسمح بأكثر من ملاحة نهرية فصلية ، فوق بعض القطاعات الواقعة بين جندل وآخر . أما نهر **الآمازون** فهو صالح للملاحة على الدوام حتى ماناوس ، وحتى مدينة ايكيتوس Iquitos في البيرو بواسطة سفن بخارية ذات دواليب جانبية ، وتعتمد على الخشب كوقود ، وتنقل المواشي والركاب والبضائع . وتحقق **المساحلة البحرية ١٠٪ من النقليات الداخلية** .

هذا وتملك البرازيل العديد من **الموانئ** ، ولكنها رديئة التجهيز ، ولا تعتمد على أكثر من ظهير محدود ، باستثناء بيلم بالنسبة لحوض الأمازون . أما الأسطول الذي تصل حمولته إلى ٣ ملايين طنة من الحمولة الخام فهو غير كاف . **وتمر التجارة الدولية على الخصوص بميناء ريو دوجانيرو** ، الذي **تصل حركته السنوية إلى ٣٨ مليون طن ، وسانتوس** وحركته ١٩ مليون طن ، وملحقه البترولي ميناء ساءوسيبا ستياءو التي تصل حركته إلى ٤٥ مليون

طن ، **وڤكتوريا توباراءو** ، وحركته ٥٩ مليون طن ، وهو ميناء تعديني يصدّر خامات الحديد .

هذا وتنقل شبكة الطرق البرية ٧٠٪ من البضائع . وقد حلّت الشاحنات مكان العربات التي تجرها الثيران ، أو مكان قوافل البغال المسرجة . وقد استطاعت البرازيل خلال ٢٠ عاماً أن تمد ٤٠٠٠٠ كم من الطرق الاتحادية ، مزودة بكسوة زفتية أو تكون عبارة عن دروب بسيطة ، وذلك في البرازيل الأطلنطية ، كالطريق الدولية بين ساءوپاولو وريو دوجانيرو ، والطريق الذي ينطلق من برازيليا ويجتاز حوض الأمازون شمالاً . **أما الطريق العابر لحوض الأمازون فقد تم افتتاحه في عام ١٩٧٣** . غير أن الطريق الهامشي الشمالي فهو مازال قيد التنفيذ . بيد أن **الطائرة تظل أكثر وسائل النقل سهولة** ، حتى أن الحركة الجوية تعتبر من أكثر مثيلاتها نشاطاً في العالم . ومن وجهة النظر هذه ، تظل البرازيل قطراً فتيّاً جديداً .

غير أن مصادر الطاقة لا تظهر على مقياس البرازيل ، علماً بأن شطراً كبيراً من البلاد لا يزال ينتظر التنقيب . وفي ١٩٧٧ لم تنتج البرازيل أكثر من ٣١ مليون طن معادل بترول ، مقابل استهلاك بلغ ٧٣ مليون ، ولديها **القليل من الفحم** ، ومن نوعية رديئة في الجنوب ، ويصل إنتاجه إلى ٣ ملايين طن ، يغطي نصف الاستهلاك ، لأن فحم الكوك يستورد من الولايات المتحدة . ولا تزال صناعة الحديد التقليدية والخطوط الحديدية تعتمد على الحطب ، ولم **تنتج من البترول سوى ٨ ملايين طن** ، وأفضل حقل وهو الذي تم اكتشافه في ١٩٤٠ قرب سلڤادور ، آخذ بالنضوب ، كما أن التنقيبات في حوض الآمازون كانت مخيّبة للآمال ، أما التنقيب على الرصيف القاري على الساحل الأطلنطي فقد بدأ مؤخراً ، ولما كانت الوسائل التقنية والمالية لدى شركة بتروباس ، التي كان لها حق احتكار الأبحاث محدودة ، فقد أخذت شركات أجنبية

منذ ١٩٧٧ بـالاشتراك في عمليـات التنقيب . **وتشتري البرازيل من ڤنزويلا ، ومن بلدان الشرق الأوسط** مقادير ضخمة من النفط ، **تصل إلى ٥٠ مليون طن ، تعالجها كلياً في مصافيها** ، وتظل فاتورة البترول ثقيلة جـداً على الرغم من خلط الوقود بالغوْل المستمد من القصب ، أو من المانيوق .

أمـا أفضل ورقـة رابحـة في يـد البرازيل في ميـدان الطـاقـة ، فهي القوة الكامنة الكهرمائية العظيمة ، والتي تقدّر بحوالي ٥٠٠ مليـار ك و س ، وهي قيد التجهيز ، كحوض ساءوفرانسيسكو ونهر پارانا ، أمـا سـدّ ايتيپو Itaipu الذي يجري بنـاؤه على نهر پـارانـا بـالاشتراك مع جمهوريـة الپـاراغواي ، والـذي سيفرغ العمل فيه عام ١٩٨٣ بطاقة قـائمـة تبلغ ١٢٦٠٠ كيلواط ، **فسيكون أول سد في العالم** . وإذا كانت البلاد تنتج ٩٦ مليـار ك و س من الكهربـاء (أو ٨٠٠ ك و س لكل نسمـة) ، فـإن هـذا « الفحم الأبيض » يقـدم منهـا ٨٩ ، ممـا جعـل البرازيـل تمثـل المكانـة الرابعـة في إنتـاج الطـاقـة من الميـاه منـذ وقت قريب (شكل ١٣) .

☆ ☆ ☆

مصادر الطاقة البرازيلية

في مقابل تفاوت الاستيطان والتنمية الاقتصادية في البرازيل . هناك اختلال في التوازن بالنسبة **للموارد الطاقية المستغلة** : فالوقود المستحاث ، أي البترول ، يقع على الهـامش في « النوردستـه » ، وعلى الهـامش الجنوبي بـالنسبـة للفحم ، وكلاهمـا في مكامن ذات مخزون متواضع ، في حين تقع مصـافي البترول قرب موانئ الاستيراد . أما الإنشاءات الهيدروليكيـة ، التي شيـدت في البـدايـة في سراة دومـار Serro do Mar على يـد شركـة لايت Light الكنـديـة ، ثم قـامت بـاتجـاه الـداخـل ، على يـد شركـة الكتروبراز الوطنيـة ، والتي قـامت لخـدمـة المثلث الصنـاعي ، سـاءوپـاولو ، بيلوهوريـزونتـه ، ريـو دوجانيرو ، عوضاً عن الشمال الشرقي القاحل ، هـذا في حين أن القوة الكامنـة لحوض الأمـازون لم يبـدأ بعـد استغلالهـا بشكل واسع ، هـذا كما أن أكثريـة مـدن الـداخل ، تعتمـد على مؤسسـات صغيرة لتوليـد الكهرباء الحرارية .

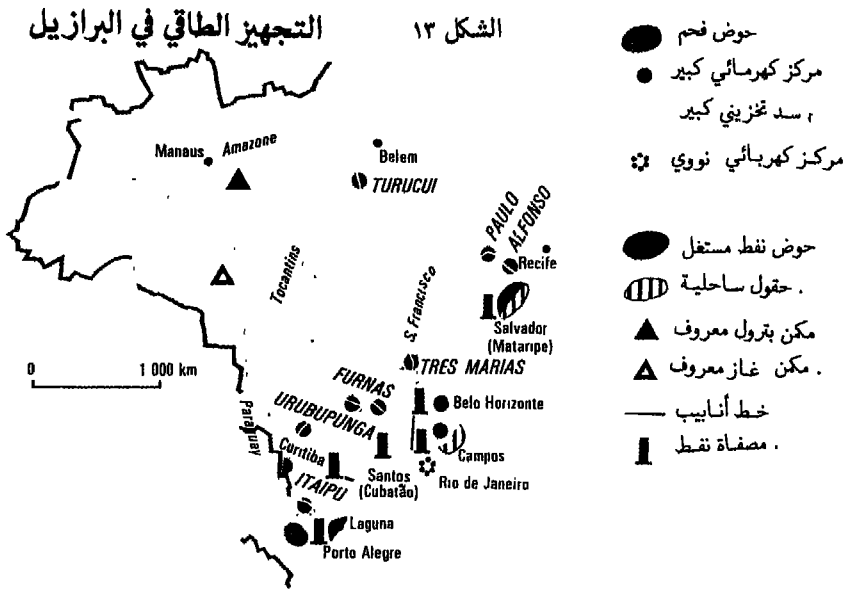

ولا زال الاستهلاك الوطني من الطاقة معتدلاً بالواقع ، فهو يبلغ بالنسبة للفرد وخلال العام ١٢٠٠ كغم من معادل الفحم ، هذا مع أن الحطب وفحم الخشب والفول تشكل جميعاً حوالي الربع تقريباً .

شلال ايغواسّو : إن لمعظم الأنهار عند هبوطها من الهضبة البرازيلية جنادل ، أو شلالات ، ويبلغ ارتفاع شلال ايغواسّو ٨٠ متراً عند مقرن نهر ايغواسّو مع نهر پارانا ، ولاتزال الطبيعة عند شلالات ايغواسّو في الحالة البدائية ، وهناك القليل من السواح الذين تتاح لهم فرصة التمتع برؤية هذه الأعجوبة ، فليس هناك من قناة التفاف ، ولامركز كهرمائي . أما في المناطق الأخرى فقد عمدت البرازيل إلى تجهيز هذه القوة المحركة الثمينة ، كما فعلت على نهر ساءوفرانسيسكو ، حيث استغلت شلالات پاولو الفونسو ، وخزان ترس مارياس ، وعلى روافد پارانا ، حيث بنت خزان فورناس وعلى النهر ذاته كمركز ايتيپو Itaipu . وهكذا استمدت البرازيل في عام ١٩٧٧ ٦٠٪ من مواردها من الطاقة الوطنية ، وهي في الواقع محدودة ، وبذلك وقفت خلف الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفيتي في إنتاج الطاقة الكهرمائية .

☆ ☆ ☆

البرازيل : زراعة مدارية

يعيش ٤٠٪ من سكان البرازيل من خيرات الأرض ، مقابل ٥٥٪ في عام ١٩٦٠ ، **ولكنهم لا يساهمون بأكثر من ١٥٪ من الناتج القومي الخام** P. N. B ، وتكون الرقعة البرازيلية غير مستغلة كما يجب ، كما أن ثلثها فقط هو الذي يعتبر خاضعاً للتملّك وللمسح العقاري ، أي للكادسترو : **فالمساحة المزروعة تبلغ ٤١ مليون هكتار أو ٥٪ من المساحة العامة ، وأربعة أضعاف ذلك هي القسم المتروك للمراعي** ، أما الباقي أو ٦٠٪ فتغطيه الغابات ، أو يكون عقياً ، وتكون البنية العقارية من تركة الحقبة الاستعمارية . **وتتألف الملكيات الكبرى من ٣٠٠٠٠ مزرعة كبرى ، أو Fazendas ، تتجاوز مساحة كل منها ١٠٠٠ هكتار ، وتنتشر على ٤٥٪ من المساحة الزراعية المفيدة** . أما صغار الملاكين ، والذين يزرعون بأنفسهم قرابة ١٠ هكتارات فهم أقلية ، ولا يزيد عددهم على المليونين ، في مقابل طبقة كادحة زراعية من الكابوكلوس caboclos ، الذي يبلغ عددهم ٣ ملايين مابين شريك أو مستثمر بلا صك تمليك ، والمهددين دوماً بالطرد ، هذا فضلاً عن ٦ ملايين من العمال المياومين ، الذين كثيراً ما يقاسون من البطالة .

وفي عام ١٩٦٤ ظهر « قانون الأرض » الذي هدّد بفرض ضريبة على كبار الملاكين المتغيبين ، الذين يتركون أراضيهم بوراً ، وقد يصل الأمر إلى نزع ملكيتهم . وكان **يقضي بتوزيع مقاسم إعمار على الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً** ، وهذا المشروع الذي لم يكن إصلاحاً زراعياً بالمعنى الصحيح ، أدّى مع ذلك إلى انقلاب عسكري ، صحيح أنه تمّ توطين بضعة آلاف من عائلات الفلاحين من أقليم « نوردسته » في قرى زراعية agrovilas في حوض الأمازون ،

ولكن شركة لودڤيغ Lodwig الأمريكية نالت مقابل ذلك امتيازاً ، مساحته مليونا هكتار .

وهكذا لا تزال قضية ملكية الأرض في حوض الأمازون تنتظر التسوية والحل ، شأنها في الشمال الشرقي . وفي كل عام يتم إحراق مليون هكتار من الغابات ، واستزراع أرضها ، لأن **نظام الزراعة** الذي يكون متوائماً مع بيئة مابين المدارين ، **يظل بدائياً على العموم** . وينتسب إلى « **الزراعات المتنقّلة** » دون حراثة ودون سماد . ولهذا يكون **المردود** منخفضاً ، إذ يبلغ وسطياً ١٥ كنتالاً « قنطاراً » في الهكتار من الحبوب ، أي ١٥٠٠ كغم . وتتم زراعة الرز في البرازيل دون شتل ودون ري ، وتستنزف مدخرات خصوبة الأرض في الملكيات الكبرى « ڤازانداس » حتى النهاية ، حتى أن الغابة لاتستطيع العودة إلى ما كانت عليه ، وبعد مرور « دورة زراعية » فوق أرض نضب معينها ، يأخذ أصحاب مشاريع آخرون باستغلالها في زراعة أكثر قناعة ، أو يتركونها لتربية الماشية الواسعة .

ويكون هذا التطور ملحوظاً فوق هضبة ساءوپاولو (شكل ١٤) ، **فابتداءً من عام ١٨٧٠ تحولت « الڤازاندا » الساءوپاولية إلى مزرعة قهوة Catezal** : ذلك أن التربة البنفسجية تناسب كثيراً شجيرة القهوة العربية Arabica وتكون الأرض مقسّمة إلى مقاسم ، يقوم المعمّرون ، الذين كانوا في البداية من الطليان ، والمرتبطين بعقد باستصلاحها ، باقتلاع النباتات الأصلية ، ومن ثم زراعتها بشجيرات البن ، مثلما يزرعون بين صفوفها الفاصولياء والذرة الصفراء ، لتأمين غذائهم . **وبعد خمسة أعوام** ، تدخل الشجيرات مرحلة الإنتاج ، **ويستغل المالك مزرعته مباشرة** بالاستعانة بالعمال ، **وعندما يأخذ المردود بالانخفاض يبيع المزرعة** ، كي يقيم مزرعة جديدة بعيداً عنها . وقبل ١٩٣٠ كان زحف القهوة ينهش غابة هضاب پارانا فوق ترب رملية

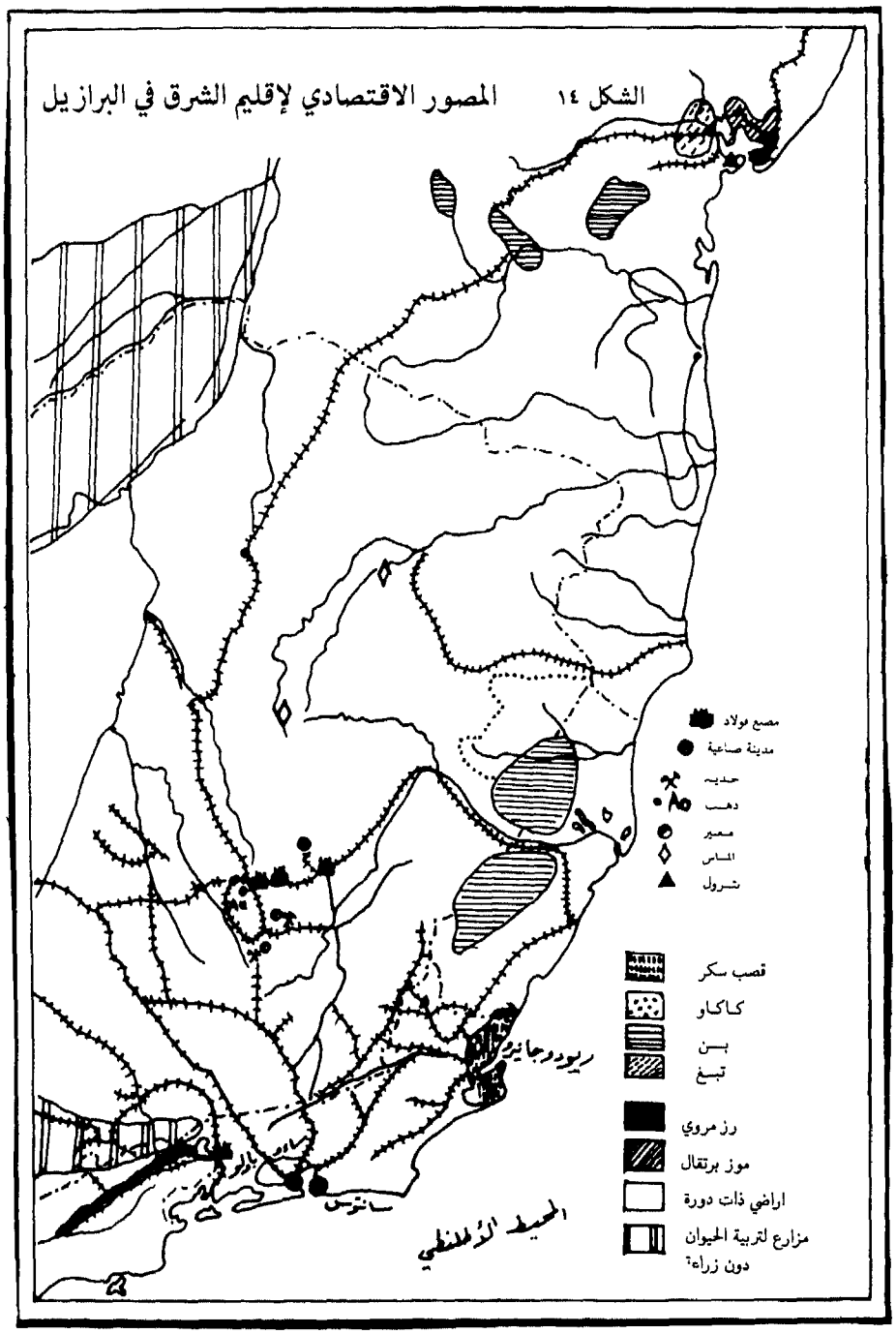
الشكل ١٤ المصور الاقتصادي لإقليم الشرق في البرازيل
مصنع فولاذ
مدينة صناعية
حديد
ذهب
منجنيز
الماس
بترول
قصب سكر
كاكاو
بن
تبغ
رز مروي
موز برتقال
اراضي ذات دورة
مزارع لتربية الحيوان
دون زراعة
ريو دي جانيرو
ساو باولو
سانتوس
المحيط الأطلنطي

هزيلة ، وكانت **الجبهة الرائدة** تتقدم مع تمديد الخطوط الحديدية ، فتتقدم بمعدّل ٢٠٠ كم في كل عشرة أعوام ، مما أدّى لنشوء مدن جديدة مثل : ماريليا ولوندرينا . **أما الآن فقد أدركت شجرة القهوة حدّها الايكولوجي :** فعندما يزيد الإرتفاع عن ٨٠٠ م ، يستفحل خطر الصقيع الشديد . وتجاه إفقار الترب ، وأمام التقلبات المناخية والاقتصادية الناجمة عن زراعة وحيدة هي القهوة ، أخذت الزراعة الساءوپاولية بالتنوع ، فاستعاضت عن شجيرات القهوة بحقول القطن ، ومزارع قصب السكر ، والذرة الصفراء ، وفول الصويا ، مثلما أخذت تدمج تربية الماشية مع الزراعة (شكل ١٥) .

حصة البرازيل في الصادرات الزراعية (١٩٥٥)

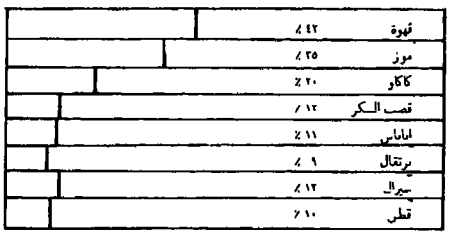

الشكل ١٥

☆ ☆ ☆

تحتل الغابة القسم الأعظم من البرازيل ، أو يستخدم على شكل مراعٍ : فنذ سبعة عشر عاماً ارتفعت المساحة المزروعة من ٢٩ مليون هكتار إلى ٤١ مليون هكتار ، وعلى الرغم من إخضاع أراضٍ جديدة للزراعة ، على حساب الغابة في حوض الأمازون ، فإن التطور يتجه نحو التكثيف في الملكيات الكبرى Fazendas الرعوية ، في الجنوب وفي الوسط . فقد سمحت الحراثة بواسطة الجرار « التراكتور » ، واستخدام الأسمدة الكيماوية ، ومبيدات الأعشاب ، بقيام زراعة قمح كبرى ، ورز ، وذرة صفراء ، وفول الصويا ابتداءً من عام ١٩٧٠ . أما الماشية التي تحسّن غذاؤها ، فقد تصالبت مع ثيران مستوردة من أوروبا ، غير أن التربية الواسعة لازالت قائمة في ماتّوغراسّو ، وفي

سرتاءو في الشمال الشرقي : ففوق مزرعة تمتد على ٢٥٠٠ هكتار : يعيش أحياناً ٥٠٠٠ رأس من الأبقار ، شبه الوحشية ، تتجول في مراعيها تحت حراسة بعض الرعاة الخيّالة « ڤاكيروس » ، وعلى الرغم من تنظيم نهر ساءوفرانسيسكو من حيث السدود وبحيرات التخزين ، فإن المساحات المروية في إقليم « نوردسته » لاتزال محدودة ورديئة الاستغلال . أما حول رسيف فتسود زراعة قصب السكر الضعيفة المردود ، والتي لم تتطور منذ عصر مزارع الرقيق في القرن السابع عشر معتمدة على أيدٍ عاملة بائسة ، مأجورة ، تعيش في أوضاع مماثلة جداً لأوضاع رقيق الماضي .

☆ ☆ ☆

قطاف القهوة : يستدعي قطاف ثمار القهوة العربية « آرابيكا » في مزارع البن في ولايات ساءوپاولو ، پارانا ، ميناس جيريس ، وهي الثمار التي تسمى « الكرز » ، لأن كلاً منها يشتمل على نواتين ، تؤلف كل منها حبة القهوة الخضراء ، أقول : يستدعي قطافها الاستعانة بأيدٍ عاملة فصلية ، تأتي غالباً من الشمال الشرقي . وتسبق عملية التجفيف بالشمس ، فوق مساطيح كبيرة من الآجر الأحمر ، غربلة « الكرزات » ، ويتم الحصول على ١٥ كغم قهوة خضراء ، من كل ١٠٠ كغم من ثمار القهوة .

ويقع مركز ثقل **إنتاج القهوة** حالياً ، على مسافة ٤٥٠ كم من الساحل . وهذا الانتقال نحو الغرب يكون مصحوباً بتحوّل طارئ على هذه الزراعة الوحيدة ، الحسّاسة بالأزمات ، إلى زراعة متعددة ، أي هناك توافق الزراعات مع المواقع ومع الترب . وتنتشر مزارع البن عموماً ، فوق منبسطات الفواصل النهرية ذات الصخور الباطنية البازلتية ، في حين تنتشر مزارع القطن على هوامش الفواصل النهرية Inter fluves . أما المزروعات المتنوعة من فستق عبيد ورز ، فتحتل سفوح الأودية . أما مراعي تسمين المواشي ، فتقع في قيعان الأودية ، المعرضة لضربات الصقيع ، والتي لاتصلح بالتالي لزراعة القهوة . وتكون مراعي التسمين ، أو invernadas ، مأهولة بأبقار ، وصلت سيراً على الأقدام من ساڤانات ماتّو غراسّو (غرب برازيليا) . أما المزارع التي هجرتها شجيرات القهوة فوق الهضبة ، فغالباً ماتغرس بأشجار الأوكاليبتوس . ويجلب هذا النموذج من الاستغلال ، الأكثر مرونة من زراعة القهوة السابقة ، يجلب الرخاء إلى الغرب ، من ولاية ساءوپاولو ، وإلى شمال ولاية پارانا ... أما في الشرق الأوسط من ولاية ساءو پاولو ، فإن العودة لاستخدام الأراضي التي أنهكتها موجة زراعة القهوة ، لم تحصل على النجاحات ذاتها في كل مكان . وقد كانت النجاحات ناتجة في الغالب ، عن دور اليابانيين ، الذين انضمّوا إلى تعاونيات ، ويمارسون أساليب زراعة متقنة ، مما يؤدي لتحويل المشهد الزراعي كلياً .

عن ج . دومانجو « القارة البرازيلية »

١٩٧٢ SEDES

البرازيل والمضاربات الزراعية

تحتل البرازيل بعد الولايات المتحدة ، المكانة الثانية كدولة تبيع منتجات الزراعة وتربية الماشية ، بحالة خام أو مصنّعة ، تلك المنتجات التي تؤلف ثلثي صادراتها ، وتبدو اللائحة الزراعية مدهشة . وتعتبر البرازيل مصدّرة كبيرة للمنتجات المدارية ، ذات فائدة تتفاوت فعلاً حسب الأسواق العالمية ، وحسب التقلبات المناخية .

فهناك بالنسبة للقهوة ، على الخصوص ، **فرط إنتاج وكساد تارة ، وتارة أخرى ندرة وصعود شديد في الأسعار** . وقد كان « الذهب الأخضر » بارومتر ازدهار البلاد ، ولا زال البن يسيطر على توازن الميزان التجاري ، وبين ١٩٤٩ و ١٩٧٥ ، وهو العام الذي أدّى فيه الانجماد إلى تلف قسم عظيم من شجرات القهوة ، وبداية دورة جديدة ، كان السوق رديئاً ، وبلغت المخزونات خلال عام واحد ما يعادل الاستهلاك العالمي . **وتظل البرازيل أول دولة منتجة للقهوة** ، ولكن حصتها هبطت منذ عام ١٩٢٩ : من ثلثي الإنتاج العالمي إلى الخمس ، وذلك لمصلحة المنافسين الآخرين في أمريكا الجنوبية ، مثل : كولومبيا ، أو الأفارقة أما في ميدان **التصدير** ، فقد **انكمش مكان القهوة** من ٧٥٪ إلى ٢٢٪ في عام ١٩٧٧ وصدرت في ١٩٧٨ من البن مابلغت قيمته ٢,٣ مليار دولار .

أما مزارع الكاكاو ، الممتدة في جنوب ميناء سلفادور ، تحت غطاء غابيّ شبه مفتوح ، والتي تشكو من هرم الأشجار ، ومن المرض ، فلا تزال تقدم ١٥٪ من الكاكاو العالمي ، وتحتل البرازيل المرتبة العالمية الثالثة بعد غانا ونيجيريا ، وتقدم ٤٪ من الصادرات ، لأن إنتاجها يبلغ ٢٣٠٠٠٠ طن .

وتحقق **مزارع الموز** ، وتحتل أول مرتبة بالعالم ، ومزارع **البرتقال** التي تشغل المرتبة الثانية في العالم ، كفاية الاستهلاك المحلي ، وتترك فائضاً للتصدير . غير أن مزارع **قصب السكر** التي تؤلف زراعة وحيدة حول رسيف ، أو يدخل في دورة زراعية ، في ولاية ساءو پاولو ، لا تتوقف عن التوسع ، حتى لقد بلغ إنتاج السكر ٨,٥ ملايين طن ، مما بوّأ البرازيل المرتبة الأولى في العالم ، وكذلك بالنسبة لإنتاج الغوْل . وعلى خلاف ذلك فإن محصول القطن ، العديم الانتظام ، لا يستخدم إلا في الصناعة البرازيلية ، مع أن إنتاجه يصل إلى ٤٠٠٠٠٠ طن من الألياف ، أي يعادل إنتاج مصر ، وينـدر أن يكون القطن مرويـاً في « النوردسته » ، ولا تلقى زراعته عناية كبيرة في پارانا ، ولهذا يكون **ضعيف المردود** ، ومن نوعية رديئة . **وتظل الزراعة التصديرية الكبرى الآن هي الصويا ، إلى جانب القهوة .** (شكل ١٦) وتكون زراعة فول الصويا ، مختلطة مع الذرة الصفراء ، أو مع القطن ، وتمتد من نهر پارانا حتى ريو غرانده دوسول ، بحيث تغطي مساحة حقوله ٧ ملايين هكتار ، مع إنتاج يصل إلى ١٢ مليون طن ، وهو يعادل إنتاج الصين ، أو ١٥٪ من الإنتاج العالمي . وتكون زراعة هذا الفول الغني بالبروتين ، والمرغوب جداً في الغذاء الحيواني على شكل كسبة ، والإنساني على شكل زيت ، تكون مربحة جداً . ويقدم فول الصويا المصدّر بحالة خام ، أو بعد تحويله إلى كسبة أو زيت ، يقدم للبرازيل من الدخل مثل ما تقدم لها القهوة .

هذا وتكون مكانة الزراعات الغذائية أقل بريقاً ، ومع ذلك يخصّص لها ٦٠٪ من الأراضي بيد أن المردود يكون منخفضاً ، ومتفاوتاً حسب السنين . ففي عام ١٩٧٦ بلغ محصول الحبوب ٣١ مليون طن ، وهبط في ١٩٧٨ ، وهو عام قحط إلى ٢٤ مليون طن فقط . وتتوسع **زراعة الرز** ، على شكل زراعة بعلية واسعة أكثر من **القمح المحصور في أقصى الجنوب** ، ويصل محصوله إلى ٩

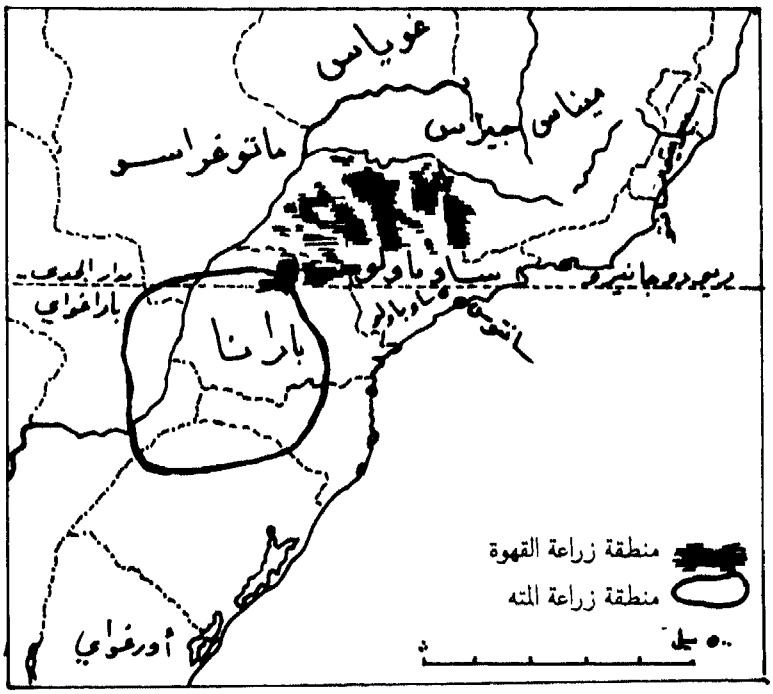

الشكل ١٦

أهم مناطق نمو المتّة والقهوة في البرازيل

ملايين طن ، فوق مساحة تبلغ ٥,٥ ملايين هـ ، مثلما تتوسع زراعة **الذرة الصفراء** (شكل ١٧) ، التي تمتد من ميناس جيريس إلى پارانا ، ويصل إنتاجها إلى ١٩ مليون طن فوق مساحة تبلغ ١٢ مليون هكتار . وتعطي زراعة **المانيوق** ، (شكل ١٨) الذي يؤلف دقيقه مع الفاصولياء ، أساس الغذاء الشعبي في النصف الشمالي من البلاد إنتاجاً يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون طن ، مما يجعل البرازيل أول دولة منتجة لهذه المادة في العالم . **وإذا كان ٤٠٪ من البرازيليين يشكون من سوء التغذية ، فيجب أن نعزو ذلك إلى العادات الغذائية ، وللفقر ، أكثر من عدم كفاية الموارد الغذائية** التي تزداد

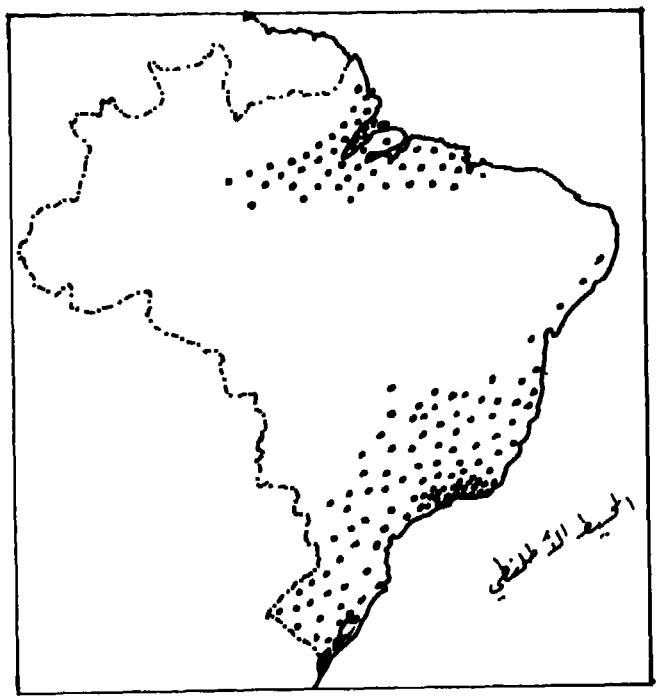

الشكل ١٧

توزع الذرة في البرازيل

كل نقطة تمثل مليون بوشل (مكيال إنكليزي يعادل ٣٦,٥ ليتر)

بسرعة تفوق سرعة النمو الديموغرافي . **وتقدم تربية الماشية البروتينات النبيلة** ، على خلاف الأقطار الآسيوية . ويستهلك البرازيلي وسطياً ٣٠ كغم من اللحم في العام ، أو أقل من نصف الأمريكي الشمالي أو الأوروبي الغربي . بيد أن اللحم المجفف يكون على الغالب غالياً جداً بالنسبة للنوردستيين Nordestinos . وفي الواقع تصدر البرازيل مقادير ضخمة من اللحوم المجمّدة والرز ، في حين تشتري ٣ ملايين طن من القمح الأرجنتيني .

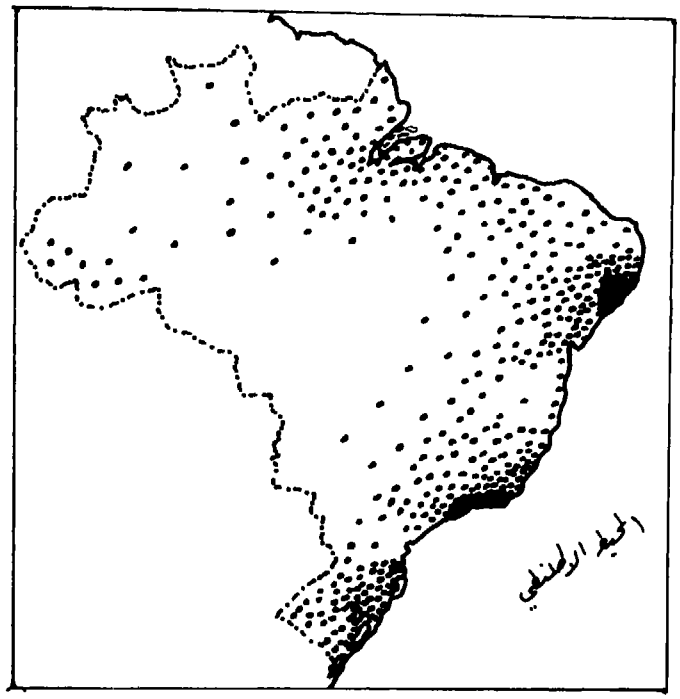

الشكل ١٨

توزع زراعة المانيوق الطعام النشوي الرئيسي في البرازيل

القطيع البرازيلي : بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الخيول ، تبلغ ٥ ملايين رأس ، ومثلها من الحمير والبغال ، وهي حيوانات لا غنى عنها في المواصلات وفي الأعمال الحقلية ، ولنقل الأثقال المحلية ، فإن قطيع البرازيل يضم ١٠٦ ملايين رأس من الأبقار ، و ٣٨ مليون من الخنازير ، و ١٧ مليون من الأغنام ، في إقليم ريوغرانده دوسول و ٧ ملايين رأس من الماعز في الشمال الشرقي . وتزيد قيمة هذا القطيع من الناحية الاقتصادية تدريجياً . ويتم تسمين الماشية الهزيلة القادمة من الداخل ، فوق مراعي التسمين المسمّاة invernadas الأكثر قرباً من الساحل ، والمدن الكبرى ، ولكنها تتغذى أيضاً على الذرة الصفراء والصويا ، التي تقدم علفاً للأبقار الحلوبة ، وللخنازير ، في الجنوب الشرقي .

البرازيل قطر حديث العهد بالتصنيع

لم تكن البرازيل قبل عام ١٩٤٠ ، تحوّل صناعياً ، سوى المواد التي تقدمها الزراعة وتربية الماشية ، باستثناء صناعة حديدية صغيرة في منطقة ميناس جيريس ، وذلك بالاستعانة برؤوس أموال أجنبية غالباً . غير أن مهاجراً إيطالياً كنيته ماتارازّو Matarazzo ، استطاع مع ذلك أن ينشئ صناعة ذات تمركز شاقولي ، انطلاقاً من مصنع لإنتاج دهن الخنزير ، فأصبح ينتج الدقيق ، وأكياس التغليف ، ونسيج الجوت ، ثم نسيج القطن فالحرير الاصطناعي ، فالورق وأخيراً دخل ميدان الصناعة الكيماوية . **ولكن لا يزال ٦٠٪ من الأنشطة الصناعية تتعلق بالتغذية ، وبصناعة الجلود والمنسوجات** . ولكن الدولة الاتحادية ، هي التي أطلقت العنان للتصنيع خلال الحرب العالمية الثانية ، بظهور شركة الصناعة الحديدية الوطنية ، التي أقامت مصنع الفولاذ في مدينة ڤولتا رودوندا ، الواقعة على منتصف الطريق بين ساءو پاولو وريودوجانيرو . ومنذ خمسة عشر عاماً راحت **الصناعة البرازيلية تتقدم بسرعة ، وتغطي معظم الحاجات** ، باستثناء السلع التجهيزية .

وإذا كانت البرازيل فقيرة بالطاقة ، فلديها المواد الخام ، وإذا كانت لا تحصل على أكثر من ٢٠٠٠٠ طن من المطاط الطبيعي من غابتها ، فإن صناعتها البتروكيماوية تقدم لها عشرة أضعاف هذا الرقم من المطاط التركيبي ، كما أن **ثروتها المعدنية تشكل كنزاً أسطورياً حقيقياً : فلديها النحاس في** ولاية باهيا ، والنيكل في ولاية غوياس وتنتج منه ٣٥٠٠ طن ، **والبوكسيت** في ولايتي ميناس جيريس وپارا وتنتج حوالي المليون طن ، ولا سيما **المنغنيز** الذي تحتل بإنتاجه الدرجة الرابعة في العالم ، في ولايتي ميناس وآپاما وإنتاجه

١,١ مليون طن ، **وخام الحديد** : الذي تحتكر البرازيل ربع احتياطيه العالمي ، ويتكشّف « مربع الحديد » حول مدينة بيلو هوريزنته ، عن ذخر مقداره ٣٥ مليار طن من الخامات . وقد بلغ الإنتاج ٦٠ مليون طن ، من المحتوى المعدني في عام ١٩٧٤ ، مقابل ٤٥ مليون طن عام ١٩٧٨ ، وذلك حسب الطلب عليه في أسواق التصدير ، في أوروبا والولايات المتحدة واليابان ، والذي يتم تصديره عن طريق ميناء ڤيتوريا ، شمال شرق ريودوجانيرو . **وتصب صناعة الحديد البرازيلية مقدار ١٤ مليون طن** من الفولاذ ، وأخذت بتصديره ، وستصل قدرتها الإنتاجية في ١٩٨٣ إلى ٢٢ مليون طن بفضل المركّب البحري الجديد في ميناء ڤيتوريا ، حيث دخلت رؤوس أموال يابانية وهولندية . وبعد أن كانت **صناعة السيارات** ، عبارة عن تجميع بسيط في ١٩٧٥ ، ومن ثم صناعة مع قطع من إنتاج برازيلي ، أخذت تقدم مليون سيارة سياحية في عام ١٩٧٨ ، تصدر قسماً منها . ترى هل ستصبح البرازيل يابان جديدة ؟

وتشرف الدولة على قطاع الطاقة ، وعلى قسم من الصناعة الثقيلة ، غير أن **الشركات المتعددة القوميات ، تهيمن على الفروع الحديثة** : كصناعة السيارات (ڤولغسڤاكن) ، وصناعة الأجهزة الكهربائية ، والخيوط الكيماوية ، والصيدلة . وفيما عدا الشركات الأمريكية مثل Exxon وفورد ، هناك المجموعات الألمانية ، وتمثلها ڤولغسڤاكن ، والإيطالية وتمثلها فيات وپيريللي ، والفرنسية : مثل شركة رون پولنك ، وسان غوبان ، وپونتاموسّون ، أو شركات يابانية ولقد بلغت ديون البرازيل الخارجية ٩٠ مليار دولار في عام ١٩٨٢ .

وترهق هذه التبعيّة ميزان المدفوعات ، بسبب شراء البراءات ، والسماح بخروج الأرباح . ففي مصنع سيارات ڤولغسڤاكن في ساءو پاولو ، تكون أجرة العامل في الساعة ٠,٦ دولار مقابل ٥,٦٥ دولارات في جمهورية ألمانيا الاتحادية . **وعلى الرغم من انخفاض الأجور ، فإن صناعة البرازيل**

الفتيّة ، ذات المصانع الصغيرة جداً ، والعتيقة أحياناً ، أو ذات الموقع الرديء ، **تتطلب سياسة حماية صارمة** . وتتمركز معظم المصانع ، في « المثلث الصناعي » ، الواقع بين المدن الثلاث : ساءو پاولو ، بيلو هوريزنته ، وريودوجانيرو. **وتضم ولاية ساءو پاولو لوحدها ، نصف المصانع ونصف العمال .**

أما أنشطة الجنوب ، فغالباً ما تكون أنشطة غذائية أو نسيجية . في حين يكون إقليم النوردسته ، محروماً من الصناعة ، باستثناء صناعة البتروكيمياء في سلڤادور ، والصناعة القطنية في رسيف . ومع ذلك بدأ تطبيق سياسة لامركزية صناعية ، إذ يقوم مصنع لصهر الألمنيوم قرب بيلم ، كما يبنى مركّب صناعي ساحلي في موقع سواپيه Suapé قرب رسيف .

☆ ☆ ☆

مصانع الفولاذ في فولتا رودوندا : وقد أنشأتها الدولة في وادي پاريبا ، بين ساءو پاولو وريودوجانيرو . وتعتمد هذه المصانع على الخط الحديدي في تموينها بالفلزات وبالفحم المستورد . أما مصانع الحديد الأحدث ، فقد استقرت فوق خامات الحديد ، مثل مصنع أوزيميناس Usiminas ، أو على قرب من ميناء مثل كوسيپا Cosipa قرب سانتوس . وتركز مؤسسة سيدربراز Siderbras أسهم الدولة في صناعة الحديد ، وهي شركات وطنية ، وشركات مختلطة ، تدخل فيها رؤوس الأموال الأجنبية وعلى الأخص اليابان ، كما هو الحال في شركة أوزيميناس .

☆ ☆ ☆

لا يزال التنقيب الجيولوجي في البرازيل ناقصاً : ومع ذلك أمكن التعرف على مكامن هامة أحياناً لمعظم الفلزات المفيدة . ولكن تبدو البرازيل غنية على وجه الخصوص بخام الحديد وبالبوكسيت ، وكذلك بالمعادن الستراتيجية : كالمنغنيز والنيكل والتنغستين وتنتج منه ١٧٠٠ طن ، وتظل الولاية التعدينية الحقيقية هي ميناس جيريس ، المعروفة منذ القرن السابع عشر بثرواتها من خامات الذهب في موقع Ouro Preto (اورو پريتو) . ولكن بدأ استغلال الموارد الأقرب والأسهل ، كما في ولاية پارا وآميا . أما البقية فقد تركت كاحتياطي وقامت مدينة ديامنتينا فوق مناجم الألماس في شمالي مدينة بيلوهوريزونته (شكل ١٩) .

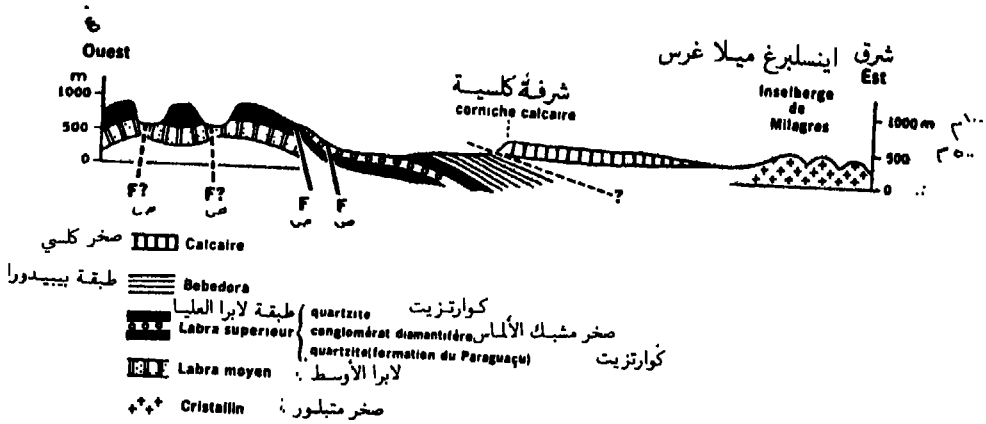

مكامن الماس في البرازيل

الشكل ١٩

النهضة الصناعية في البرازيل

لقد اختارت البرازيل ، منذ أزمتها الكبرى في ١٩٦٣ ـ ١٩٦٧ الاستراتيجية التالية :

ـ تقوم كل تنمية البرازيل ، بما في ذلك التنمية الزراعية ، على نمو متسارع لصناعة الوسط الجنوبي وليس هناك من حاجة لأي إصلاح بنيوي .

ـ يتطلب هذا النمو الصناعي السريع ، أكثر من ١٠٪ في العام ، إلغاء أي عائق في وجه حركية المؤسسة الخاصة .

ـ لن يتخذ أي تدبير تفضيلي ، تجاه رؤوس الأموال الأجنبية ، ولكن السياسة الصناعية ، ستحاول عقلنة بنى الصناعة الوطنية ، بأن تفرض عليها الحجم الأدنى ، وذلك في مؤسسات الفروع الجديدة وحمايتها من سياسة غمر الأسواق dumping .

وهذه الاستراتيجية ، لن تحل على الفور مشكلات الاستخدام ولا مشكلات اختلال المبادلات .

ـ وسيتم الاعتماد على تنمية صادرات المنتجات الأولية ، غير التقليدية كفلزات الحديد ، وأخشاب حوض الأمازون ، والمنتجات المصنوعة القادرة على المنافسة في الأسواق الخارجية .

عن د. س. لامبيز و جـ م مارتان
« أمريكا اللاتينية : اقتصاد ومجتمعات »
دار آ كولان ١٩٧١

الأرجنتين

البيئة والسكان

تمثل **جمهورية الأرجنتين** في القرن الجنوبي للقارة الجديدة ، **والتي تبلغ مساحتها ٢,٨ مليون كم٢ ، والممتدة من سروات جبال الآند حتى المحيط الأطلنطي ، تمثل مجموعاً جغرافياً شديد التنوع** . ففي الشمال الغربي ، يقع البيمونت Piémont والسلاسل الأمامية ، أي سراة قرطبة ، التي تؤلف طليعة سلسلة الآند ، ثم يظهر حادور **glacis شاكو اللحقي** . أما في الشمال الشرقي ، فيتألف من ميزاب « ميزوبوتاميا الأرجنتينية » ، الواقع بين نهر پارانا ونهر أوروغواي ، اللذين يشكّلان نهر **ريودولا پلاتا** ، بعد التقائهما (شكل ١) ، وإلى الجنوب من هذا المصب العريض ، تمتد سهول البامپا الفسيحة ، وهي سطح قليل التّموج ، مؤلف من غرين Limons ريحي ، أي من اللوس ، ويخلو من المياه الجارية ، ومن الأشجار في الحالة الطبيعية ، ومن ثمّ ، أي إلى الجنوب ، تظهر **هضاب پاتاغونيا** الرتيبة . هذا كما يكون **المناخ بحدّ ذاته متنوعاً** (شكل ٢) : ذلك أن مدار الجدي ، يلامس إقليم الشاكو من الشمال ، بيد أن رأس هورن في نصف الكرة الجنوبي ، يقع على عرض مماثل لدرجة عرض موسكو . هذا وتكون حرارة أكثر الشهور دفئاً في جزر أرض النار ، تعادل حرارة أكثر الشهور برودة في بوينوس آيرس ، أي ١٠ درجات (شكل ٣) . وتهب من جبال الأند على پاتاغونيا ، وحتى على سهول البامپا ، في الشتاء ، ريح جافة ، تكون أحياناً قارسة ، هي ريح پامبيرو Pampero . ويخترق الأرجنتين من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، أي من پونسادو